

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من

الشَّيْءِ إِلَى الْيَقِينِ

الدكتور فاضل صالح السامرائي
أستاذة بعتلية الآداب
جامعة بغداد

مكتبة البشار
مستأنف

مكتبة القدس
بغداد

الفهرس

٥	مقدمة الكتاب
١١	نقدم للدكتور عبد الكريم زهدان
٢٣	بين الاتحاد والايان
٣٦	من خلق الله
٣٩	النبوة
٤٦	محمد والوحي
٧٠	القرآن كتاب الله
٧١	الأدلة القرآنية
٩٩	الاخبار بالمعروف
١١٩	الأدلة الحديثة - مقدمة
١٥٢	تدوين الحديث
١٦٤	أدلة الحديث
١٩٩	جولة في الكتب القديمة
٢٠٦	لحرف التوراة والانجيل
٢٤٦	بشارات الكتب السماوية

طائفة من بشارات اهل الكتاب

٢٥٠	البشارة الاولى
٢٥٢	البشارة الثانية
٢٥٧	البشارة الثالثة
٢٦٠	البشارة الرابعة
٢٦٦	البشارة الخامسة
٢٦٣	البشارة السادسة
٢٦٤	البشارة السابعة
٢٦٧	البشارة الثامنة
٢٦٩	البشارة التاسعة
٢٧٠	البشارة العاشرة
٢٧٣	البشارة الحادية عشرة
٢٧٥	البشارة الثانية عشرة
٢٧٦	البشارة الثالثة عشرة
٢٧٨	البشارة الرابعة عشرة
٢٨٠	البشارة الخامسة عشرة
٢٨٣	البشارة السادسة عشرة
٢٨٦	البشارة السابعة عشرة
٢٨٥	البشارة الثامنة عشرة
٢٩٠	البشارة التاسعة عشرة
٢٩٤	البشارة العشرون
٢٩٥	معنى الملكوت
٢٩٧	البشارة الحادية والعشرون
٣٠٠	البشارة الثانية والعشرون

٣٠٢	البشارة الثالثة والعشرون
٣٠٥	بشارات من انجيل برنابا
٣٠٨	خاتمة البحث
٣٠٩	كلمة أخيرة
٣١١	مراجع البحث
٣١٥	الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله حمداً يوافق نعمه وبكافئ مزيده وصلى الله على سيدنا محمد إمام الداعين
وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه وبعد :

فإن موضوع هذا الكتاب يختص كل فرد من عقلاء خلق الله بلا استثناء ، أقول
موضوع هذا الكتاب ولا أقول هذا الكتاب ، وذلك أنه يبحث في موضوع نبوة محمد
ﷺ الذي ادعى أن الله أرسله إلى الناس كافة يبلغهم منهاج ربهم وأنه خاتم
الأنبياء والمرسلين وأن شرعه ناسخ لما مضى من الشرائع فمن أطاعه رضي الله عنه
وجاءه في سعادة دائمة وأدخله الجنة ومن عصاه كان في شقاء دائم وأدخله ناراً وقودها
الناس والحجارة .

وهذا موضوع خطير يختص كل فرد ويعنيه وحدير بكل فرد أن يتحقق من صدق
هذا الادعاء ويتبينه ويؤليه من الاهتمام أبلغه ومن البحث أصدق حتى يقع على حقيقة
الأمر .

وعليه أن يترك وهو في سبيل البحث والتقصي كل نوع من أنواع الهوى
والعصبية فإن ذلك أقرب أن يوصله إلى الحكم السليم .

ولماذا الهوى هنا ؟ ولمصلحة من يتعصب ؟

قد تكون في الهوى والعصبية مصلحة في غير هذا الموضوع أما في هذا الموضوع
فالمصلحة الحقيقية لكل فرد أن يترك الهوى ويبعث إلى أن يقف على بينة الأمر ، ثم
ينطلق من هناك .

فإنه يبنى على هذا الموضوع سلباً أو إيجاباً تصحيح اعتقاد وتصحيح سلوك لأن المسألة مسألة مصير ، مصير كل فرد بعينه .

ويصح بل يجب أن يكون هذا الموضوع الشغل الشاغل للفرد يبحث ويسأل ويستعين ويستنجد ويستغيث حتى يقف على جلية الأمر .

وهذا موضوع طالما شغلني وأنا في أول الشباب ومقبل العمر ، وقد كان قبل هذه المسألة مسألة (الإيمان بالله) .

فإن الله سبحانه وهب لي عقلاً متشككاً أبلغ درجات الشك وقد كانت مسألة الإيمان بالله تبرّحني وكان الهمّ يسيطر على نفسي وقلبي في الليل والنهار في النوم واليقظة ولا أبالغ إذا ما قلت إن هذه المسألة كانت تقطع عليّ النوم . وكثيراً ما كنت وأنا أسير في الطريق لا التفّت إلى من يمر بي أو يسلم عليّ وكثيراً ما يمسك بي صديق فيقول : أين أنت يا فلان ؟! فاستيقظ وأنا سائر وقد كنت غارقاً في تفكير عميق .

وكنّت أظن أنه ليس على وجه الأرض فرد مؤمن بل كلهم أناس يخفون شكوكهم وكنّت أرى أن الناس كلهم ملحدون ولكن منهم من يجهر بالحاده ومنهم من يبرقعها .

وكنّت أظن أنه ليس ثمة شخص في الدنيا يتمكن من إقناعي بوجود الله . وكنّت مستعداً أن أهب كل عزيز لمن يقيم لي الدليل على وجوده .

فإن هذه المسألة أخطر مسألة في الوجود في اعتقادي إذ كان يتنازعني أمران : اللذة والحرمان .

أنتهز الفرصة وأتهب لذات الحياة وأتمتع بها ما استطعت كيف أشاء أم أنصبر وأسير في طريق الحرمان فلفل هناك لها يدين الناس ويحاسبهم على أعمالهم ؟

في أي درب أسير ؟ في طريق اللذة أم في طريق الحرمان ؟

وكثيراً ما كنت مع نفسي في حوار طويل وأخذ ورد ، في أي درب أسير ، أسير في طريق اللذائذ والشهوات فإنها فرصة لن تعود أم أنصبر وأحرم نفسي ؟

وهل يصح ترك هذه اللذائذ لأمر محتمل غير محقق الوقوع ؟!

ثم لا يلبث أن يصيح بي هائف آخر : ويلك أصير فلعلك تحاسب عما ستفعل .
فأقف .

وأظن أن هذه الحال هي حال أكثر شبابنا اليوم .

بقيت في هذا المهمّ المقعد والحيرة القائلة مدة غير قليلة ثم قررت ، قررت أن
أبحث حتى أصل إلى نتيجة مهما كلف هذا الأمر من وقت وتضحية . وعزمت عزماً
أكيداً على السير في هذا الدرب مهما طال حتى أصل إلى شيء : إيمان أو إلحاد .

وبدأت في البحث والتمحيص ، ولا أكنم القاريء أنني كنت أقرأ الكتب
الضخمة فلا أرجع منها بشيء ولا أنتفع بكلمة ثم أتركها لأقرأ غيرها فما كانت تبلى
الظما ولا أرجع من حبرتي إلا إلى حيرة أشد . واستمررت وأنا عازم على السير لا
أكل ولا أفتر حتى فتح الله عليّ بالإيمان ومنّ باليقين لما علم من صدق عزمي على
المضي وشدة رغبتي إلى الوصول .

وما زلت والله أذكر (يوم الإيمان) فوالله ما وجدت ساعة في حياتي أحلى من ساعة
الإيمان ولا يوماً أضوأ ولا أزهر من يوم الإيمان .

الوجود حولي كله تغير ؛ الطير والشجر ، والنهر والحجر ، والكوكب
والشمس القمر . أحسست مجاًباً عميقاً وصلة وثيقة بيني وبين هذا الوجود ، لم
كنت منقطعاً عن ركب الوجود ؟

نفس اليوم غيرها بالأمس ، أحسست كأنني ولدت ولادة جديدة ، كأنني جثت إلى
هذا الوجود من جديد .

أضاءت جوانب النفس وأشرقت حنايا القواد وامتلأت نفسي بالنور ، أحسست
هذا النور حتى كدت أراه . ولت الظلمة هاربة . القيت عني الحمل الثقيل
واستراح القلب وسكنت النفس وهذا الضمير وشعرت بالأمن والاستقرار .
وتفتت الصعداء ثم تنفست الصعداء .

رباه ! ما أحلى الإيمان ! ما أعذب اليقين ! ما أحلى عيش المؤمن وما أنكد عيش
الملحد الكافر !!!

رحماك يا رب . . . اللهم لا تسلبني نعمة الإيمان ولا تخلع عني رداء اليقين
ومتعني به إلى يوم ألقاك .

وكنْتُ أرى أن عليّ أن أحافظ على هذا اللقي الثمين وأحصنه وأحميه من الضياع
لكنّني أراهم عجائب مخلوقات الله وأطيل التفكير في آيات الله في الكون ، فكنت
أرى صنع الله متجلباً في كل شيء في الزهرة الجميلة والعطر الفواح وفي الماء الجاري
والكوكب اللائح والبدر المنير . رأيته في كل شيء وما كنت أراه في شيء . وكنت
أهتف كما هتف الذي رأى صنع الله في الزهرة وذلك أن أحد علماء الأحياء بينما كان
في غتبره هتف صائحاً : رأيت الله ! فاجتمع إليه تلاميذه وسألوه عن الأمر فقال : لا
تراءوا فقد أراني المجهر في هذه الزهرة من دقة الصنع وبراعة الوضع ما حيرَ عقلي
واخذ بليبي وأثبت لي أن هذا لا يمكن أن يحدث نتيجة فواعل طبيعية لا تدرك ما
تصنع .

رأيت يد القدرة الخفية تمتد إلى كل شيء تحوطه بالعناية والرعاية .

ومرت الأيام ثم برزت مشكلة أخرى أخف حملاً من صاحبته إلا أنها كانت تأخذ
مني مبلغاً كبيراً من الجهد والتفكير أيضاً وعملاً صدري بدخان من الشك والارتباب .

هذه المشكلة هي موضوع هذا الكتاب : هل محمد نبي أرسله الله حقاً ؟ هل
الإسلام وحده هو الدين المرضي عند الله ؟ لماذا لا تكون اليهودية أو النصرانية أو
غيرهما ؟

هذه المشكلة أخذت مني ماخذاً غير قليل ، وكنت أعزف عن الاستدلال بالقرآن
ظناً مني أن ليس فيه دليل .

وقلت لا بد من السير في هذا الطريق أيضاً فإن الله كما رحمني في الأولى سيأخذ
بيدي في الثانية ولن يضيعني واستعنت الله وطلبت منه الهداية والتوفيق .

وكنْتُ أريد الدليل العقلي على نبوة محمد لا الدليل القرآني فقد كنت أرى أن

القرآن دليل ادعائي لا عقلي ، ثم وجدت وأنا سائر في هذا الطريق أن الدليل العقلي الذي أنشده هو في القرآن وأن أدلة القرآن عقلية لا إدعائية تقنع طالب الحقيقة وصاحب البرهان .

ثم قرأت التوراة والإنجيل أكثر من مرة موازناً بينها وبين القرآن فوجدت القرآن أصفى اعتقاداً وأنأى عن التشبيه والتنمیل وعما لا يلحق بالله وبرسله ، وجدت أن كلاً من التوراة والإنجيل لا يعدو أن يكون كتاب سيرة اختلط فيه الحق والباطل وامتدت إليه يد التعريف - كما سنرى - وهذه الناحية برزت منذ القراءة الأولى ثم أعدت النظر في قراءتي حتى استقرت نفسي والحمد لله واطمأن القلب إلى سلامة ما نحن عليه .

وكنيت أرى لزماً عليّ أن أنقل هذه التجربة إلى الآخرين إذ لا شك أن فيهم من عانى مثل ما عانيت فأضع في طريقه مصباحاً أو اختصر عليه الطريق ، فأنفع وانتفع . فكتبت (نداء الروح) - باكورة إنتاجي - في الإيمان بالله واليوم الآخر وأجلت موضوع هذا البحث إلى الآن ولعل في تأجيله خيراً .

هذا هو السبب الأول في اختيار هذا الموضوع .

والسبب الثاني لاختيار هذا البحث - وهو سبب مهم - أن هذا الموضوع موضوع رئيس يبنى عليه تصحيح اعتقاد وتصحيح سلوك - كما قلت - .

فإذا أمانا بصحة هذه القضية قلنا بكل ما يترتب عليها من أمور جزئية ورفض كل ما يخالف هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً من دون تكليف أنفسنا في النظر في الجزئيات الكثيرة التي لا تكاد تنتهي .

وهذه مسألة كبيرة وبخاصة في هذا العصر الذي تعددت فيه الفلسفات وتشعبت فيه المبادئ والآراء . فإن مناقشة كل جزئية وبحث كل فكرة أمر يطول ويطول فالأولى الرجوع إلى مناقشة الأساس الذي تقوم عليه هذه الجزئيات فيما أن يصح فيصح ما يبنى عليه أو ينهار فينهار ما بني عليه . وبذلك نختصر الطريق والجهود ونستفيد من الوقت .

وهذا ما هدفنا إليه ها هنا أيضاً فإنه إذا صحت نبوة محمد ﷺ بالأدلة العقلية
صح ما يبنى على هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً من إيمان بأن الإسلام خير الأديان وخير
المبادئ وأمثل الطرق وأنه لا نجاة إلا به وإن كل خطوة في غير هذا الطريق ضياع
وضلال .

وبذلك تتم الفائدة المتوخاة من أقصر سبيل وأصح سبيل أيضاً .

وهذا هو السبب الثاني الرئيس للكتابة في هذا الموضوع .

وهما دافعان رئيسان كما ترى .

وأقول قبل إنهاء المقدمة أن القارئ قد يجد تعبيرات لا يرتاح إليها مثل قولنا
(أعلن محمد في القرآن) أو (ادعى محمد) وما شابه ذلك وهذا مجازة للخصم وهو
نحو قوله تعالى : « قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون » فعبر عن نفسه
بالإجرام ، وقوله : « وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » ، فأرجو ألا يضيق
به القارئ ذرعاً .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه وأن لا يبرزنا في ديننا وإيماننا

فكل خطب له أمر يهونه الا المصيبة في الأخلاق والدين

وبنا لا نزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

الجمعة ١٥ جادى الآخرة ١٣٩١ هـ

٦ آب ١٩٧١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الكريم زيدان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

فإن الكتابة ونحوها من الخطابة والمحاضرة إنما تحسن إذا كان من ورائها مطلب
خير مقصود يريد صاحبها الوصول إليه ، وبدون ذلك تكون الكتابة وأخواتها نوعاً
من العبث أو الترف العقلي المذموم والهاء الناس بما لا ينفع ولا يفيد . . . وخير
المطالب الخيرة على الإطلاق تعريف الناس بربهم وتوثيق صلتهم به ، وشحن
نفوسهم بمعاني الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وهداية
الحيارى منهم ورد الشاردين إلى طريق الله المستقيم ، وتجليه معاني الإسلام لهم ،
وإزهاق الباطل المقذوف حول عقيدة الإسلام و«نبى الإسلام» .

وهذا الكتاب الذي أقدم له هو من هذا النمط العالي الرفيع الذي يهدف إلى خير
المطالب الخيرة التي أشرت إليها ، وهو من أحسن وأجود ما قرأت في موضوعه وهو
إثبات نبوة محمد ﷺ وما يتعلق بهذا الموضوع الذي هو من ركائز الإيمان وعقيدة
الإسلام كما هو معلوم .

والدكتور فاضل صالح ، أسعده الله ، جعل عنوان الكتاب : (نبوة محمد من
الشك إلى اليقين) ، مما يوحى إلى القارئ ويتبادر إلى ذهنه أن المؤلف شك وارتاب
في نبوة محمد ﷺ ثم عاد إليه اليقين . . . ويؤيد هذا المتبادر من العنوان ما ذكره
المؤلف في مقدمته وبينه عما اعتراه من شك وارتباب . . . ولكن هذا المتبادر من
العنوان وما يفهم من مقدمة الكتاب ، ليس التعبير الدقيق لما اعتري نفس الكاتب

فلا أعتقد أنَّ الكاتب أصابه شك أزاح إيمانه بنبوَّة محمد ﷺ وإنما أصابه شيء من وساوس الشيطان وإلقاءاته وتحرشاته الممهودة بعباد الله المؤمنين .

ولا يقال هذا مني ظن محض ورجم بالغيب واحتمال بعيد وكلام غير صحيح . لأن كل إنسان أعرف بنفسه من غيره .

والكاتب يحدث عن نفسه ويخبر عما وقع له وهو صادق فيما يخبر عنه ويقول ، ويقر على نفسه ، والإقرار حجة على المقر كما يقول الفقهاء . . . وأقول رداً على هذا القول المحتمل أن يقال : أن الإنسان لا يكون دائماً أعرف بأحوال نفسه من غيره فقد لا يعرف ما في نفسه أو ما في بدنه من مرض .

وإذا أحسن به فقد لا يعرف نوعه، وإذا عرف نوعه فقد لا يعرف خطورته ولكن يعرف ذلك غيره من أطباء الأبدان والأرواح ، وإذا كان هذا مسلماً به فقد يخبر الإنسان عما في نفسه ولا يكون إخباره دقيقاً ولا مطابقاً لما هو الواقع فعلاً في نفسه ، وعلى هذا الأساس قلت ما قلته عن الكاتب وقياساً على ما وقع لي في مرحلة من مراحل عمري الفائتة .

وبيان ذلك أن الشيطان لا شأن له بالقلوب الميتة أو المظلمة المغلفة العمياء ، فقد انتهى منها ، وإنما همه القلوب المؤمنة فهي التي يبغي ويحوم حولها ويسعى لايجاد ثغرة فيها لاقتحامها لاطفاء نورها أو إزعاج أهلها بما ينفثه فيها من دخان أسود أو بما يلقيه فيها من زخرف القول الباطل .

ومثل الشيطان في ذلك مثل اللص اللئيم الخاقد على ذوي النعمة فهو لا يحوم حول البيوت الخربة المهجورة فليس فيها ما يغريه على دخولها وإنما يحوم حول البيوت المعمورة المملوءة بما يغريه على إقتحامها وسرقة ما فيها أو على الأقل إزعاج أهلها بجلبته وضوضائه وإلقاء الحجارة عليهم شفاءً لما في صدره من غيظ مكبوت وحقدٍ دفين يدل على ما قلناه ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : أنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال قد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال ذلك صريح الإيمان .

وفي الحديث الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟

ووجه الدلالة لهذين الحديثين الشريفين أن الشيطان يلقي الخواطر السيئة والوساوس في قلب المؤمن ليكثر صفو إيمانه بالله ، ومن المعلوم أن وساوسه لا تقف عند هذا النوع وإنما تشمل كل ما ينافي العقيدة الإسلامية وأصولها مثل الإيمان بنبوة محمد ﷺ واليوم الآخر ونحو ذلك .

وهذا الالتقاء الشيطاني يقلق المؤمن ويزعجه ويهيجه كما تزعجه وتهيجه الجرائيم تدخل جسمه ، ويستعظم المؤمن هذه الالتقاءات الشيطانية فلا يتكلم بها وإنما يسعى إلى دفعها والتخلص منها كما يسعى من أصابه مرض إلى الخلاص منه . وهذا كله من علامات حياة القلب وشدة حساسيته ضد كل دخيل طارئ عليه ينافي بإيمانه . وهذا ما حصل للمؤلف ، فقد استعظم ما أحس به وساءه شكاً وهو في الحقيقة نفث شيطاني ظل خارج قلبه لم يتوق على إقتحامه وإن ظن هو أنه اقتحمه . كالغبار يعلو إلى السماء فيغطي وجه القمر حسب نظر الناظر مع أنه بعيد بعيد عن القمر . ولهذا لم يتكلم الكاتب بما أحس به وإنما راح يسعى صامتاً يجمع الأدلة والبراهين لقمع هذا النفث الشيطاني وإزهاقه فكان هذا الكتاب .

ولا يقال هنا أو يظن أن ما حصل للكاتب يحصل حقاً لكل مؤمن ، فليس في كلامنا ما يدل على هذا الظن ولا نعتقد هذا ، وإنما الذي قصدناه وأردنا بيانه أن الشيطان من شأنه وعادته الإغارة على قلوب المؤمنين ما وجد إلى ذلك سبيلاً وهذا لا يعني أنه لا يسلم منه مؤمن أو أن غاراته كلها تكون من غط واحد . . . ومثله في ذلك مثل اللص الحقود اللثيم من شأنه وعادته إقتحام البيوت العامرة ولكن لا يعني هذا أن كل بيت عامر لا بد أن يقتحمه هذا اللص ولا يسلم منه ، وإنما يعني أن كل بيت عامر معرض لاعتداء هذا اللص .

والنبوة مشتقة من الإنباء ، والنبي على وزن فاعل ، وهو إما أن يأتي بمعنى فاعل فيكون المقصود بالنبي المنبئ . وإما أن يأتي بمعنى مفعول فيكون المقصود بالنبي

النبأ . والحقيقة أن هذين المعنيين متلازمان في إطلاقنا هنا كلمة : النبي لأن النبي هو الذي ينبيء الناس بما أنبأه الله به ، وهو منبأ بما أنبأه الله به وهذا التلازم بين المعنيين ظاهر في الرسول . لأن كل رسول هو نبي وليس كل نبي رسولاً والرسول هو الذي يكلف بتبليغ ما أنبأه الله به للناس أما النبي غير الرسول فهو الذي لم يكلف بتبليغ ما أنبأه الله به وفي هذه الحالة أي بالنسبة للنبي غير الرسول يمكن أن يقال أن النبي جاء على وزن فاعل بمعنى المفعول فيكون المقصود به : المنبأ .

ولفظ الأنباء وإن كان يعني الإعلام والأخبار ولكنه في عامة موارد في القرآن الكريم يراد به الأخبار عن الأمور الغائبة التي يختص بمعرفة من يخبر بها دون الأخبار بالأمور المشاهدة التي يشترك في معرفتها مع المخبر غيره من الناس . فمن هذه الاستعمالات القرآنية قوله تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام « وأنبيكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » .

وقال تعالى عن رسوله محمد ﷺ « فلما نبأها به ، قالت من أنبأك هذا ، قال نبياني العليم الخبير » .

وقال تعالى عن يوم القيامة : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم » .

وقال تعالى ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

والإيمان بالنبوات يقوم على الإيمان بالله تعالى ويتفرع منه ، فلا يتصور إيمان بالنبوات مع جحد لوجود الله تعالى . ومن هنا كان لا بد من الكلام ولو قليلاً عن الإيمان بالله وهذا ما فعله صاحب الكتاب فذكر بعض الأدلة على الإيمان بالله وأحال القارئ إلى كتابه « نداء الروح » للوقوف على المزيد من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى وضرورة الإيمان به . والحقيقة أن مسألة الإيمان بوجود الله هي أكبر وأظهر البدييات على الإطلاق وتساوي في ظهورها وبدايتها قولنا : « واحد زائد واحد يساوي اثنين » وما من شيء على الإطلاق عليه من الأدلة والبراهين المثبتة لوجوده مثل وجود الله تعالى . فكل شيء بلا استثناء من ملموس ومرئي ومسموع ، وبكلمة أشمل ، كل موجود في الأرض هنا أو في السماء وأجرامها هناك دليل قاطع وبرهان ساطع على وجود الله تعالى . وكل تقدم علمي يظفر به الجنس البشري يقدم لنا

مقادير هائلة من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى كما حصل في مجال الذرة والصعود إلى القمر . ولو أردنا إحصاء هذه الأدلة والبراهين على وجود الله سواء في ما يختص بمعرفته العلماء وما يشترك معهم في معرفته العوام لما استطعنا لها عدداً .

والإيمان بوجود الله تعالى بعد هذا ، مركوز في نفس الإنسان ومفطور عليه ، والمنكرون له شرذمة قليلة يقوم إنكارها على محض المكابرة والعناد ، وكثيراً ما يزول هذا العناد عند الشدائد فيعود الإيمان إلى نفوس المعاندين وفي هذا وقائع كثيرة جداً لأن الغالب إصابة الناس بالشدائد والضراء ، ومن هذه الوقائع ما روت إحدى المجلات من حديث لطيار ملحد عن أخرج الساعات التي مرَّ بها أثناء عمله في الحرب العالمية الثانية ، قال : كان رجلاً ملحداً لا يعرف الله ولم يذكر اسمه قط ، وفي إحدى غاراته على العدو أصاب طائرته خلل خطير لا خلاص له منه ومعنى ذلك الموت المحقق له . قال ذلك الطيار الملحد : فوجدت نفسي وبلا شعور مني ولا إرادة ولا قصد أهتف باسم الله طالباً منه العون والممدد ، وقد جاءه الممدد ونجا بأعجوبة .
بينها في حديثه وصار بعدها من المؤمنين . ولما كان الإيمان بوجود الله تعالى مفطوراً عليه الإنسان بأصل خلقته وجبلته « فطرة الله التي فطر الناس عليها » لم يرسل الله تعالى رسلاً ليثبتوا للناس وجود الله وإنما أرسلهم ليثبتوا لهم استحقاق الله وحده للعبادة بجميع أشكالها ومعانيها .

قال تعالى حكاية عن بعض ما قاله رسل الله إلى أقوامهم « قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض » وقال تعالى مبيناً . بم أرسل جميع رسله : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » .

وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . والإله هو المألوه أي المعبود الذي تأله القلوب بغاية المحبة والخضوع ، فلا معبود بحق إلا الله تعالى ولما كان المشركون مقرين بوجود الله وبربوبيته وتفردّه بالخلق والإحياء والإماتة والنفع والضّر والعطاء والمنع والرزق ، فإن القرآن الكريم يذكرهم بهذا الإقرار ويقول لهم إن الله هو الإله الفرد كما هو الرب الفرد . وإذا كان الله تعالى هو المستحق وحده للعبادة وإن الله ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فلا بد

من تعريف الخلق بكيفية عبادته وطرق ومناهج هذه العبادة . فكان من رحمة الله أن أرسل لهم رسلاً من جنسهم يبينون لهم مناهج عبادة الله التي يسعدون بها ، فيعته الرسل من لوازم ومظاهر رحمة الله بعباده وربوبيته لهم ، ولهذا كان إنكار النبوات جهلاً بحقيقة ربوبية الله وتنقيصاً بقدر الله . قال تعالى : « وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالُوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس . . . الخ » .

وإذا كان إرسال الرسل من لوازم ربوبية الله تعالى ورحمته ، فإن هذا اللازم قد حصل فعلاً ، فقد أرسل الله تعالى للناس رسلاً مبشرين ومنذرين على فترات من الزمن ، حتى صارت أخبار الرسل ومجيئهم للناس ودعوتهم إلى عبادة الله وبأن الله أرسلهم ليلبغهم رسالاته صار كل ذلك من الأمور الشائعة المعروفة عند البشر المقطوع بوقوعها ولهذا قال تعالى لرسوله الكريم ﴿ ﷺ ﴾ « قل ما كنت بدعاً من الرسل » . وقال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

فجنس الرسل وإن كان قليلاً في البشر إلا أنه معروف عندهم غير منكور كما قلنا وجميع رسل الله دعوا إلى عبادة الله وحده كما أشرنا إلى ذلك ، من قبل ، ولهذا كان دين الأنبياء واحد وإن اختلفوا في طرائق العبادة ومناهجها ، قال ﴿ ﷺ ﴾ « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأنا أولى بآبى مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » . وقال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

ولما كان الأنبياء دينهم واحد « ومرسلهم واحد وهو الله جل جلاله كان الإيمان بجميعهم واجباً لا يجوز التفريق فيما بينهم بهذا الإيمان قال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً » .

وقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون « كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » .

وإذا كان الإيمان بجميع الأنبياء واجباً . فإن الطاعة تكون للرسول القائم إلى أن

بأنبي الذي بعده فتكون الطاعة له ، وهذه الطاعة في الحالتين هي في الحقيقة طاعة الله . قال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . ومن يرفض طاعة الرسول المتأخر بحجة طاعته للرسول المتقدم حجة داحضة غير مقبولة في عقل ولا دين ومثله مثل الذي يرفض طاعة أميره الذي عينه السلطان العادل بحجة أنه مطيع ومتبع للأمير السابق الذي مات . . . وهذا محض الجهل لأن طاعة الرسول كما قلنا هي طاعة الله .

والرسول إنما يطاع باعتباره رسولاً يبلغ عن الله ولا يطاع لذاته . ولهذا كان الرسول المتقدم يبشر بالرسول الذي يأتي بعده مذكراً قومه بهذه البشارة بلزوم طاعته . قال تعالى عن بشارة عيسى عليه السلام بمحمد ﴿ ١١٠ 》 . « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » . والرسول المتأخر يصدق الرسول المتقدم قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » . وقد ذكر المؤلف ، أسعده الله ، بعض النصوص من التوراة التي في أيدي اليهود الآن ومن الإنجيل الذي في أيدي النصارى الآن . وهذه النصوص صريحة في دلالتها على نبوة محمد ﴿ ١١١ 》 .

وإذا كان رسل الله يبلغون رسالاته ، وعلى البشر طاعتهم وفاء بحق الله عليهم وظلماً بالسعادة في الدارين ونجاةً من العقوق والعصيان وما يترتب على ذلك من شقاوة لهم وسخط الله عليهم ، أقول إذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يؤيد رسل الله بما يدل على صدقهم ولا يلتبس أمرهم بغيرهم من المقتريين على الله الكذب ، وهذا ما حصل فعلاً ، فإن الله تعالى من تمام نعمته ورحمته وإقامة الحجة على عباده ، أيد رسله بآيات تدل على صدقهم وعلى أنهم رسل الله حقاً ، وهذه الآيات هي التي يسميها العلماء بالمعجزات ، أما القرآن فيسميها الآيات . وكذا يسميها رسوله ﴿ ١١٢ 》 ، وهذه التسمية أولى من تسميتها بالمعجزات ، فمن إستعمالات القرآن قوله تعالى : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » . « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » . ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه » .

وفي الحديث الشريف ، قال ﴿ ١١٣ 》 : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من

الآيات ما آمن على مثله البشر . . . الخ » .

وقد يسمي القرآن معجزات الأنبياء بالبينات كما في قوله تعالى « ولقد جاءهم
رسلهم بالبينات » وقال تعالى : « وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين
حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني
اسرائيل . قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين » . فالْبَيِّنَةُ والآية ،
في هذه الآيات هي المعجزة التي أيد الله بها رسله ليظهر صدقهم .

ولما كانت رسالة محمد ﷺ عامة لجميع البشر عربهم وعجمهم ، أبيضهم
واسودهم قال تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » .

وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » . وأنه خاتم الأنبياء
قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ،
كانت آيات نبوته متنوعة ومعروفة للذين أرسل إليهم ومناسبة لجميع الناس على
اختلاف معارفهم وعقولهم واستعداداتهم . وهذا ، والله أعلم سر تنوع آيات نبوته
ﷺ . فمن آيات نبوته سيرته العطرة وأخلاقه الزكية وصدقه التام فما عرف عنه
كذب قط ولا خيانة قط ولا فاحشة قط ولا شك أن مثل هذه السيرة العطرة الطيبة دليل
كاف لذوي العقول السليمة والفطر السليمة على نبوة محمد ﷺ . فإن الذي لم
يعرف عنه كذب في أهون الأمور لا يتصور منه الكذب على الله الذي هو أفحش
الكذب قال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلى ولم يوح
إليه شيء » ، ولهذا كانت سيرته ﷺ دليلاً كافياً على نبوته عند أبي بكر الصديق
وخديجة ولم يطلبها خارقاً أو دليلاً آخر على صدقه ﷺ . وكذلك أسلم أعرابي جاء
إلى رسول الله ﷺ وسأله الله أرسلك للناس ؟ قال نعم . فأسلم الأعرابي وقال
ليس هذا الوجه - أي وجه رسول الله - وجه كذاب ذلك أن التسلسل بالصدق يترك
آثره في قسائم وجه الصادق يبصره ذوو البصائر والقراصة . ولكن ليس كل الناس
كأبي بكر وخديجة وذلك الأعرابي في سرعة الاستجابة والاكتفاء بسيرة النبي ﷺ
والاستدلال بها على صدقه ونبوته ، فلا يد من تنوع آيات نبوته ، وهذا ما حصل .
وقد ذكر الدكتور فاضل حفظه الله بعض هذه الآيات المقولة إلينا نقلاً متواتراً مثل
إنشقاق القمر والإسراء ووصفه لبیت المقدس ولم يكن قد رآه قبل أن أسري به

﴿١١٠﴾ وتسبيح الحصى في كفيه وحنين المذع له وتكثير الطعام ونسج الماء من بين أصابعه الشريفة . ولكن أعظم تلك الآيات على الإطلاق القرآن العظيم فهو آية العظمى التي لا تزال قائمة بيننا تحرس كل مبطل وتتحدى كل جاحد وتثبت صفات الإيمان : قال ﴿١١١﴾ مشيراً إلى عظم هذه الآية : أي القرآن الكريم « ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . ومظاهر وجوه إعجاز القرآن ودلالته على نبوته ﴿١١٢﴾ كثيرة جداً ذكر بعضها صاحب الكتاب . ومن المعروف أن القرآن الكريم تحدى كل مرتاب أو منكر لنبوة محمد ﴿١١٣﴾ بأن يأتي مثل هذا القرآن إن كان صادقاً في إنكاره نبوة محمد ﴿١١٤﴾ قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . ومن سولت له نفسه تحديه جاء بكلام ساقط مضحك يفضح كذب هذا المنكر المكابر كما وقع لمسلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وجاء بساقط القول متحدياً القرآن ، فكان مما جاء به من لغو ساقط قوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كما تنفين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وأسك في الماء وذئبك في الطين » .

والحقيقة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يصنعه إنسان قط لأنه كلام رب العالمين المختص به ، وأية محاولة من أي إنسان للإتيان بمثله فهي فاشلة قطعاً ، قال تعالى : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله » فلا يمكن ولا يجوز أن يصدر هذا القرآن إلا من الله تعالى ، ولا يمكن أن يصنعه أي مخلوق لأنه خارج عن قدرته .

وإذا ثبت بالدليل القاطع أن محمداً ﴿١١٥﴾ رسول الله حقاً إلى جميع الناس فعليهم تصديقه والإيمان بنبوته لا سيما أصحاب الأديان من يهود ونصارى وغيرهم لأنه ما من أمة دعيتهم إلى الإيمان بأنبيائهم إلا ولرسول الله محمد ﴿١١٦﴾ مثل تلك الآية وأكبر منها . ويفضل جميع الأنبياء بآيته الكبرى الباقية حتى الآن وهي القرآن الكريم ، بهذا آيات الأنبياء جميعاً كلها مضت وبقيت أخبارها . فلا يسوغ في عقل الإيمان بنبوته الأنبياء السابقين وإنكار نبوة محمد ﴿١١٧﴾ . ومثل من يفعل ذلك مثل من يؤمن بفقهِ فلان لأنه طالب في الصف الأول بكلية الدراسات الإسلامية وينكر فقه أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل ، أو يؤمن بشاعرية فلان لأنه نظم قصيدة متهافة

ركيكة وينكر شاعرية المتنبي أو البحري ، أو يؤمن بعلم فلان بالنحو لانه طالب في الصف الأول في كلية اللغة وينكر معرفة سيبويه بالنحو أو يؤمن بعلم فلان بالحديث لحفظه بعض الأحاديث وبعض فنون الحديث واصطلاحاته وينكر على البخاري علمه ومعرفته بالحديث .

فإذا كان ذلك كله مستنكراً في العقول السليمة فإن إنكار نبوة محمد ﷺ مع الإيمان بنبوة غيره أشد إستنكاراً .

ويرد هنا سؤال ، إذا كان الأمر كما قلنا فلماذا لم يؤمن أصحاب الأديان الأخرى بنبوة محمد ﷺ ولماذا يعمون في هذا التناقض الذي ضربت له الأمثال ؟ والجواب من وجهين :

« الوجه الأول » الجهل . فمن جهل شيئاً لم يقدره ولم يعرف قيمته وهكذا الأمر بالنسبة لنبوة محمد ﷺ وآيات نبوته فمن جهلها ولم يعلمها إما لعدم بلوغه خبرها وخبر دعوته وآيات صدقه أو بلغه ذلك محرفاً مشوهاً دون أن يتحرى وجه الصواب ويطلب المعرفة الصحيحة في مسألة نبوته عليه الصلاة والسلام فيبقى على جهله وعدم إيمانه به ﷺ . وإذا كان على دين وكان عنده شيء من عقل أبصر تناقض دينه فربما تمرد عليه وبقي بلا دين أي بلا إتباع نبي . وهذا السبب أي الجهل هو الغالب على عامة أصحاب الأديان . ومن هنا كان القيام بتبليغ الدعوة الإسلامية إلى أهل الأرض من الفروض على المسلمين

«الوجه الثاني» اتباع الهوى، وهذا هو الغالب على طلاب الرياسة مما حملهم على العناد وعدم الإيمان بنبوة محمد ﷺ، فإن الهوى كما قيل يعمي ويصم وله تأثير بالغ في النفس، فهو يشبه الدخان الأسود الكثيف الذي يمر على لوح أبيض ناصع البياض، فكلما مرَّ عليه ترك سواداً فيه وغطى بياضاً منه حتى يسوده تماماً، وهكذا قلب الإنسان، يسود تماماً بسبب أهواء النفس التي تعصف فيها فلا يعود يبصر الحق، وإذا بصره فلا يتحمس له ولا يندفع نحوه ولا يرضى به ولا ينقاد إليه، وقد حدثنا القرآن الكريم عن أصحاب الكتاب وأنهم يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك لم يؤمنوا به عناداً منهم واتباعاً لأهواء نفوسهم حرصاً منهم على الرياسة باسم

الذين على اتباعهم وهكذا كان شأن فريق من كفرة قريش اعمى قلوبهم الهوى حتى لم يعودوا يبصرون الايات واذا ابصروها لم يتفعلوا بها، بل يزدادون بها ضلالاً ويؤولونها التأويلات الباطلة. قال تعالى: «وقالوا مهما لنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين». وقال تعالى: «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين» وقال تعالى: «وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون» وقال تعالى: «ولو لرنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين».

وهذا غاية الخذلان وانتكاس القلب. بل إن اسوداد القلب بسبب اتباع الهوى بالغ مبلغاً عظيماً بحيث أن صاحبه لو ابصر نار الآخرة حقيقة ثم عاد إلى الدنيا لعاد إلى كفره وتكذيبه. قال تعالى: «ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب باهات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما هموا عنه وإنهم لكاذبون». وهذا شيء عظيم جداً يرتعد منه المسلم الحريص على إيمانه ويجعله دائم المراقبة لنفسه وما يجري فيها من تيارات الهوى الخفية لئلا تشتت لولم به من الحق حتى تزججه عنه تماماً.

ومهما يكن من أسباب جحد الجاحدين بنبوة محمد ﷺ فإن جحودهم في واقع الأمر تصديق لما أخبر به القرآن من عدم إيمانهم، كما أن إيمان من آمن منهم تصديق لما أخبر به القرآن الكريم من إيمانهم. وفي هذا وذاك دليل آخر يضاف إلى أدلة نبوة محمد ﷺ. ولا يقدح في نبوته ﷺ تكذيب من كذبه فإن في الإنسان استعداداً هائلاً للانحدار والضلال، وقد يبلغ به السفه كما بلغه فعلاً أن يشد الرحال لقتل رسول الله كما فعل المشركون الأولون، فلم يكتفوا بعدم الإيمان به والإهتداء بهديه وهم يرون آيات صدقه ونبوته، وإنما راحوا يدبرون الكيد له لاغتياله في مكة فلما لحاه الله منهم أرادوا اللحاق به إلى المدينة لقتله وقتل أتباعه. فهل هناك أكبر من هذا الاستعداد الهائل في الضلالة وعمى البصيرة؟

نعم بالله من الخذلان، ولهذا نحن لا نعجب أبداً من تكذيب المكذبين ومن سداد كثير من الناس عن الحق. ونحن نعلم يقيناً أن المشركين الأقدمين كانوا يرون رسول الله ﷺ بوجهه النير مؤيداً بآيات ربه ودلائل صدقه ومع هذا كذبوه بل واتلوه، فليحمد المسلم على نعمة الإسلام وليعض عليها بالنواجذ حتى يلقى

عليها الله وليكثر من قول « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » .

وبعد : فإني أعود إلى ما قلته أولاً من أن هذا الكتاب من أجود وأحسن ما قرأت في موضوعه ، وأحسب أن صاحبه قد وفق في تأليفه كثيراً فليحمد على ذلك . وليس قصدي من هذا الكلام مدح الكتاب وصاحبه وإن كان المدح في محله ولمستحقه سائغاً مقبولاً .

وإنما قصدي الدلالة على ما ينفع الناس ويحتاج إليه الكثيرون منهم وإن كان في ثنايا هذه الدلالة مدح الكتاب وصاحبه ، ومثلي في ذلك مثل من يدل العطشى على عين ماء عذب ويدل الجياع على قصعة طعامها شهية لذية مباح وإن كان في ثنايا هذه الدلالة الإشارة إلى فضل من قدم هذا الطعام وتسبب في تدفق ذلك الماء العذب الزلال .

أثاب الله مؤلف هذا الكتاب بسعادة الدارين ونفع به الناس وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الكريم زيدان

بغداد جمادى الأولى / ١٣٩٢

حزيران ١٩٧٢

بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْحَادِثِ وَالْإِيمَانِ

هناك فكرتان رئيستان في تفسير نشوء الكون والخلق والإيجاد ؛ فكرة مادية لا نلتزم ولا ترى أن وراء الكون المادي قوة تفسر نشوء الكون وخلقته وإيجاده ، وفكرة أخرى إيمانية إلهية ترى أن لهذا الكون إلهاً مبدعاً عالماً قديراً لا حدود لعلمه وقدرته وإرادته . ونحن هنا لا نريد أن نقصي الأدلة على وجود الخالق فإن هذا لا يمكن أولاً لأنها من الكثرة والتنوع والتعدد بحيث لا يمكن حصرها ، ثم إنها ليست موضوع بحثنا وإن كانت هي القاعدة الأولى لبحثنا وحسبنا هنا أن غمس الموضوع مساً خفيفاً يتناسب وما نحن بصددده .

١ - لو نظرنا إلى الإنسان وأجهزته - مثلاً - لرأينا أن كل عضو من أعضائه يقوم بوظيفة معينة وإنه موضوع لغاية محددة مرسومة فالعين - مثلاً - وضعت وصممت لتقوم بوظيفة الرؤية وكل أعضائها وأنسجتها وضعت وصممت لخدمة هذه الغاية ؛ والأذن صممت ووضعت لتقوم بوظيفة السمع وكل عضو من أعضائها صمم ليقيم بوظيفة خاصة تخدم هذه الغاية الكبيرة وهكذا كل عضو في جسم الإنسان رسمت له وظيفة محددة واضحة يقوم بها ، فمن الذي حدد الغايات وصنع كل جهاز وكيّفه ليقيم بهذه الغاية ؟

إن الناظر في جسم الإنسان أو أي كائن حي آخر يرى أن مصممه وخالقه عالم بما يرهده من كل عضو ، فالقلب والرئتان والمعدة والأمعاء والكبد والكليتان واللسان والأسنان والغدد المختلفة وغيرها وغيرها كلها واضحة الأهداف والغايات فدل ذلك على أن مصممه عالم بالغايات وصمم كل عضو وخلقته ليقيم بتنفيذ هذه الغايات والأهداف بدقة . ألا ترى أن الذي جعل لسان الزمار في سقف الحلق - مثلاً - يعلم أن وجوده في مكانه ضروري لمنع دخول الطعام إلى الرئتين ؟ وأن الذي وضع الصفراء والبنكرياس على علم بأن وجودهما ضروري لتحليل المواد الدهنية ؟ وإن

الذي وضع الكبد والكليتين في مكانها على علم بمهمتها وضرورتها للجسم ؟ وإن الذي وضع في الأذن مادة مرة سامة وفي الفم مادة حلوة - أعني اللعاب - على علم بما يصنع ، فلماذا لم يكن الأمر على العكس لو كان الأمر كله خطأً واتفاقاً ؟

وما أصدق قول القائل « إن الذي خلق العين على علم بقوانين الضوء وإن الذي خلق الأذن على علم بنواميس الصوت » ولولم يكن خالق العين عالماً بقوانين الضوء في الإنكسار والانعكاس وغيرهما لما حصلت الرؤية ، ولولم يكن خالق الأذن على علم بنواميس الصوت لما حصل السمع .

إن (المصادفة) لا يمكن أن تفسر هذا الأمر البتة لأن المصادفة قد تقع في أمر واحد أو اثنين ولا يمكن أن تجتمع في آلاف أو ملايين الموافقات .

فأنت إذا رأيت حرفاً هجائياً منتظماً بخطوطاً حضر إلى ذهنك أن ثمة كاتباً لهذا الحرف وربما وضعت احتمال المصادفة على بعده فإن رأيت كلمة مكتوبة ذات معنى ابتعد احتمال المصادفة فإن رأيت سطرأ كانت المصادفة أبعد فإن رأيت صفحة انتفى أمر المصادفة فإن رأيت كتاباً استحال أمر المصادفة فإن الإنسان أكبر من أي كتاب بل إن كل جهاز منه هو كتاب بل كل عضومه إنما هو كتاب فالأذن وتكوينها وأعضاؤها إنما هي كتاب ، والعين كتاب ضخيم وهكذا فأبي احتمال للمصادفة ههنا ؟

وقس على ذلك بقية المخلوقات الهائلة من حيوانات ونباتات وقس على ذلك ما في الكون الهائل من دقة وانتظام وغايات .

إن المصادفة لا تصح لتعليل نشأة خلية واحدة كما هو مقرر علمياً فكيف بمليين الخلايا المتباينة ذات الأهداف المتباينة والغايات البعيدة ؟

قال الدكتور فرانك اللن عالم الطبيعة البيولوجية : « إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية ، وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون واللايدروجين والنيتروجين والأكسجين والكبريت . ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٥٠٠٠٠ مرة . ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة (٩٢) عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن

لخلط خلطاً مستمراً لكي تولف هذا الجزيء ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد .

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلز يوجين بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تنهياً عن طريق المصادفة لتكوين جزيء برويتيني واحد إلا بنسبة (١) إلى ١٦٠٠ أي بنسبة (١) إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة ، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بلايين المرات . ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ٢٤٣١٠ سنة .

إن البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية . فكيف تتألف ذرات هذه الجزيئات ؟ إنها إذا تألفت بطريقة أخرى غير التي تتألف بها تصير غير صالحة للحياة بل تصير في بعض الأحيان سُموماً . وقد حسب العالم الانجليزي ج . ب . ليثر J.B.Leathers الطرق التي يمكن أن تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ الملايين ٤٨١٠ . وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً برويتينياً واحداً .

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيمائية عديمة الحياة ولا تدب فيها الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري من كنهه شيئاً . انه العقل اللانهائي وهو الله وحده الذي استطاع ان يدرك ببالغ حكمته ان مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لان يكون مستقراً للحياة فبناه وصوره وأغدق عليه سر الحياة .

وقال الدكتور جون ادولف بوهرلر استاذ الكيمياء بكلية اندرسون ومتخصص في تركيب الأحماض الامينية : « عندما يطلق الإنسان قوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر في الطبيعة مثل تكوين جزيء واحد من جزيئات البروتين من العناصر التي تدخل في تركيبه فإننا نجد أن عمر الأرض الذي يقدر بما يقرب من ثلاثة بلايين من السنين أو أكثر لا يعتبر زمناً كافياً لحدوث هذه الظاهرة

وتكوين هذا الجزيء عن طريق المصادفة .

فالقول بالمصادفة في الحقيقة إنما هو فرار من التعليل العلمي والإلزام المنطقي العقلي بوجود الخالق المبدع . ولكن أنى لهم هذا ؟ فالموافقات الكثيرة والغايات الدقيقة والأهداف الواضحة تفني هذا الاحتمال البتة كما رأيت وكما هو مقرر علمياً .

٢ - نظرة إلى عالم الحيوان ترىنا أنه على أنواع منها ما يسير في الأرض ومنها ما يطير في السماء ومنها ما يسبح في الماء وقد أعد كل صنف اعداداً خاصاً تبعاً لنوع معيشته . فقد زود الطير بأجنحة وهيئت أجهزته وبنأه الجسمي للطيران في الهواء ، وزود السمك بخياشيم يستطيع معه ان يتنفس الهواء المذاب في الماء .

ثم نرى ان الحيوانات مكيفة بحسب بيئتها فالحيوانات التي تعيش في المناطق الحارة تختلف عن اختها التي تعيش في المناطق الباردة من حيث بناء الجسم وتغطيتها بفراء خنينة أو شعر طويل ، والتي تعيش في المناطق الصحراوية تختلف عن التي تعيش في المناطق الكثيرة الماء وقد أعد كل صنف اعداداً خاصاً تبعاً لتنوع معيشته واختلاف بيئته ، فمن الذي أدرك هذه الحاجات وزود كل صنف بما يحتاج إليه ؟ من الذي غطى الحيوانات القطبية بالفراء الخنينة والأشعار الطويلة والبناء الجسمي المتين ونزع ذلك عن اختها في المناطق الحارة ؟ من الذي زود الحيوانات الصحراوية بقبابلية جسمية على خزن الماء وتحمل العطش وأعد جسمه وفمه للعيش على النباتات الصحراوية القاسية ونزع ذلك عن الحيوانات التي تعيش في المناطق الكثيرة الماء؟ ألسنت ترى ان الذي جعل معدة الجمل - مثلاً - ذات مخادع لخزن الماء يعلم انه حيوان يعيش في منطقة قليلة الماء ؟ أولست ترى أن الذي جعل باطن فمه مغلفاً بمادة سميقة ليتلقى الاشواك والنباتات الصحراوية القاسية يعلم بأنه حيوان صحراوي يعيش على هذا النوع من النباتات وزوده بما يصلحه لذلك؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن كل صنف من الحيوان أودعت فيه غرائز تهديه إلى ما يصلحه ويبقى نوعه بطرائق في غاية الدقة والعجب وهو يقوم بذلك وإن لم يكن رأى أحداً من بني جنسه يقوم بها . فلو قدر لك أن تأخذ بيضة نحل وتفقسها بطريقة علمية بعيدة عن كل نحلة فلا شك أنها بعد فترة وجيزة ستبني خلية من الشمع على شكل سدس منتظم وإن لم تكن رأت أمها أو أحداً من جنسها ،

لمن الذي علمها صنعة المسدس المنتظم لخزن العسل وهي لم تراها أو أحدى من جنسها يفعل ذلك ؟

وهناك أمثلة كثيرة لمثل هذه الإلهامات

ومن طريف ما مر بي أن أحد أصدقائي وضع زهاء ثلاثين بيضة دجاج معها بيضة واحدة لطير مائي في مائدة تفريخ وبعد مرور المدة فقس جميع البيض ونزلت الفراخ من المائدة وبعد نزولها توالى ذهاب فراخ الدجاج إلى الحديقة تبحث في التراب وانفرد عنها فراخ الطير المائي فذهب إلى الساقية يسبح ولم تغره الجموع الكثيرة من الفراخ لذهاب معها ، فمن الذي أعلمه أنه طير مائي وأرشدته إلى ذلك وهو لم يشاهد أمه أو أحدى من جنسه ؟

إنه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

٣ - ثم لو نظرنا إلى هذه الأرض التي ندرج عليها ووضعها في الكون الفسيح لرأينا أنها اجتمعت عليها ألوف العوامل بل ملايين العوامل لتجعلها صالحة للحياة ، فحجمها الحالي وبعدها الحالي عن الشمس وميلان محورها بهذا القدر وقشرتها الأرضية السهلة الاستعمال وسمكها وتوزيع الماء واليابسة ووضع الجبال وتركيب الماء من عناصر معينة بنسب معينة وخلط الهواء من عناصر معينة بنسب معينة لو اختلفت لفست الحياة ، وغلافها الغازي وتكوينه وحجمه كل ذلك وغيره عوامل لو اختلف واحد لاختلف نظام الحياة أو استحال ، فمن الذي أدرك هذه العوامل والقوانين وعلّمها وألف بينها لتظهر الحياة ؟ اليس الذي فعل ذلك عالماً قديراً حكماً مدبراً ؟

قال الدكتور فرانك اللن : « ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير (يزيد على ٥٠٠ ميل) .

ويبلغ هذا الغلاف الغازي من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يومياً إلينا منقضة بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية ، والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطراً يحيى

الأرض بعد موتها والمطر مصدر الماء العذب ولولاها لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة.

ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة . . . وكثيراً ما يسخر البعض من صغر حجم الأرض بالنسبة لما حولها من فراغ لا نهائي . ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر أو حتى لو أن قطرها كان ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت ، أما لو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي وزاد الضغط الجوي من كيلوجرام إلى كيلوجرامين على السنتيمتر المربع ويؤثر كل ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعاً كبيراً وتنقص مساحة الأرض الصالحة للسكنى نقصاً ذريعاً وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية منفصلة أو في أماكن متناحية فتزداد العزلة بينها ويتعذر السفر والاتصال بل قد يصير ضرباً من ضروب الخيال .

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها ١٥٠ ضعفاً ولتقص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً ولا ترتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ كيلوجراماً على السنتيمتر المربع ولوصل وزن الحيوان الذي يزن حالياً رطلاً واحداً إلى ١٥٠ رطلاً ولتضائل حجم الإنسان حتى صار في حجم ابن عرس أو السنجاب ولتعدلت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات .

ولو أزيلت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء . وتجددت الكائنات الحية على سطح الأرض . ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ولالت الفصول إلى نصف طولها الحالي إذا لم كان هناك فصول

بالمرءة ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة .

وعلى ذلك فإن الأرض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها هيء للإنسان أسباب الحياة والاستمتاع بها في صورتها المادية والفكرية والروحية على النحو الذي نشاهده اليوم .

وقال الدكتور ماريت ستانلي كونجندن عضو الجمعية الامريكية الطبيعية :
« استطع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكاائه في عالم فيض بالأمور العلمية أن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة تدبر هذا الكون وتدبر أموره وتعلمنا على فهم ما يغمض علينا من أمر منحنيات التوزيع ودورة الماء في الطبيعة ودورة ثاني أكسيد الكربون فيها وعمليات التكاثر العجيبة وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية وما لا يحصى من عجائب هذا الكون إذ كيف يتسنى لنا أن نفرس هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيراً يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي ونعم نستطيع أن نفرس هذا الانتظام في ظواهر الكون ، والعلاقات السببية ، والتكامل ، والغرضية ، والتوافق والتوازن ، التي تنظم سائر الظواهر وتحدد آثارها . من عصر إلى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي . الله وأبدعه ودبر سائر أموره ؟ » .

« - لقد دلت الأبحاث العلمية بصورة قاطعة على أن الكون ليس أزلياً وأن نشأته بداية وأن عمره يقدر بنحو خمسة بلايين سنة وقد أثبتت الأبحاث العلمية في مختلف المجالات هذا الأمر . قال الدكتور ادوارد لوثر كيل : « وقد يعتقد بعضهم أن هذا الكون هو خالق نفسه على حين يرى البعض الآخر أن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد في وجود إله أزلي .

ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي الأخير . فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً فهناك اللقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام

الحارة . ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة . ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميوية أو طبيعية ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون . ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود . وهكذا توصلت العلوم - دون قصد - إلى أن لهذا الكون بداية . وهي بذلك تثبت وجود الله لأن ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدئ ، أو من محرك أول أو من خالق هو الإله .

ولا يقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة » .

وقال الدكتور فرانك اللن : « والرأي الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون وذلك في عنصر واحد هو الأزلية . وإذن فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت وإما أن ننسبها إلى إله حي . وليس هنالك صعوبة فكرية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثر مما في الآخر ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً وانها سائرة حتماً إلى يوم نصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق » ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقة عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت . أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو إذن حدث من الأحداث . ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية عليهم محيط بكل شيء قوي ليس لقدرته حدود ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه » .

« وقد أدرك سير اسحاق نيوتن أن نظام هذا الكون يشبه نحو الانحلال وإنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته ووصل من ذلك إلى أنه لا

بد أن يكون لهذا الكون بداية « ١١ » .

وهذا دليل في غاية المثانة والقوة . فالحرارة - كما هو معلوم - تنتقل من الأجسام الساخنة إلى الباردة وليس العكس . ونحن نرى أن في الكون أجساماً حارة كالشمس المتوهجة وأجساماً باردة كالأرض والقمر والفضاء المحيط بالأجرام فالحرارة تنتقل من الأجرام الحارة إلى الباردة ، وبمرور الزمن تتساوى درجة الحرارة في الكون . ولما كانت درجات الحرارة لا تزال مختلفة فهناك أجرام حارة وأجرام باردة معنى ذلك أنه لم يمر عليها العمر الكافي لكي تتساوى ، ومعنى ذلك أن للكون ما لم يكن له بداية لتساوت درجات الحرارة منذ أمد بعيد لأن العمر الطويل مرث به عند ذلك فصيل يتساوى الحرارة لأنه أطول من أي عمر يكفي لتساوي الحرارة . وتوضح ذلك أن الأرض مثلاً انفصلت عن الشمس وهي قطعة ملتصقة بها . وكذا من السنين حتى فقدت حرارتها ، والشمس أكبر من الأرض . وكذا بلبيون من السنين حتى تفقد حرارتها والأجرام الأخرى التي هي أكبر من الشمس تحتاج إلى كذا بلبيون من السنين حتى تفقد حرارتها ولنفتراض أن الكون عمره إلى ألف بلبيون من السنين لتتساوى حرارته ، إذن فالعمر الكافي لتساوي الحرارة لم يمر بعد على هذه الأجرام . ومعنى ذلك قطعاً أن للكون بداية إذ لو مر هذا العمر لتساوت حرارته . ولو لم يكن له بداية لتساوت حرارته لأن ما مر عليه من السنين يكون عند ذلك أكثر بكثير من هذا العمر . وهذا في غاية الوضوح .

ولما كان للكون بداية لزم أن يكون له موجد . فإن الكون كان صفراً أي لم يكن له شيء فلا يمكن أن يوجد نفسه مع انه غير موجود . وإذن فلا بد من قوة موجدة لهذا الكون تختلف عنه وهو الله سبحانه .

ويؤيد الأبحاث الكيماوية على مثل ذلك قال الدكتور دونالد روبرت كار ، أستاذ الكيماة الجيولوجية واختصاصي في تقدير الأعمار الجيولوجية باستخدام الاشعاعات الكيماوية : « أما عن تحديد عمر التكوينات الجيولوجية مثل مواد الشهب وغيرها فقد تم باستخدام العلاقات الاشعاعية أن نحصل على صورة شبه كمية عن تاريخ

الله ينحل في عصر العلم ص ٩٢ وانظر ص ٨ ، ٢٩ .

الأرض . ويستخدم في الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الأرض بدرجات متفاوتة من الدقة ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة الى حد كبير وهي تشير إلى أن الكون قد نشأ منذ نحو خمسة بلايين سنة . وعلى ذلك فإن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً . ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية . ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية .

وقال الدكتور جون كليفلاند كوثران رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولت : « وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية إذ إن لها بداية . وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية بل وجدت بصورة فجائية وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد . وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان .

فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي يخضع لها ، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي . وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخالق لا بد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة^(١) . وهذا متفق مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية الذي ذكرناه آنفاً فهناك عناصر مشعة كالراديوم واليورانيوم وغيرها فهذه العناصر بمرور الزمن تفقد من كميتها أي تتحول إلى إشعاعات ، وهناك آلات لقياس مقدار الإشعاع في العناصر يعرفها أي طالب في دور التخصص في الفيزياء أو الكيمياء . فالراديوم مثلاً في حالة إشعاع مستمر وبذلك يفقد من كميته بصورة مستمرة واليورانيوم كذلك ، ومعنى ذلك أنه سيأتي زمن تنتهي فيه العناصر الإشعاعية وتنفذ . ولما كانت العناصر المشعة لا تزال موجودة ، لزم أن لا يكون قد مر عليها العمر الكافي لتفادها ، ولو مر عليها العمر الكافي لتفادت ، ومعنى ذلك أن للكون بداية إذ لو لم يكن له بداية لتفادت هذه العناصر ولما بقيت فيه

(١) الله يتجلى في عصر العلم ٢٧ ، ٨٧

أي عناصر إشعاعية ، فلو قدرنا مثلاً أن هذه العناصر تحتاج إلى ألف بليون سنة لنفاد إشعاعها ، كان معنى ذلك أنه لم يمر عليها هذا العمر ليكون ذلك . أي أنه لم يمض عليها منذ وجودها إلى الآن هذا العمر . ومعنى ذلك أن لهذه العناصر بداية ، فلو لم يكن لها بداية لكان ما مر عليها من العمر كفيلاً بالقضاء على هذه العناصر ونفاذها إذ لا شك أنه سيكون قد مر عليها أكثر من بلايين البلايين . ولما كان لهذا الكون بداية القطبي أن يكون له موجد لأن الكون كان عدماً محضاً وليس يمكن أن يكون أوجد نفسه .

وهو يتفق مع القانون الثاني من قوانين الحرارة .

• وما يقطع بوجود الله ظاهرة الرؤى الصادقة . فكثير من الناس يرون رؤيا في المنام تتحقق بعد ذلك بتمامها ، وربما كانت الرؤيا صادقة كفلق الصبح تقع بلا فشل ، وقد تحتاج إلى تأويل وهذا كثير وأنا شخصياً حصلت لي مئات من هذه الرؤى التي تحققت بدقة ، وأعرف كثيراً ممن وقعت لهم مثل هذه الرؤى . فكيف حدثت مثل هذه الرؤى ؟ ومن الذي أخبر الإنسان بهذا الغيب المجهول ؟ الإنسان لا يعلم الغيب ولكن عن طريق الرؤى قد يحصل له شيء من ذلك ، فما تفسير هذا الأمر ؟

إن تفسيره واضح وهو أن هناك ذاتاً تعلم الغيب وسجلته وهي تطلع من تشاء من ههنا على بعض هذا الغيب عن طريق هذه الرؤى أو عن طريق آخر . ولا تفسير لها غير هذا التفسير . ولدلالاتها المهمة هذه ، حاول قسم من الماديين إنكار وقوع مثل هذه الرؤى وقال قسم آخر هي من قبيل المصادفات .

والحق أن قسماً كثيراً لا يمكن تفسيره بالمصادفة . ثم إن كثرتها لا تدع مجالاً لتفسيرها بالمصادفة .

ومن طريف ما مر بي في ذلك أن شخصاً سلمني رسالة ذات يوم في حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً ، فبحثت بها إلى البيت فقرأتها وإذا كاتبها شخص آخر يستغيث بي لحل مشاكله التي أقعدته وأهمته بأسلوب باك . وقد أخفى إسمه تحت أحرف مبهمه هي ن . ن . ي . او (ق . ن . ك) ولم أستطع أن أتبينها وقد ضربت الذهن في كل مجال

للتعرف على هذا الشخص فلم استطع الإتهاء إليه وقررت أن أستدعي الذي سلمني الرسالة لإخباري به . وفي النوم جاءني شخص مجهول وسألني قائلاً : ما لي أراك حائراً ؟ فقلت له : جاءني رسالة حرت في أمرها ولم أعرف صاحبها ولا رموزها أمي (ن. ن. ك) أو (ق) أو (ي) فقال : بل هي (ن. ن. ي) فقلت : من صاحبها ؟ فقال : فلان ابن فلان . فقلت : هذا لا يكون وهو قد مر على ذهني فيمن مر ، فإن أسمه يبدأ بالتون ولكن اسم أبيه يبدأ بالعين . فقال : هو الحرف الأخير من اسم أبيه . فقلت : وهذه الباء ما أمرها ؟ فقال : هي حرف من أحرف النسب أي (الفلائي) وذكر النسب . فقلت له : هو لا يُعرف بهذه النسبة وإنما بالنسبة الأخرى وذكرتها له . فقال : استعمل الآن هذا النسب . قلت : ولم ذاك ؟ قال : لشلا تعرفه .

واستيقظت من النوم وأنا مطمئن أن صاحبها هو الذي أخبرني به هذا الشخص الغريب . وفي الصباح أريت الرسالة لأحد زملائي الماديين المثقفين وقلت له : إقرأ هذه الرسالة ، فقرأها . وقلت له : هذا أمر الرسالة . فقال : تحقق من ذلك وأخبرني فإنه إن كان ذاك فإن الله موجود لا محالة .

وفي مساء اليوم التالي رأيت صاحب الرسالة وقلت له : وصلت رسالتك . فقال : أية رسالة هذه ؟ وحاول أن ينكر أن يكون صاحب رسالة ، حتى قلت له : لا تذهب يمناً أو شياً ، فأنا أقول لك : إن رسالتك وصلت وقرأتها . فرأيتة يخفي وجهه خجلاً ويقول : هل وصلت ؟ فقلت : نعم . ثم قلت له : ما أمر هذه الرموز فأنا لم أنبئ أمي (ن. ن. ي) أو (ق. ن. ك) فقال هي : ن. ن. ي . فقلت له إن هذه الرموز لا تنطبق عليك . فإن أسمك يبدأ بالتون فما أمر التون الثانية ، فإن أسم أبك يبدأ بالعين ؟ قال : هي الحرف الأخير من اسم والدي . فقلت : وما هذه الباء ؟ فقال : هي النسب الفلائي . فقلت : ولم فعلت كل ذاك ؟ قال : لشلا تعرفني .

ومن طريف ما مر بي أنني رأيت كأنني أدخل إلى مكان لم يسبق أن أدخل إليه في حياتي السابقة إلا مرة واحدة قبل هذه الحادثة بسنوات . وبعد دخولي توأ رأيت كأن معركة حدثت بين فتيين وجاءت الشرطة وتركت المكان ولم أنفض شغلي . وفي

الصباح نفسه اضطرت إلى أن أذهب إلى المكان نفسه وبعد دخولي فيه حصل ما حصل تماماً .

ومن طريف ذلك أنني رأيت كأن في يدي كماناً صغيراً تمثلته ثم استيقظت .
وقلت : ما تفسير هذه الرؤيا ؟ حتى إذا جئت الظهر إلى البيت رأيت الكمان الذي
أهنته في المنام بعلماته الفارقة ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أبداً اليوم أخوك الصغير
ساجدة مع شخص آخر . علماً بأنه لم يكن في بيتنا في يوم من الأيام آلة موسيقية أو
مرت على خاطري .

فما تفسير هذا أيها المادبون ؟

ومن ذلك ما رأيته أن بطاقة دعوة وجهت لي موقعة من شخص لا أعرفه وقد
حصل لي اليوم التالي ذلك وبالتوقيع نفسه وسألت عن صاحبه فقيل : هو شخص لا
أعرفه .

ومن طريف ذلك أن والدي كان في الحج فرأيت في المنام أنه قد جاء وجلسنا ثم
أهبطنا إلى أربع أو خمس جلبها معه من مكة وأعطاني واحدة فقسمتها بيدي
وسقطت قطرة منها على ثوبي . فأخبرت أهلي وأصدقائي طالباً تأويلها فقالوا : هي
خير . وبعد فترة جاء والدي وبيننا نحن جلوس نادى على برتقالات جلبها معه
أعطاني واحدة ثم قسمتها فرأيت تلك القطرة وقعت على ثوبي وذكرت الرؤيا . ثم
للت لأهل بيتي : انظروا ألا تذكرون الرؤيا التي ذكرت لكم ؟ فعجبوا غاية
العجب .

ومن طريف ذلك أنه كان أخي في مصر فرأيت أنا والدي وزوجي وزوجه رؤى
أربعاً حوله تحققت كلها . وغير ذلك وغيره مما لا يكاد يحصر . ولا أبالغ مطلقاً إن
قلت : حصلت لي مئات من أمثال هذه الرؤى بل ربما تعدت المئات إلى ما يربو على
الألف والله أعلم .

فأنت ترى أن هذا من الدقة بحيث لا يمكن حمله على المصادفة ولا يمكن تفسيره إلا
بما ذكرنا وهو أن في الوجود من يعلم الغيب وسجله وهو يطلع من شاء من عباده على
فهم من هذا الغيب إما بشكل واضح ليس فيه تأويل أو بما يحتاج معه إلى التأويل .

و يجعل نظرهم إلى الكون وإلى اختلاف الليل والنهار وكيف باتى الله بهما ؟ ولد
جعل الله لنا الليل سكناً والنهار للهرب في الأرض ولد كان ربنا قادراً على أن يجعل
النهار سرمداً أبدياً لا يزول والليل كذلك ولكن أي حياة هذه ستكون ؟

« إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »
« هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم
يسمعون » (يونس ٦٧) .

« وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم مباتاً وجعل النهار نشوراً » (الفرقان
٤٧) .

« قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله
بأنكم بصاء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم
القيامة من إله غير الله بأنكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . (الفصل ٧١
- ٧٣) .

ثم انظروا إلى قدرة ربنا سبحانه كيف مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وسخر البحر لأككل مه لها طرباً واستخرج منه
الحل والحجر فيه فإياك فأي نعمة هذه أيها الناس ؟

« وهو الذي سخر البحر لأكلوها منه لها طرباً واستخرجوا منه حلية تلبسوها وترى
الغلك مواخر فيه واتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسي أن
تهد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . ألمن يخلق
كمن لا يخلق أفلا تذكرون ؟ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم »
(النحل ١٤ - ١٨) .

« وهو الذي خلق الماء المالح والماء العذب الفرات بقدرة فلم يطغ ماء على ماء
لحكمة معارضة دبرها خالفها وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
أحلى وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً » (الفرقان ٥٣) .

« وربنا أنزل من السماء ماء فأسكنه في الأرض فجعله نابعاً يستفيد منه الناس

لما من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإننا على ذهابه بقادر . فأنشأنا
في جنات من نخيل وأعناب لكم فيه فواكه كثيرة ومنها تأكلون . - (المؤمنون ١٨ -

٢١) ثم تران الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا
واثرا ثم يبقي فتراه مصفرا ثم يجعله حطابا ؟ (الزمر ٢١) .

يحمل نظره من إلى السماء كيف رفعها ريسا بمنير عند ورينها بالكواكب
في الملاكها وجعل النجوم فيها لتتدبر بها في ظلمات البر والبحر وجعل
الشمس ضياء والقمر نورا بحساب دقيق وما كان ذلك في الفلك لولا
المدفوق للمسافات والأبعاد والشمس والقمر بحسبان (الرحم ٥) .

يحمل الليل سكا والشمس والقمر حسبانا ذلك تعدبر العزيز العليم (الأنعام

٥) الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
الحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق بفصل الآيات لقوم يعلمون (يونس ٥) .

الذي رفع السحابات بمنير عند آر ونها ثم استوى على العرش وسخر
من القمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر به من الآيات لتعلموا بكم
ن (الرعد ٢)

غير ذلك من الآيات العظيمة الرائعة التي تبهرهم بعظمة الله وجلاله وقدرته
على ما لا يحيط به العقل ويطلب منهم النظر والتفكير في هذه المخلوقات المعجبة وفل
ما ملأنا من السماوات والأرض من خلق السماوات والأرض واختلاف الليل
والنهار لايات لأولي الالباب الذين يذكرون الله لهما وقعودا وعلى جنوبهم
يذكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا
بالتارة .

الذين يُعبدون من دون الله فلا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا
يملكون ولا قوة ولا علم لهم ولا إرادة بها أيها الناس صرب مثل فاسمعوا له إن
يأمرهم من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا

لا يستمدوه منه صفت الطالب والمطلوب. (الحج ٧٢).

ثم يدعوهم إلى الإيمان باليوم الآخر، اليوم الذي يجمع الله فيه الخلق لحسابهم حل أمثالهم. وقد أفام الحجة تلز الحجة عليهم وبريهم أن الإعتدال آمنون من الإبتداء في حكم العقل وهو الذي بدأ الخلق ثم يعبده وهو آمنون عليه.

وها أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة... وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج. ذلك لأن الله هو الحق وإنه يحيي الموتى وإنه حل كل شيء قدره. (الحج ٥ - ٦).

وهلفت بطرحهم إلى أنفسهم ليعرفوا إنكم في كل يوم تموتون وتبعثون وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سائناً وجعل النهار نشووا. (الفرقان ٤٧).

والله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فما يكسب الله في الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات للقوم يتفكرون. (الزمر ٤٢).

ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك يخرجون. فإي إيمان هذا أي إيمان أي درجة من النظر العميق الدقيق الواسع؟ أنك ترى متى أن إيمان مثل هذا الشخص لا يكون إيماناً تقليدياً وإنما هو قائم على التدقيق والنظر بقوده إليه الوحي، إنه إيمان حقيق يذوق حل الحجة الساطعة والبرهان الفاطم. وما جاء به من الحجج - كما ذكرت - كقيل بامتناع أي عقل في زمانه في الأقل. فهل يا ترى أن هذا الرجل يمكن أن يكون كاذباً على الله مفرطاً عليه؟ ولهم يفر من عذابه وحقابه ومن أظلم ممن أنرى على الله كاذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء؟ (الأنعام ٩٣).

هذا العمق والحرارة أخذ يدعو قومه إلى الله وكان الوحي بوجهه ويسدده ويمثل لكل ما يجي به امتثالاً دقيقاً. فقد كان أول أمره وجلا من هذه الظاهرة شاملاً على نفسه حتى إذا نزلت بها أي المذنب قم فأنظره قال روح الحياء وأخذ يدعو قومه سرادعوة هادئة حتى إذا نزل قوله تعالى واندلر عشرينك الأقرين: صعد على الصفا

لا لأمر الوحي وحمل بنادي بطون فرميش ويحول لهم : إني مذير لكم بين يدي
بشديد . كما ثبت في الصحيحين .

عني إذا نزلت فاصدع بما تؤمر ولعرض من المشركين حاهر بالدعوة كما أمره
بصدع بها في كل مكان وكل ناد ولحمل من الأذى ما لا يقدور عليه ولرسل
كل إلى ملوك وعظماء زمانه يدعوهم إلى الإسلام فسهم من آمن به ومنهم من
وأنهم من أحترم دعوته وأكرم كتابه ورسله والجدير بالذكر من أمر هذه الرسائل
إلى هرقل ملك الروم إذ نرى أن هرقل يقضي خيره ويخسر أمره بالسلوك
ويخلص إلى أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون كذاباً وإنما هو نبي عند جاء في
سيرة البخاري وسلم من عبد الله بن مسعود أن لما سفبان من حرب أخيرة
للإخاري ، أن هرقل أرسل إليه في ركب من مرش وكناوا مجهلاً بالشام في المدة
أن رسول الله ﷺ ماذ فيها لباً سفبان وكفار فرميش فأسوه وهم بلهلاء
في مجلسه وحوله عظماء الروم لم دحاهم ودعاهم برفحانه فقال : أنيكم أقرب
إلى الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان قلت أنا أقر بهم نسباً ، فقال :
عني ولربوا لمصاحبه فاحملوهم عند ظهره ثم قال لثرفانه قل لهم إني سائل هذا
الرجل فإن كذبي فكذبوه فوالله لو لا الحياء من أن يثروا على كذبي لكذبته

كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه إليكم ؟ قلت : هو لنا ذوسب .

أ : فهل قال هذا الأول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا .

ب : فهل كان من أبائه من ملك ؟ قلت : لا .

ج : فلتراف الناس بتبعونه أم ضعفلوهم ؟ قلت : بل ضعفلوهم .

د : هل يزدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزدون .

هـ : فهل يريد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا .

و : فهل كنتم تنهونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا .

ز : فهل ينفر ؟ قلت : لا ونحن منه في مدة لا يدري ما هو فاضل فيها . قال :

لكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة .

ح : فهل فاتنسوه ؟ قلت : نعم .

قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه .

قال : ماذا يأمركم؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول أبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال احد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بي يقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا . قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليدرك الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك امر الأيمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يخدر؟ فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت إنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد : فإني لدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين وبأهل الكتاب تعاملوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقناً إنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

ثم ذكر البخاري أن هرقل أذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بلبوابها فغلقت ثم أطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي ؟ فحاصروا حصنة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت . فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي، وقال: «إني قلت مقالتي ألفاً اخترت بها شذتكم على دينكم فقد رأيت .

فسجدوا له ورضوا عنه » .

وبذا يخلص الرجل إلى أنه نبي صادق وتمنعه الرغبة في السلطان والحكم من أتباعه ﴿٦٦﴾ .

ويظل الرسول ﴿ﷺ﴾ يجاهد الشرك والباطل حتى أظهره الله ونصره وأعلى كلمته .

ومن مظاهر تغير حياته ﴿ﷺ﴾ بعد نزول الوحي إنه أصبح يربط كل شيء بالله فلا طهر إلا فيما يرضي الله والشرف فيما يسخطه والأعمال كلها بحسب النيات فمن ابتغى وجه الله فله أجره ومن لم يبتغ وجه الله فلا خير له في عمله ولا أجر له ولا ثواب ولو كان بقدر الدنيا .

وأخذ يوجه أصحابه إلى أن يبتغوا في كل عمل يعملونه أو قول يقولونه ما يثقل همزهم في الآخرة من غير إخلال بحياتهم في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة .

وكان يعلمهم أن مفتاح الدخول في دين الله هو قول (لا إله إلا الله) ولا ينفع شيء من دون هذه الكلمة وإن الله لا يرضى عن أحد كائناً من كان حتى ينفي عنه الشرك بهذه الكلمة .

وتربك هذه المحاورة القصيرة بينه (عليه السلام) وبين عمه أبي طالب الذي نصره وأعاناه وتحمل معه من الحموم ما تحمل مقدار إيمانه بها . فقد كان عمه على فراش الموت وكان (عليه السلام) حريصاً على إنقاذ عمه من النار فكان يلح عليه ليقولها . روى البخاري ومسلم بأكثر من طريق أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنده أبو جهل فقال : أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي لمية : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا ستغفرون لك ما لم انه عنه فتزلت : وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، ونزلت : « إنك لا تهدي من أحببت » .

فهو إيمان حار صادق بأن هذه الكلمة مفتاح النجاة من النار والدخول في الجنة . وكان يقول من قال لا إله إلا الله مؤمناً بها دخل الجنة .

ونراه يجتهد ويعلم أصحابه الاجتهاد لرضاء الله بالطاعات وفعل الخير والأمر به والابتعاد عن المنكر والنهي عنه وذكر الله ذكراً كثيراً والاستغفار والتوبة والتسبيح والتحميد مما لم يكن معهوداً عنده قبل الرسالة ولا عند قومه ولا عند أصحاب الكتاب قبله . فراه يعلمهم كيف يذكرون الله ويحمدونه إذا ناموا وإذا قاموا وإذا أكلوا وشربوا وإذا لبسوا وإذا تطهروا وإذا خرجوا من البيت أو دخلوا فيه وإذا دخلوا المسجد أو خرجوا منه وإذا سافروا أو رجعوا فأصبحت حياتهم كلها ذكراً وشكراً وحداً وتسبيحاً واستغفاراً وتوبة .

وكان يعلمهم أن الله بيده كل شيء فمن استعان فليستن بالله ومن سأل فليسأل الله وإذا أراد الله شيئاً فلا راد له ولا معقب لحكمه ، فمن كربه أمر فليضرع إلى الله ، ومن أممه شيء فليلتجئ إليه وإذا عسر عليه أمر فليدعه سبحانه فهو الكفيل

بالاجابة «وقال ربكم ادعوني استجب لكم» «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» .

وعلمهم إذا انقطع الغيث كيف يستقرون ربهم وقد استقروا به لتمامهم مرات «استجاب، وعلمهم أنه بالطاعات والتوبة والاستغفار تدوم النعم ويستجلب الخير «فلعل استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً» «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله» .

وقد كان ﴿٢٢٢﴾ - كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة - يقوم من الليل حتى تفسط قدماء فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ !

فما سر هذا التغير العجيب؟

إنه الوحي .

نم نرى أن هذا الرجل الأمي الذي عاش في بيئة جاهلة أمية ليس فيها مدرسة ولا كتاب مدون جاء بنظام كامل شامل للفرد والبيت والمجتمع ونظام الحكم وتنظيم علاقات الناس فيما بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين اخوتهم من المؤمنين، وبينهم وبين بقية الناس تنظيماً أعجز الخلق عن مجاراته وأخرج به طرازاً فريداً من الناس وحيلاً عالياً تستشرف له الانسانية . واثبت عملياً أن هذا النظام لا يمكن أن يجاري كما اعترف بذلك اساطين العلماء وجهابذة فرباب الفكر في الغرب والشرق .

ليس هذا وحده كافياً في الدلالة على أن هذا الرجل الأمي الأمين الصادق رسول الله حقاً ؟ !

أظن أن هذا وحده يدل على نبوته عند قسم غير قليل من الناس ولكن آخرين من الناس يريدون دليلاً من طراز آخر وستقدم لهم الدليل بعون الله .

القرآن كتاب الله

هل القرآن كتاب الله حقاً ، أنزله على محمد بواسطة الملك ؟ أفلا يمكن أن يكون هذا الكتاب من صنع محمد ؟ ما الدليل على أنه من عند الله ؟
هذه أسئلة كثيراً ما مرت على خاطري وبقيت أعاني منها فترة طويلة .

إن محمداً ادعى أن القرآن كتاب الله أنزله تعالى عليه بلفظه وبمعناه ، نزل به جبريل من عند الرب وتلاه محمد كما سمعه من جبريل ، وليس اللفظ للرسول والمعنى لله وإنما هو منزل بلفظه ومعناه . قال تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزل به على قلبك بإذن الله » وقال : « وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » . وهو كلام الله ولو لم يكن لفظه له ما ساء الله تعالى كلامه قال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

ونحن في هذا البحث نريد أن نتحقق من صحة هذا الإدعاء . وقد ذكر محمد أن الله جعل في القرآن الدليل على نبوته والبرهان على رسالته فقال : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » (النساء ١٧٤) فسواء برهاناً ونوراً مبيناً .

ومعنى هذا القول ان الله جعل في القرآن من الأدلة العقلية على نبوة محمد ما يقيم به الحجة على خلقه وانهم لو التمسوا البرهان على ذلك لوجدوه فيه .

وعلى هذا سنلتمس الدليل على نبوة محمد في القرآن فلعل فيه ما يؤيد هذه الدعوى .

وأود أن أنبه على مسألة يجدر التنبيه عليها في بحثنا هذا وهي أننا حين نستشهد بالقرآن ليس القصد هو الاستدلال الديني بل الاستدلال التاريخي فإن القرآن بلا شك أصدق وثيقة تاريخية عن ذلك العهد .

الأدلة القرآنية

القرآن :

في القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو
بعضهم لبعض ظهيراً ، ومن الثابت أنهم انقطعوا عن ذلك فقامت الحجة .

فكيف ذلك أن القرآن تحداهم أولاً بأن يأتوا بعشر سور مثله إن كانوا يبرون أنه
لفعل : « أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
هم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لك فاعلموا أنما أنزل
الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ؟ » (هود ١٣ - ١٤) فلما انقطعوا
الحجة عليهم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله وأخبر أنهم لن يفعلوا فانقطعوا
وقامت الحجة عليهم قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن
فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (البقرة ٢٣ -
٢٤) وأكد التحدي بقوله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (الإسراء ٨٨) فقد دعا
العرب إلى أن يأتوا بسورة من مثله ويشمل هذا التحدي قصار السور كما
طوالها فهو تحداهم بسورة الكوثر والإخلاص والمعوذتين والنصر ولأبلاغ
أو أية سورة يختارونها ، فقال لهم اختاروا سورة من القرآن وأتوا بمثلها .

من المعلوم أن العرب لم يحاولوا أن يفعلوا ذلك فقد كانوا يعلمون عجزهم عنه
إلا إطفاء نور الله عن غير هذا السبيل . ورأوا أن سبيل الحرب والدعاء وتجميع
أب أسير عليهم من مقابلة تحدي القرآن . وهذا أمر غريب فإنا نعلم أن
أدب الأدبية كانت موجودة عندهم وإنهم يقيمون المحكمين للتحديات الأدبية
التي صرّفهم جميعاً عن هذا التحدي القاسي لولا أنهم يعلمون أنهم لا
يملكون ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن . تارة يذهبون إلى أهل الكلب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف وأصحاب الكهف وذئ القرنين .

وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه . . . فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر . . . فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها « (١) .

وجاء في كتاب (تثبيت دلائل النبوة) للهمذاني في قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن . . . الآية » : « وفي هذا إخبار عن غيوب كثيرة لأنه قال لكل واحد من الجن والانس أنك لا تأتي بمثل هذا القرآن ولا أحد يأتي بمثله في كل حال منفردين ولا مجتمعين فما أتوا به مع حاجتهم إلى ذلك وشدة حرصهم عليه أفمن هذا تعجب ؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك وهو لا يعرف العرب كلها ولا يحصى قبائلها ورجالها ونساءها ، والفصاحة والبلاغة مثبوتة في رجالها ونسائها وعبيدها وأمائها وعقلائها ومجانينها . . . فلولا أنه قد يقن أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك » (٢) .

ومن الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عن سماعه ولذلك حاولوا أن يحولوا بين القرآن وإسماع الناس ، حاولوا أن لا يصل إلى الأذن لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دويماً هائلاً وهزة عنيفة . وحكى الله عنهم هذا الأسلوب فقال : « وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون » (فصلت ٢٦) .

وهكذا كانت الحرب الأولى أن يحولوا بين القرآن وإسماع الناس ولكن أتى لهم هذا؟ فقد كان القرآن الكريم يستهوي الأسماع ويأخذ باللب على الرغم من التحذيرات بل ربما كانت التحذيرات داعياً قوياً إلى سماعه .

(١) الجواب الصحيح ٧٣ / ٤ - ٧٤

(٢) تثبيت دلائل النبوة ٨٥ / ١ - ٨٦

كان صناديد قريش وأعتاهم محاربة للرسول وأشدّهم كيداً له ونيلاً منه لا
 ين أنفسهم عن سبّاه فقد كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأخسر بن
 مالك يأخذ نفسه خلسة لسبّاه في الليل والرسول في بيته لا يعلم بمكانهم ولا يعلم
 بهم مكان صاحبهم حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا
 بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً .
 فسرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا
 يحسبون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل
 أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا
 يحسبون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا
 نحسب نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا (١) .

ثم أخبر الله نبيه بهذا الأمر فقال : « نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون
 » وإذا هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً
 بوراً » . (الإسراء ٤٧) .

ثم شهد بحلاوة التعبير القرآني وعذوبة الوليد بن المغيرة وهو من صناديد
 قريش وعتاتهم حين اجتمع إليه نفر من قريش ليجمعوا على رأي واحد يصدر
 يقولونه للناس في الموسم فقال بعضهم شاعر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم
 سحر وقال بعضهم مجنون فكان يرد هذه الأقوال ويفندها ثم قال : والله إن قوله
 « لولا » وإن عليه لطلاوة وإنه لمعلو وما يعلى عليه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا
 بآية باطل وأن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء يقول هو سحر يفرق
 المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله
 في الوليد بن المغيرة « ذرني ومن خلقت وحيداً » . وجعلت له مالاً معدوداً .
 ثم شهدوا . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن يزيد . كلا إنه كان لا يأتنا عبيداً .
 رقيقه صعدوا . إنه فكر وقتل . فقتل كيف قتل . ثم نظر . ثم نظر .
 هبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول

وجاء عن ابن عباس أنه قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قریش فقال : « يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة - يعني رسول الله ﷺ - فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي الجنون وإن قوله لمن كلام الله » (٢) .

والتعبير القرآني أعذب كلام وأجمله ، وإليك أمثلة توضح طرفاً من جماله :

١ - قوله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » (الكهف ٧٩ - ٨٢) .

وهذه الآيات من قصة موسى والرجل الصالح وكان من خبرهما أنهما ركبا في سفينة فخرقها الخضر فاعترضه موسى ، ولقيا غلاماً فقتله فاعترضه موسى ، ودخلا قرية طلبا من أهلها طعاماً فلم يضيفهما أحد فيها فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه وبناه فاعترضه موسى . وقبل أن يفترقا بين الخضر لموسى الحكمة من هذه الأفعال بما مر من الآيات القرآنية .

فأنت ترى أنه حين حكى على السفينة قال : « فأردت أن أعيبها » فأسند العيب إلى نفسه وأنه حين حكى على الغلام قال : « فأردنا أن يبدلهما ربهما » فأسند الإرادة إلى الضمير المشترك . وحين حكى على الجدار قال : « فأراد ربك » فأسند الإرادة إلى الله .

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢ - ٤٤٣ ، سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢ - ٤٤٣ .

ثم قال في عقب ذلك كله (وما فعلته عن أمري) علماً بأنه هو الذي باشر الأعمال
 به فالسفينة هو الذي خرقها (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) ، والغلام هو
 من قتلته (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) ، والجدار هو الذي أقامه (فوجد فيها جداراً
 أن ينقض فأقامه) .

لما سر هذا الاختلاف في التعبير ؟

السر في ذلك بديع وهو انه حين قال : (فأردت أن أعيها) أراد أن ينزه الله تعالى
 العيب فأسنده إلى نفسه ^(١) ، وهذا في القرآن كثير فإن التعبير القرآني ينزه الله
 عن العيوب وإرادة الشر ومنه قوله تعالى : « وأنت لا تدري أشراً أريد بمن في
 من أم أراد بهم ربهم رشداً » ففي الشر قال (أريد بمن في الأرض) ، وفي الخير
 فقد قال (أراد بهم ربهم) . ونحوه قوله تعالى (رُئِنَ للناسِ حبَّ الشهواتِ من
 « والبنين . . .) وقال في مكان آخر « ولكن الله حبيب الإيمان وزينه في
 لهم » ففي حب الشهوات قال (رُئِنَ) وفي تحبيب الإيمان وتزيينه قال : « ولكن
 حبيب . . . » .

لنحوه قوله تعالى : « الذي خلقني فهو يهدين » والذي هو يطعمني ويسقيني .
 مرصت فهو يشقين « فترى أنه في مقام تعداد النعم أسندها كلها إلى الله فقال :
 هي ، يهدين ، يطعمني ، يسقين ، ولكنه أسند المرض إلى نفسه فقال
 صحت) ولم يقل (يمرضني) ثم أسند الشفاء إلى الله فقال (فهو يشقين) .

لما جاء في القرآن في أهل الكتاب فإنه حين يقول « آتيناهم الكتاب » بإسناده
 يكون ذلك في مقام المدح لهم فإذا أراد ذمهم قال (أوتوا الكتاب) ببناء الفعل
 بهول وذلك نحو قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته »
 : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وقوله : « أولئك
 آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » وقوله « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه
 من ربك بالحق » وقوله « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

ولكنه قال : « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم »
وقال : « وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » وقال : « مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » وقال : « ألم تر إلى
الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق
منهم وهم معرضون » .

وقال : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن
تضلوا السبيل » .

وقال : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » .

وقال : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم »
وهذا باب واسع في القرآن .

ونعود إلى قصة الحضرة موسى فترى أنه في قصة قتل الغلام يأتي بالضمير المشترك
قال : « فاردنا أن يبدلها ربها خيراً منه زكاة وأقرب رُحماً » وذلك لأن الأمر قد
اشترك الخير والشر وهما قتل الغلام وهو شر في ظاهر الأمر ، وإبدال خير منه وهو
حسن فاشترك الضمير كما اشترك الفعل ثم انظر إلى قوله : « أن يبدلها ربها خيراً
منه » فأسند الإبدال إلى الله وحده لأنه خير محض .

وأما إقامة الجدار فهو عمل كله خير فأسند إلى الله وحده فقال : « فأراد ربك
وعقب عليها جميعها بقوله (وما فعلته عن أمري) .

ونحو هذا التعبير قوله تعالى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم)
ففي النعمة أظهر الباري نفسه لأن النعم إنما تكون من الله (وما بكم من نعمة فمن
الله) ولأن فيه تكرماً للنعمة عليهم وفي الغضب قال (المغضوب عليهم) ولم يظهر
صاحب الغضب فكان هؤلاء مغضوب عليهم في هذا الوجود من كل جانب لا من
جانب واحد (١) والله أعلم .

(١) انظر التعبير الدوم ١٢ وما بعدها .

٢٠ قوله تعالى : «فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا»
(هف ٩٧) .

هذه الآية قالها ربنا في السد الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس ، قال تعالى على لسان ذي القرنين : «أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين
اليدين قال انفضخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطرا . فما استطاعوا أن
يظهروه وما استطاعوا له نقبا» .

قال : «فما استطاعوا أن يظهروه» أي يصعدوا عليه ، ثم قال : «وما
استطاعوا له نقبا» .

ذلك أنه لما كان صعود السد الذي هو من قطع الحديد والنحاس المذاب أيسر
وأخف عملا خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء فقال (استطاعوا أن
(وطول الفعل فجاء بأكثر بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال «وما استطاعوا
فحذف التاء في الصعود وجاء بها في النقب، وهو تعبير طريف بديع .

له قوله تعالى في هذه السورة في قصة موسى والخضر أنه حين التقى به قال له
(«انك لن تستطيع معي صبرا») ولكنه قال له في الأخير «ذلك تأويل ما لم
عليه صبرا» فإن موسى لما كان متعجلا في الاعتراض على كل فعل يقوم به
ولم يصبر عجّل له الخضر الفعل فحذف التاء ولراد صرفه فقال (تسطع)
في أول اللقاء فانه لا يلين ذاك .

له قوله تعالى : «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم»

وله : «ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم»

جعل الرزق في الآية الأولى للأولاد أولاً ثم للآباء ، وفي الآية الثانية جعله
أولاً ثم للأولاد ، وفي ذلك سر بديع ففي الآية الأولى أنهم يقتلون أولادهم
الفقر لا أنهم مفتقرون في الحال فقال : لا تقتلوهم فانا نرزقهم وإياكم ، أي
له جعل لهم رزقهم فهم لا يشاركونكم في رزقكم فلا تحشوا الفقر . وأما في
الثانية فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم لا أنهم يحشونه فهم في حاجة
برزق الأنبي السريع ليعولوا أولادهم فعجل لهم ذاك فقال : نحن نرزقكم

ونحوه ما جاء في سورة الاعراف : «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً» (٤٦)

ولم يقل (ما وعدكم) بمقابل (ما وعدنا) وذلك لأن الكفار كانوا ينكرون اليوم الآخر جملة وتفصيلاً ولا ينكرون ما وعدهم به فقط فكأنه قال : هل وجدتم وعد ربكم حقاً؟ بخلاف المؤمنين فانهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربهم من الخير والكرامة فقال (وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً)^(٢).

٤ - قوله تعالى : «سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون» .

ولم يقل أذعوتهم أم صمتهم فجاء بقوله (صامتون) على صيغة اسم الفاعل وذلك لأن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد ، نقول : هو يحفظ وهو حافظ ، بمعنى (يحفظ) انه يفعل ذاك ومعنى (حافظ) انه متصف بهذا الامر وثابت له . ومثله هو يطلع وهو مطلع وهو مخطب وهو خطيب .

فالفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبوت .

فاننا نرى انه في الآية جعل الصمت بصيغته الاسمية والكلام بصيغته الفعلية وذلك لأن الاصل في الانسان ان يكون صامتاً ولا يتكلم الا الحاجة تعرض له . فالانسان صامت اذا مشى واذا جلس واذا نام فان عرض له شيء تكلم . فالصمت هو الحالة الثابتة للانسان فكأنه قال : أذعوتهم أم بقيتم على صمتكم^(٣) .

وشبهه به قوله تعالى في المنافقين «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون» .

فإذا رأى المنافقون أهل الايمان قالوا (آمنّا) بصيغته الفعلية الدالة على التجدد والحدوث واذا لقوا أصحابهم أظهر ما في انفسهم من الكفر وظهرت نفوسهم على

(١) انظر بديع القرآن ٢٦١ ، تحرير التحرير ٥٦١

(٢) انظر الكشف ١/ ٥٤٩

(٣) انظر الكشف ١/ ٥٩٢

سجيتها فقالوا (انا معكم انما نحن مستهزون) فجاء به جملة اسمية مؤكدة بان
فخالف بين التعبيرين لاختلاف الحالين^(١) .

٥ - قوله تعالى في سورة البقرة ٥٨ - ٦٠ : «واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها
حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً
من السماء بما كانوا يفسقون . واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله
ولا تعثوا في الارض مفسدين » .

وقوله في سورة الاعراف (١٦٠ - ١٦٢) في القصة نفسها : «واوحينا الى موسى اذ
استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل
اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما
أرسلناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون . واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم
سنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم
رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون » .

فانظر الى الفرق بين التعبيرين مع أن الموضوع واحد :

الأعراف

واذ قيل لهم

اسكنوا

وكلوا

—

وقولوا حطة . وادخلوا الباب سجداً

نغفر لكم خطيئاتكم

البقرة

واذ قلنا

ادخلوا

فكلوا

وهدأ

وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة

نغفر لكم خطاياكم

(١) انظر الكشاف ١/ ١٤٢

وسنزيد	سنزيد
فبدل الذين ظلموا قولاً	فبدل الذين ظلموا منهم قولاً
فأنزلنا	فأرسلنا
على الذين ظلموا	عليهم
يفسقون	يظلمون
واذ استسقى موسى لقومه	اذ استسقاء قومه
فقلنا اضرب	وأوحينا الى موسى . . أن اضرب
فانفجرت	فانفجست

فما سر هذا التغير؟

ان سر التغير يتضح من الاطلاع على سياق الآيات في السورتين فسياق هذه الآيات في سورة البقرة هو تعداد النعم التي انعمها الله على بني اسرائيل ويبدأ الكلام معهم بقوله : «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين» . (البقرة ٤٧)

ثم يأخذ بسرد النعم عليهم ويذكرهم بها .

أما في سورة الاعراف فالمقام مقام تقريع لبني اسرائيل وتأنيب فان بني اسرائيل قوم لا يتعظون فانهم بعد ما انجاهم من البحر وأغرق آل فرعون طلبوا من موسى ان يجعل لهم اصناماً يعبدونها ، وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبدوا العجل ، وانهم كانوا ينتهكون محارم الله فقد طلب الله منهم أن يعظموا حرمة السبت فانتهكوها وأخذوا يصطادون الحيتان فيه الى غير ذلك .

فالفرق واضح بين السياقين فناسب بين كل تعبير والمقام الذي ورد فيه ، وانظر الى توضيح ذلك .

قال تعالى في سورة البقرة (واذ قلنا) فأسند الرب القول الى نفسه وهو تشریف وتكریم كما مر بنا سابقاً ، وفي سورة الاعراف (واذ قيل لهم) فبنى القول للمجهول

ولم يظهر الرب نفسه لأنهم هنا لا يستحقون هذا التشريف وهو نحو قوله تعالى (أتيناكم الكتاب) و(أوتوا الكتاب) .

وقال في سورة البقرة (ادخلوا هذه القرية فكلوا) أي ان الأكل يكون عقب الدخول لأن الفاء تعيد التعقيب أي بمجرد دخولكم تأكلون تروا . وأما في سورة الاعراف فقال (اسكنوا هذه القرية وكلوا) فالأكل لا يكون الا بعد السكن والاستقرار وليس بعد الدخول . ثم لاحظ الفرق أيضاً فقد قال في سورة البقرة (لكلوا) أي ان الأكل يكون بعد الدخول تروا ولم يأت بالفاء في الاعراف وانما جاء بالواو ليفيد أنه ليس هناك من تعقيب وان الأكل سيحصل مع السكن ليس موقتاً زمن . ووفق كبير بين الأمرين فهما كما تقول لشخص : انت بمجرد دخولك يبيتك الأكل تروا .

أو تقول له : اذهب واسكن وان الأكل يأتيك (غير محدد بزمن) .

وقال في سورة البقرة (رغداً) لأنه مناسب لتعداد النعم ولم يقل (رغداً) في سورة الاعراف لأن المقام مقام تفرح وتأنيب وانهم لا يستحقون رعد العيش .

وقدم السجود في سورة البقرة ، على القول فقال : «وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة» لسببين والله اعلم :

الاول لأن السجود اشرف من القول لأنه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فلهذا مقام التكريم .

الثاني لأن السياق يقتضي ذلك فقد جاءت هذه القصة في عقب الامر بالصلاة ، قال تعالى : «واقبوا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . . . واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملائكة ربهم . انهم اليه راجعون . يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم . . . » .

فلهذا ههنا تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع ، وكلا الأمرين مرفوع في سورة الاعراف فأخر السجود .

وقال في سورة البقرة (نغفر لكم خطاياكم) بجمع الكثرة لأن الخطايا جمع كثرة

وهو مناسب لمقام تعداد النعم والتكريم اي مهما كانت خطاياكم كثيرة فانا نغفرها لكم، وقال في سورة الاعراف (خطيئاتكم) بجمع القلة لأن الجمع السالم يفيد القلة اي يغفر لهم خطيئات قليلة وهو مناسب لمقام التقرير والتائب.

وقال في سورة البقرة (وسنزید) فجاء بالواو الدالة على الاهتمام والتنويع ولم يجيء بها في سورة الاعراف والسبب واضح .

وقال في سورة البقرة (فبدل الذين ظلموا قولاً) وقال في سورة الاعراف (فبدل الذين ظلموا منهم) وذلك لأنه سبق هذا القول في هذه السورة قوله تعالى (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) (الاعراف ١٥٩)

اي ليسوا جميعاً على هذه الشاكلة من السوء فناسب هذا التبعض التبعض في الآية السابقة .

وقال في سورة البقرة (فانزلنا) وقال في سورة الاعراف (فأرسلنا) ذلك لأن الارسل اشد في العقوبة من الانزال قال تعالى في اصحاب الفيل (وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) . وكل منهما يناسب موطنه .

وقال في سورة البقرة (على الذين ظلموا) وقال في سورة الاعراف (عليهم) وهو اعم من الأول، أي أن العقوبة اعم وأشمل وهو المناسب لمقام التقرير .

وقال في سورة البقرة (بما كانوا يفسقون) وقال في سورة الاعراف (بما كانوا يظلمون) لأن الظلم اشد من الفسق وهو المناسب لـ «ارسل» العذاب فذكر في كل سياق ما يناسبه .

وقال في سورة البقرة : «واذا استسقى موسى لقومه» فموسى ههنا هو الذي استسقى ربه لقومه ، وقال في سورة الاعراف (اذ استسقاء قومه) اي ان قوم موسى استسقوا موسى والحالة الاولى اكمل وأبلغ في النعمة .

وقال في سورة البقرة (فقلنا اضرب) وقال في سورة الاعراف (وأوحينا الى رسى... ان اضرب) فان القول المباشر من الله اكمل واشرف من الايحاء .

وقال في سورة البقرة (فانفجرت) وقال في سورة الاعراف (فانبجست) وثمة فرق بين الانفجار والانبجاس فان الانفجار للماء الكثير، والانبجاس للماء القليل، وكل امرئ يناسب موطنه. فان المقام في سورة البقرة مقام تعداد النعم كما ذكرنا. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ان موسى هو الذي استسقى ربه فناسب اجابته بانفجار الماء. ومن ناحية ثالثة ان الله قال لموسى اضرب بعصاك الحجر ولم يوح اليه وحياً فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير، بخلاف ما ورد في سورة الاعراف فجاء الانبجاس^(١)، والله اعلم.

وقبل ان الماء اول ما انفجر كان كثيراً ثم قل بعصيانهم فعبّر في مقام المدح الانفجار وفي حالة الذم بالانبجاس.

وهذا تعبير - كما ترى - في غاية الدقة والجمال.

وليس جمال التعبير القرآني منحصرأ في هذا المجال بل هذا باب ضيق من ابواب الجمال. ولست الان بصدد تبين محاسن التعبير القرآني فانه باب يطول ويتسع ولعل الله ييسر لنا اخراج شيء من ذلك في قابل الايام. ولكن هذه امثلة ذكرناها لتبيين لمزج من جمال التعبير القرآني يقوم على ابدال لفظة مكان لفظة او تعبير مكان تعبير، اما التصوير الفني والتقديم والتأخير والاختيار العلمي والأدبي لللفظة على اختها والذكر والحذف وغير ذلك من ابواب البلاغة والادب فهو أمر يطول ويطول.

الاعجاز العلمي

القرآن ليس كتاباً في علم من العلوم وإن كانت فيه مسائل علمية في غاية الدقة. وليس من الصحيح محاولة تفسير القرآن بالامور العلمية غير الثابتة فان العلم يتطور ويحدد، والنظريات العلمية عرضة للتغيير والنقص، فماذا يكون نصيب التفسير الهادي عند ذاك؟

ولكن اذا ثبت شيء من الحقائق العلمية التي لا تقبل النقض وكان في القرآن ما

(١) انظر معترك الاقران في اعجاز القرآن ١/ ٨٧ - ٨٨

بأيديها أو يقررها فلا بأس ان نقول ان هذا يوافق ما في القرآن الكريم ، وهو اعجاز علمي . ولندكر على سبيل المثال بضعة امثلة من امثلة الاعجاز العلمي بصورة مختصرة :

١ - مذكروا الله في تكوين الجنين في الرحم وذكر أطواره من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك من الأطوار مما لا يمكن الاطلاع عليه ولا معرفته آنذاك ، ولم يعرف أمره إلا بعد ظهور علم التشريح والتصوير الشعاعي .

وثبت ان ما اكتشف في ذلك وانتهى إليه موافق لما في القرآن الكريم فدل ذلك على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صنع رجل امي عاش في بيئة بدوية قبل اكثر من الف واربعمائة سنة وانما هو قطعاً من عند الله خالق البشر .

٢ - الضغط الجوي : قال تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء» (الانعام ١٣٥) وهذه الظاهرة التي ذكرها القرآن وهي ظاهرة ضيق النفس في الطبقات العليا في الجو لم نكتشف الا بعد اختراع الطائرات والبالونات وهي ظاهرة تحصل نتيجة لاختلال الضغط الخارجي وزيادة الضغط الداخلي .

ولا يمكن الوصول الى معرفة هذا الشيء لولا الطيران ، فذكر القرآن هذه الظاهرة قبل اختراع الطيران بقرون كثيرة يدلنا بصورة قاطعة على ان القرآن لا يمكن ان يكون كلام بشر وانما هو كلام الله خالق الكون ومبدع السماء والأرض .

٣ - تمدد الكون وتوسعه : قال تعالى : «والسمااء بئتناها بأيدٍ ولنا لموسعون» (الذاريات ٤٧)

يثبت القرآن توسع الكون وتعدده بصورة مستمرة وليس الكون ذا سعة ثابتة - كما يذكر القرآن - وهذا أمر عجيب اذ لم يكن يحظر على بال بشر ان الكون يتسع بصورة مستمرة حتى اثبت العلم الحديث هذا الأمر . فان الكواكب السديمية تتباعد بصورة مستمرة عن بعضها ويحدث تبعاً لهذا اتوسع في المجال الفضائي بصورة مستمرة وهذا انجاز علمي عظيم ، جاء في (الظاهرة القرآنية) : «وهكذا يبدو الفضاء في نظر القرآن وكأنه لا ينتهي وكأنه يزداد على الدوام . هذه الفكرة التي اصبحت الآن علمية هي

التي حالت انشتاين نفسه عندما اكتشف عالم الطبيعة هابل Hubble ان الكواكب السدئية تباعد عن سديمنا واستتبسط عالم الرياضة البلجيكي الفيس لو متمر Lemaitre من ذلك نظرية امتداد الكون . . .

وهل يستطيع احد ان يقول بان معالم كهذه قد انبثقت من عقل أمي؟^(١١)

٤ - انفصال الأرض عن السماء : قال تعالى « أولم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » (الانباء ٣١)

فالقرآن يخبر ان السماوات والأرض كانتا رتقا اي كانت كتلة واحدة ففتقها ربا وحالفا . وهذا يتفق مع أحدث الآراء العلمية الحديثة ولا تزال الابحث العلمية بهذا المذهب بصورة مستمرة . وهو اعجاز علمي آخر .

٥ - كروية الأرض : قال تعالى : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » وتكويرها يقتضي تكويرها تحتها . ولا يظن ظاناً اننا ذهبنا الى هذا الرأي في التفسير الآية بعد اثبات كروية الأرض في العصر الحديث ، فقد استدل بذلك علماء المسلمين قبل زهاء الف عام . قال الامام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ في كتابه (المعسل في الملل) في بحث كروية الأرض : « بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها ، قال الله عز وجل (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور المهامة وهو ادواتها . وهذا نص على تكوير الأرض »^(١٢) . وهو تفسير علمي طريف حقاً .

٦ - حركة الأرض : قال تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي كمر مر الكباب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون » . (النمل ٨٨)

فهذا فيما نرى نص على حركة الأرض ، وقد يقول قائل ان المقصود بهذا التفسير هو تسجيرها يوم القيامة . ولكن قوله (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يلمس هذا الالهام فيها نرى . فان قوله (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يقصد بها خلقها

(١١) الطائفة القرآنية ٢٩٢ - ٢٩٣

(١٢) المعسل في الملل ٩٥/٢

وحالتها الطبيعية وليس المقصود صنعها يوم القيامة . فانه في يوم القيامة يتغير نظام الكون فتتساقط الكواكب وتكوى الشمس وتزلزل الارض وتتفجر البحار فلا يناسب هذا القول والله اعلم .

القصص القرآني :

الفصوص القرآني على قسمين :

قسم لا يعرفه اهل الكتاب ولم يذكر في كتبهم كقصة هود وصالح وشعيب وما حصل لهم مع اقوامهم قوم عاد وثمود وغيرهم .

وهم في الغالب ينفون منه موقف المنكر له . وقد انكر وجود هذه الاقوام قسم من تسمى بالعلم وانتسب إليه من المستشرقين وغيرهم ، ومن اقطاب هؤلاء المستشرقين «من انكر عاداً وثموداً وانكر الكوارث التي أصابتهم بغير حجة الا انه يحسب ان المنكر لا يطالب بحجة ولا يعاب على النفي الجازف . فما لبثوا طويلاً حين تبين لهم ان عاداً (Oadita) وثمود «Thamudida» المذكورتان في تاريخ بطليموس وان اسم عاد مقرون باسم إدم في كتب اليونان فهم يكتبونها «ادراميت» Adramitae ويؤيدون تسمية القرآن لها بعاد إدم ذات العماد . وعثر المتقرب موزيل التشكي Musil^(١) صاحب كتاب الحجاز الشامي على آثار هيكل عند مدين منقوش عليه كلام بالنبطية واليونانية وفيه اشارة الى قبائل ثمود»^(٢) .

والقسم الآخر من القصص القرآني ما هو مذكور في كتبهم كقصة خلق آدم من تراب ووضع في جنة عدن واخراجه منها ، وقصة نوح والطوفان وقصة ابراهيم ولوط واهلاك قومه ، وقصة يعقوب ويوسف وموسى وأيام بني اسرائيل بالتفصيل كاستعباد فرعون لهم وقتل ذكورهم وولادة موسى وقتله المصري وهروبه الى مدين وزواجه بنت شعيب ثم اصطفاء موسى لارساله الى فرعون وتأييده بالمعجزات وما

(١) Northern Hejaz by Musil

(٢) مطلع النور لعباس عمود العماد ٧٤

حصل له مع السحرة وخروج موسى ببني اسرائيل وايباس طريق لهم وسط البحر ومناجاة الرب لموسى وفئة بني اسرائيل في عبادتهم العجل وتيهيم لأربعين سنة ، وضرب الحجر وانفجار الماء منه وسؤالهم الفشاء والبصل ونحوها .

وغير ذلك من الايام في زمن داود وسليمان وغيرهما من الانبياء والاحداث بتفصيل دقيق مما لم يكن يعلمه الرسول ﷺ ولا قومه قبل ان ينزل في القرآن . وقد ذكر القرآن هذا الامر فقال في عقب قصة نوح « تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » (هود ٤٩) .

وقال في عقب قصة يوسف التي ذكرها بالتفصيل « ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يكبرون » ، وقال : « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكننا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » . (القصص ٤٤ - ٤٦) .

وقال بعد أن ذكر نذر امرأة عمران وولادة مريم ونشأتها ودعوة زكريا وتبشيريه بهيى : « ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » . (آل عمران ٤٤) .

فهذه القصص كما اخبر القرآن لم يكن يعلمها محمد ولا قومه ، فمن اخبره اذن بها إن لم يكن يعلمها هو ولا قومه كما يذكر القرآن ، والقرآن اصدق وثقة تاريخية للمجتمع العربي آنذاك ؟ من اعلمه بهذه القصص والاخبار وهو لم يتعلمها من أحد ؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قوله تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » : « فذكر سبحانه ان هذا الذي أوحاه اليه من انباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا » .

فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من اهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الا قومه ، وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون

أيضاً انه هو لم يكن تعلم ذلك وانه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه» (١)

وقال: «وأخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه وإلقائه في النار . . . وغير ذلك من قصص الانبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره الى ان ادعى النبوة انه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم . كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا انما اعلمه به وانباه به الله . . .

ثم سائر أهل الارض يعلمون انه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق :
احدها ان قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته مع كمال علمهم لو علموا انه تعلم ذلك من بشر لقطعوا عليه بذلك وأظهروه . فانهم - مع علمهم بحاله - يمتنع ان لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع ان لا يقدحوا فيه ويمتنع ان لا يظهر ذلك .

الثاني : انه قد تواتر عن قومه انهم كانوا يقولون : انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك .

الثالث : انه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوته لهم لكانوا يجربون بذلك ويظهرونه . ولو أظهروا لنقل ذلك وعرف فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها» (٢)

وقال الفخر الرازي : «ان هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأنه عليه السلام كان أمياً وما طالع كتاباً ولا تلمذ استاذاً فاذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على انه إنما كان عرفها بالوحي من الله وذلك يدل على صحة نبوته» (٣)

(١) الجواب الصحيح ٤ / ٣٤

(٢) الجواب الصحيح ٤ / ٢٤ - ٢٥ ، وانظر ٣ / ٢٦١

(٣) تفسير الرازي ١٤ / ١٤٦

ولقد ذكر القرآن الكريم أن بعض قومه ادعى أن بشراً يعلمه فقال : « ولقد نعلم
م يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي
م » (النحل ١٠٣)

لقد رد القرآن هذا القول رداً كافياً وأخيراً فقال : أن لسان هذا الشخص الذي
أدعى أعجمي وهذا لسان عربي معجز ، ولم يعقبوا على هذا الرد فأتضح أن هذا
كان كافياً . ومن أيسر ما يرد به هذا القول أن الرسول كان يُسأل في مجالس
أهله وأماكن كثيرة وكان يسأل في الطرقات في مكة والمدينة ثم ينزل عليه الوحي في
أماكن كان هذا الذي يعلمه ؟

لقد ذكر القرآن أن هذا الذي يسرده من القصص والأخبار لم يكن يعلمه هو ولا
أهلها إذ لم يقولوا نحن سمعناه من فلان أو فلان ؟

لنضح أن هذا القول إنما هو من قبيل المكابرات كقولهم هو ساحر أو كاهن أو
ث و نحنو ذلك وهم يعلمون أن هذا غير صحيح .

لقد كان أحبار اليهود في المدينة يسألونه سؤالات مختلفة عما لم يكن يعلمها أحد
هم فكان يجيبهم عن سؤالاتهم جميعاً وأسلم عن طريق هذه السؤالات كبير
هم عبد الله بن سلام وآخرون وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال : « أولم يكن لهم
أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء ١٩٧) وقال : « قل أرأيتم أن كان من عند
كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا
يقيم الظالمين » . وقال : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا
أهلهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٢ -

لقد ذكر القرآن أن جماعة من القسيسين والرهبان سمعوا القرآن فبكوا وآمنوا قال
: « ولتجدن أقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم
سبن ورهبانا وانهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكبتنا مع الشاهدين » .
(لدة ٨٢ - ٨٣)

ويذكر القرآن الكريم ان قسماً من أهل الكتاب من ابقاه العناد والمكابرة مصرأ على كفره مع علمه بأن محمداً نبي يوحى اليه فقال: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» (البقرة ١٤٦)

ومن غريب المكابرات انهم سألوه من وليك من الملائكة؟ فأجابهم ان وليي جبريل ، فقالوا له لو كان وليك سواء من الملائكة لتابعناك وصدقناك ولكن جبريل عدونا فأنزل الله تعالى «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمسلمين» (البقرة ٩٧)

قال الطبري: «اجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على ان هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم»^(١).

وسبب ذلك ان جماعة من اليهود جاؤوا يسألون رسول الله ﷺ عن امور يعلمهن الا نبي . فأخذ منهم عهد الله وميثاقه انه اذا اجابهم ليتابعنه على الاسلا فأجابوا الى ذلك . فقال لهم: سلوني عما شئتم .

وسألوه عما أرادوا فأجابهم عنها كلها ، وكانوا يصدقونه فيما يقول ، وكان ﷺ يقول: اللهم اشهد .

ثم قالوا له : انت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نتابعك ا نفارقك .

قال : فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط الا وهو وليه .

قالوا : فعندها نفارقك . لو كان وليك سواء من الملائكة تابعناك وصدقناك

قال : فما يمنعكم ان تصدقوه ؟ قالوا : انه عدونا فأنزل الله عز وجل : «قل

(١) تفسير الطبري ٤٣١ / ١

كان عدواً لجبريل . . . (١١) .

فاتضح بذلك ان هذا القصص من أظهر الأدلة على صدق نبوته (ﷺ)

ومن الجدير بالذكر ان القرآن الكريم لم يكن يسرد القصة كما جاءت في اسفار اهل الكتاب تماماً وانما هو قد يزيد عليها أموراً يجهلها اهل الكتاب أو يصحح معلومات مخطئة عندهم . فما لم يكن يعلمه اهل الكتاب ولا ذكر في كتبهم مثلاً مسألة ابن نوح وغرقه ، واضرام النار لاهراق ابراهيم ، وإيمان امرأة فرعون ، وإنجاء فرعون ببدنه من الغرق فالتوراة لم تذكر ان فرعون نجى ببدنه من الغرق ولكن رواية القرآن تكمل هذا العرض بتفصيل غير متوقع وهو أيضاً غير عادي اعني «النجاة البدنية» لفرعون الذي افلت باعجوبة من الغرق . لكن علماء الدراسات المصرية بخاصة يهاجمون الرواية الكتابية مدعين ان تاريخ ملوك مصر لم يسجل اسفاء فرعون المعاصر لموسى في البحر الأحمر ولتتمثل الآن ما ذكرته الرواية القرآنية . . . «قال يوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية» (١٢) .

وجسد فرعون هذا لا يزال في متحف الآثار القديمة بمصر ليكون لمن خلفه آية فأيا اعجاز هذا ، يا أرباب العقول؟

ومما لم يكن يعلمه اهل الكتاب نتق الجبل فوق بني اسرائيل كأنه ظلة ، وكلام المسيح في المهد وانزال المائدة من السماء والافتراع لكفالة مريم وتربيتها (١٣) وغير ذلك .

ومن تصحيحات القرآن لمعلومات اهل الكتاب ما ذكره «ان الذي صنع العجل الذهبي الوثني ودعا بني اسرائيل لعبادته هو السامري «الشمروني» وهو من سبط يساكر بن يعقوب ، والتوراة تقول في الفصل الثاني والثلاثين من سفر الخروج : ان هرون هو الذي صنع ذلك ودعاهم لعبادته . مع ان هرون نبي كلمه الرب مع

(١) تفسير الطبري ١ / ٣١ وما بعدها ، تفسير ابن كثير ١ / ١٢٩ وما بعدها .

(٢) الظاهرة القرآنية ٢٥٨

(٣) الجواب الصحيح ٤ / ٥٤ ، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ٤٠ - ٤١ ، ٢٣٥ ، الرحلة للنسبية

للشيخ البلاغي ٢٣ ، الرحي للمحمدي ٩٣

موسى كما تقول التوراة في (اللاويين) الاصحاح الحادي عشر والاصحاح الرابع عشر. (والعدد) الاصحاح الثاني والرابع^(١). فكيف يأمرهم هرون بعبادة العجل وهو نبي؟

والقرآن يقول ان هرون منعهم ونصحهم ولكنهم أصروا على فعلتهم . قال تعالى : « ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » . وهو اللائق بمقام النبوة .

ومن ذلك قولهم ان موسى وهرون والسبعين شخصاً من شيوخ بني اسرائيل رأوا الله سبحانه وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق^(٢) . جاء في (سفر الخروج) - الاصحاح الرابع والعشرين :

٩٥ ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ١٠ ورأوا إله اسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النفاذة . ١١ ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل فأرأوا الله وأكلوا وشربوا .

بينما يذكر القرآن ان هذا ما كان ولا ينبغي ان يكون قال تعالى : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون » .

ويذكر القرآن ان موسى سأل ربه ليريه نفسه فأخبره الرب ان هذا لا يكون قال تعالى : « ولما جاء موسى ليقائنا وكلمه ربه قال رب اذنني انظر اليك . قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلج ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا اول المؤمنين » (الاعراب ١٤٣)

وفي القرآن اعلاء لمقام الانبياء وتنزيههم عن السقطات التي لا تليق بأحاد الناس . والتي تلصقها تحريفات التوراة بهم والعهد القديم . من ذلك ما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح التاسع عشر: ٣١ ان بنتي لوط اسكرنا أباهما واضطجعتا»

(١) انظر الرحلة للدرسة ٣١

(٢) انظر الرحلة للدرسة ٦٥

لدهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب والصغيرة ولدت ابنا أيضاً اسمته بن .

ومن ذلك ما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح السابع والعشرين وفيه ان نبي الله
يسخذه اباه اسحاق وكذب عليه وادعى انه ابنه (يسو) واخذ بركته بمكر .

ومن ذلك ما جاء في (صموئيل الثاني) الاصحاح الحادي عشر ان نبي الله داود زنى
امراة اوريا وانه ارسل زوجها في وجه الحرب الشديدة ليموت وبعد موت زوجها
جاء داود الى بيته وصارت له امرأة .

ان داود احتقر كلام الرب وعمل الشر في عينيه (صموئيل الثاني) - الاصحاح
ثاني عشر .

لما بان ذلك محرم في التوراة بل هو من كبائر المحرمات وان فاعله يستحق
الموت . جاء في (سفر التثنية) الاصحاح الثاني والعشرين : « اذا وجد رجل مضطجعا
امرأة زوجة يعمل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من
البل . »

لما علم داود على زعمهم مخالف للتوراة مرتكب لكبيرة يستحق عليها القتل .

لما علم ان ابشالوم بن داود زنى بسراري ابيه امام جميع اسرائيل على السطح
لروئيل الثاني - الاصحاح السادس عشر (٢٠) .

لما مات ابشالوم كان داود يبكي ويقول : يا ابني ابشالوم يا ابني ابشالوم يا ابني
هوذا عنك يا ابشالوم ابني يا ابني . (صموئيل الثاني - الاصحاح الثامن عشر
٢١) وانظر ايضا الاصحاح التاسع عشر ٤ من هذا السفر .

لما بان ابشالوم يستحق القتل كما جاء في التوراة جاء في سفر (اللاويين)
الاصحاح العشرين : ١٠ « واذا زنى رجل مع امرأة فاذا زنى مع امرأة قريبه فانه يقتل
والزانية . واذا اضطجع رجل مع امرأة ابيه فقد كشف عورة ابيه انها
كلامهما . »

داود كان ملكاً بيده السلطان فكان الذي عليه ان يقتل هذا الزاني المستهتر

ويقوم عليه الحد . فداود يخالف لكتاب الله مخالف لحكمه كما يصوره الكتاب المقدس علماً بأنه من اكبر الانبياء عندهم . فهل هذا مقام الانبياء ؟

ومن ذلك أن نبي الله سليمان آخر عمره صار يركض وراء النساء فأملن قلبه وكفر وارتن وعبد آلهة أخرى من دون الله ، جاء في سفر (الملوك الاول) - الاصحاح الحادي عشر: ١٥ وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات . ٢٠ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يملون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . ٣٠ وكانت له سبعائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأملت نساؤه قلبه . ٤٠ وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه املن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتورت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب . . . الخ

فأين هذا من القصص القرآني المشرق المضيء ؟!

ومن ذلك تنزيه القرآن الله عما لا يليق به تعالى مما تذكره التوراة من ذلك ما جاء في قصة آدم ان الله كذب على آدم والحية صدقته فالحية أصدق من الله - كما تقول التوراة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . جاء في (سفر التكوين) - الاصحاح الثاني :

١٥ وأخذ الرب الاله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها . ١٦ وأوصى الرب الاله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً . ١٧ وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت .

الاصحاح الثالث :

١ وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله . فقالت للمرأة أحياناً قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة ٢ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة تأكل . ٣ وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه ولا تمسه لأنك تموت . ٤ فقالت الحية للمرأة لن تموت . ٥ بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تفتحن

كما وتكونان كانه عارفين الخير والشر. . . ثم تذكر التوراة اكلهما من الشجرة
القول:

وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآ
يد يواخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا الى الابد .

فأخرج الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها .

هكذا تظهر التوراة الرب كاذبا والحية صادقة ، فالله يقول لأدم وزوجه انكما اذا
من هذه الشجرة تموتان موتا والحقيقة انها شجرة معرفة الخير والشر كما أخبرنا
هذا من ناحية .

ناحية ثانية لست أدري ما معنى كلام الله عن الانسان انه (قد صار كواحد
من الخير والشر) فمن هم هؤلاء الجماعة ؟ أهم آلهة مع الله أم من يكون

يليق هذا بجلال الله وتوحيده وتنزيهه ؟!

ذلك ما ذكرته ان يعقوب صارع ربه الى طلوع الفجر فلم يتمكن ربه عليه
بحاول ان يتغلب من يعقوب فلم يتمكن حتى باركه ربه .

١ (سفر التكوين) الاصحاح الثاني والثلاثين :

فبقي يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ٢٥ ولما رأى ان
عليه ضرب حق فخذه . فانتزع حق فخذه يعقوب في مصارعة معه
اطلقتني لانه قد طلع الفجر . فقال : لا اطلقك ان لم تباركني . ٢٧ فقال
اسمك ؟ فقال : يعقوب . ٢٨ فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل
لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . ٢٩ وسأل يعقوب وقال : أخبرني
فقال : لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك .

ذلك ان الرب قال لموسى : انا جعلتك الها لفرعون وهرون نبياً لك جاء في
المروج) الاصحاح السابع عشر : ١ فقال الرب لموسى انظر انا جعلتك الها

لفرعون . وهرون اخوك يكون نبيك .

أعذا هو مقام الالوهية؟

والآن لنضرب مثلاً صغيراً لقصة وردت في التوراة وفي القرآن لتري كيف يعالجها كل منهما وهي قصة ابراهيم وضيوفه :

جاء في (سفر التكوين) الاصحاح الثامن عشر:

١ وظهر له الرب [لابراهيم] عند بلوطات معمر وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار . ٢ فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الارض . ٣ وقال : يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . ٤ ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم وأنكثوا تحت الشجرة . ٥ فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تحتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت . ٦ فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقتاً سميذاً . اعجني واصنعي خبز ملة . ٧ ثم ركض ابراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ٨ ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم واذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .

٩ وقالوا له أين سارة امرأتك ؟ فقال : هاهي في الخيمة . ١٠ فقال : اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه . ١١ وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء . ١٢ فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فتائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ؟ ١٣ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفيالحقيقة ألد وأنا قد شخت ؟ ١٤ هل يستحيل على الرب شيء ؟ في الميعاد أرجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن . ١٥ فأنكرت سارة قائلة : لم أضحك . لأنها خافت . فقال : لا ، بل ضحكت .

١٦ ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم (موطن لوط) وكان ابراهيم ماشاً معهم . ١٧ فقال الرب هل اخفي عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ . . .

ولننظر الى القصة نفسها في القرآن الكريم

جاء في سورة هود ٦٩ - ٧٤

«ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث ان جاء بمعجل
فلما رأى ايديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا
لنا الى قوم لوط . وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق
يوسف . قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب .
أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . فلما
جاءهم الروح وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط .»

انظر الى الفرق بين ما جاء في التوراة وفي القرآن .

توراة تقول :

« ان الله ظهر لابراهيم عند بلوطات . وحاشا لله ان يرى في الدنيا كما
يروى .»

« نظر ابراهيم واذا ثلاثة رجال فسجد لهم ، ولسنا ندري من هؤلاء الرجال
سجد لهم رسول الله ابراهيم؟

« مخاطبته لهم بقوله : يا سيد إن كنت . . . الخ وهذا خلط فلا تعلم انه يخاطب
أم مفرداً ، يخاطب إلهاً واحداً أم آلهة ، انظر الى قوله : «قد مررتم على
...»

« ان هؤلاء أكلوا من الطعام الذي اعده لهم ابراهيم .

« يظهر أن في القصة ارتباكاً وخلطاً فمرة يجعل ضيف ابراهيم واحداً ومرة
ثلاثة ، ثم لا ندري ان هؤلاء الرجال آلهة أم ملائكة ، ولكن مخاطبته لهم كمخاطبة
للرب .

ان هذا بما جاء في القرآن الكريم وانظر اي الصورتين أليق بمقام الله وملائكته ؟

هذا هو غلط القصص القرآني والقصص المذكور في الكتاب المقدس . فالقصص

القرآني يبدو مصححاً مكماً لما جاء في الكتاب المقدس كما قال تعالى: «ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون .» (النمل ٧٦)
فهل بعد هذا نستطيع ان نقول ان محمداً اخذ القصص القرآني من علماء اهل الكتاب؟

أليس عجباً ان هذا الرجل الامي يذكر قصة ذي القرنين مثلاً وشخصيته ورحلاته الحربية وبنائه السد الحديدي كما ورد في كتب التاريخ العارقة في القدم والمعاصرة له والتي سجلها المؤرخون المعاصرون له من امثال هيرودتس وتي سياز وزينوفن والذين عاشوا قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة .

وقد اثبتت الدراسات الحديثة لما كتبه هؤلاء المؤرخون ، والتتقيات الاثرية في اصطخر وغيرها ما ذكره القرآن بالتفصيل^(١) وبما يدعو الى العجب .

فهل بعد هذا يمكن احداً ان يقول ان احداً غير الله يعلمه؟

(١) انظر الرسالة القيمة التي كتبها ابو الكلام آزاد في هذا الموضوع وهي (شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن) .

الإخبار بالغيب

الاخبار بالغيب من أظهر الأدلة وأوضحها على نبوة الرسول وإن كان ليس هو الطريق الوحيد لإثبات نبوته .

وقد أخبر القرآن عن غيوب كثيرة فتحققت كلها فقام ذلك دليلاً صادقاً على صحة لهوته ﷺ ومن ذلك :

١ - الاخبار بغلبة الروم :

قال تعالى : « ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء هو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . (سورة الروم ١-٦) .

« نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى الجأه الى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) . . . قال كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « أما انهم سيغلبون » . . . وروي بطرق آخر صحيحة » (١) .

وصح عن أبي بكر أنه راى قريشاً على ذلك وبيع الرهان وذكر أن الرهان كان

١٠٠ هـ ابن كثير ٣ / ٤٢٢ . وانظر تفسير الطبري ج ٢١ ص ١٦ ، فتح القدير ٤ / ٢٠٧ - ٢٠٩ تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١ وما بعدها ، تفسير الرزقي ج ٢٥ ص ٩٥ ، أسباب النزول للواحدي ٣٩١ - ٣٩١ ، تثبيت دلائل النبوة ١ / ٥٩ وما بعدها .

على مائة قلووس مع أبي بن خلف (١) .

من هذه الآيات نرى أن القرآن الكريم أخبر بأن الروم غلبوا ثم أخبر أنهم سيغلبون في بضع (٢) سنين ، وأن المؤمنين سيفرحون بهذا النصر ، ثم قال : وهذا وعد قاطع لا يتخلف .

وقد تم كل ذلك . فبعد بضع سنين من نزول هذه الآيات انتصر الروم على الفرس كما أخبر القرآن وقطع به .

فدل ذلك دلالة قاطعة على نبوته ﷺ . قال الفخر الرازي : « وهذه ذكر في أولها ما هو معجزة وهو الاخبار عن الغيب » (٣) .

قد يقول قائل : ان هذا الاخبار هو من قبيل الحسد والظن . ولكن سياق الآيات يرد هذا القول ، فهي تدل على القطع والتوكيد وان النصر سيتم في خلال مدة معينة لا يتعداها . ثم هب انهم لم ينتصروا أفلا تتكسر دعوة محمد ويكذب ؟ وقد جاء في الاخبار أن قريشاً لما سمعت بهذه الآية ضجوا وكذبوه وطلبوا الرهان على هذا فراهتهم أبو بكر على مائة قلووس وقد علم الرسول ﷺ بهذا الرهن وأقره .

وقد يقول قائل : ومن اين نعلم ان هذا الحدث قد تم وحصل ؟ فنقول : ان حكم هذا النص من الناحية التاريخية ثابت قطعاً ، فإن القرآن أوثق خبر تاريخي عن المجتمع آنذاك فليس من الممكن ان يذكر شيئاً لا وجود له ، وان مجرد ذكره يدل على انه قد حصل وتم والا أصبح مسخرة وعشاً .

إضافة إلى أن هذا الخبر متواتر في كتب التاريخ القديمة عند أهل الملل الأخرى . فقد سجلته كتب النصرانية وغيرها فهذا عما لا شك فيه (٤) .

(١) تفسير الطبري ج ٢١ ص ١٦ ، فتح القدير ٤/ ٢٠٧-٢٠٩

(٢) البضع في لغة العرب من الثلاثة الى التسعة .

(٣) تفسير الرازي ٢٥ / ٩٥ ، وانظر تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٩ وما بعدها .

(٤) انظر وصف الحالة بين الفرس والروم الى انتصار الروم في (كتاب التاريخ للمجموع على التحف والتصديق) تأليف البطريك افنديوس المكنى بسعيد بن البطريرك المطبوع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ ج ٢ ص ١-٤

وأذكر أنه كان لي زميل مادي فقلت له ذات يوم : ألا تفسر لي هذه الظاهرة ؟
وأكرتها له . فاعترض عليّ قائلاً : ومن أين لنا أن هذا حصل ؟

فقلت له : يهنا الآن من القرآن الدلالة التاريخية ، أفلا يُعدّ القرآن كتاب تاريخ
من ذلك العهد ؟ فقال : بلى .

قلت : إذن فإن هذا قد حصل . ثم قلت له : ألا يدل ذلك على نبوة محمد ؟
فأجاب وهو في حالة ذهول : صحيح ، ثم غرق في تفكير عميق .

فاتضح بهذا أن محمداً نبي يوحى إليه وأن الذي أخبره علام الغيوب ، وما أصدق
كقول حسان :

لهي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

٢ - وعده باستخلاف المؤمنين في الأرض :

قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا (منكم) وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » (النور ٥٥) .

قال الطبري : « يقول تعالى ذكره (وعد الله الذين آمنوا . . . ليستخلفنهم في
الأرض) يقول : ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها
وساستها » (١) .

وقال الحافظ ابن كثير : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه
بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاية عليهم ، وبهم تصلح البلاد
وتهدأ لهم العباد . وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم . وقد فعله
نبارك وتعالى وله الحمد والمنة » (٢) .

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٥٨

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٠

وقال الفخر الرازي : « دلت الآية على صحة نبوة محمد ﷺ » لأنه أخبر عن الغيب في قوله (ليستخلفنهم... أنما) وقد وجد هذا المخبر موافقاً للخبر . ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد ﷺ » (١) .

فنحن نرى أن القرآن يعد المؤمنين الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين لهم بقوله (وعند الله الذين آمنوا «منكم»...) ثم يأتي بهذا الوعد مؤكداً بالنون وبلام القسم (ليستخلفنهم ، وليمكنن) وقد تم ذلك على يد أصحاب الرسول بعده كما وعد الله سبحانه فدل ذلك دلالة قاطعة على صدق نبوته ﷺ .

٣ - وعده بإظهار دين الإسلام على سائر الأديان :

قال تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة ٣٣) .

وقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » (الفتح ٢٨) .

وقال : « يريدون ليظفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (الصف ٨ ، ٩) .

فنرى أن الله سبحانه يؤكد هذا الأمر في ثلاثة مواطن من القرآن الكريم قال الحفاظين كثير : « أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ » انه قال : « ان الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك امتي ما زوي لي منها » (٢) .

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ٢٤ وانظر تفسير القرطبي ١٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ، أسباب النزول للواحدي ٣٤١ - ٣٤٢ ، فتح القدير ٤ / ٤٥ - ٤٦ ، تثبيت دلائل النبوة للهمداني ٢ / ٤٤٦

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٤٩ وانظر تفسير الطبري ١٠ / ١١٦ ، تفسير القرطبي ٨ / ١٢١ ، التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٤٠ ، فتح القدير للشوكاني ٢ / ٣٣٨

اجاء في (تثبيت دلائل النبوة) أن رسول الله ﷺ قال حين دعا إلى الله وفي وحدته وضعفه : « ان الله أرسلني ووعدني ان يظهر ديني على الاديان كلها ان سلطاني أفر من سلطان كسرى وقبصر فأغلب الملوك ، ويعلمو ملكي وملك ري وأتباعي كل ملك في الأرض ثم ما رضي بهذا القول حتى جعله كتاباً يقرأ مخلداً يعرفه العدو والولي فقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق على الدين كله وكفى بالله شهيداً ... » وقال أيضاً : « يريدون أن يطفئوا نور مواهبهم ... الكافرون » فكان كما قال وكما أخبر » (١) .

لذلك على صدق نبوته ﷺ .

في الوعد بإظهار دين الإسلام قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الأفاق وفي سمحى حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » (سجدة ٥٢) .

لذا وعد بأن الله سينصر محمداً وسيرهم هذا النصر فيهم أنفسهم وفي الأفاق وهي رب والبلاذ حتى يعلموا أن ما وعده الله حق .

في الفخر الرازي : « فهذا إخبار عن الغيب وقد وقع خبره مطابقاً لخبره [مع] فيكون هذا إخباراً صدقاً عن الغيب والإخبار عن الغيب معجزة » (٢) .

في الكشف : « يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً وفي باحة العرب خصوصاً المشرق التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الأكراسة وتغليب قليلهم على كثيرهم ... ونشر دعوة الإسلام في أقطار ديرة وبسط دولتها في أقاليمها . والاستقراء بظلمك في التواريخ والكتب المدونة بأهل أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعها إلا علماً من أعلام الله أن آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين

الحق الذي لا يجيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه » (١) .

وقال الحافظ ابن كثير : « أي سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجة في الآفاق من الفتحوات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان . قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في أنفسهم قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم ، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه .

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المراد والاختلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريع الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى » (٢) .

أما الاحتمال الثاني الذي ذكره ابن كثير فغير مراد والله أعلم لأن الكلام على القرآن وآياته فإن هذه الآية تأتي بعد قوله تعالى (قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد) ، فالسياق ياباه .

ثم إن قوله تعالى (حتى يبين لهم أنه الحق) يعني حتى يبين لهم أن القرآن أودى الله حق وهذا لا يثبت من علم التشريع ، إذ ما علاقة التشريع بكون أن القرآن حق ؟ !

إن علم التشريع يدل على حكمة الله تعالى ولا علاقة له بدين الإسلام فيظهر لهم أنه الحق .

ثم إن قوله (لهم) يعني أنهم هم المقصودون بذلك أي سريهم الوعود التي وعدها الله نبيه من النصر حتى يظهر لهم أن ما قاله محمد وما وعده به ربه حق وأن الله شهِد على ذلك « أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » .

ومنه قوله تعالى في القرآن (إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حبه)

(١) الكشف ٣ / ٧٥ وانظر تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٤ ، القبرطي ١٥ / ٣٧٤ ، فتح اله ١٠٩ / ٤٠٨

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٠٥

سورة ص ٨٧ ، ٨٨) والذكر الشرف فذكر أن القرآن شرف للعالمين وانكم سترون
لك بعد حين من الدهر وهو إلحاح الى النصر الواسع العام .

ونحوه قوله تعالى «لقد أنزلنا كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون» (الانبياء ١٠) « قال
هباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم»^(١)

اجاء في (الكشاف) : «ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال : «وانه لذكر لك
لك»^(٢) وقال القرطبي : «فيه ذكركم» والمراد بالذكر هنا الشرف أي فيه شرفكم
(وانه لذكر لك ولقومك»^(٣) . .

وقال تعالى «وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون» (الزخرف ٤٤) أي شرف
لك ولقومك تذكرون بذلك، فكان كما قال إذا كان قومه مغمورين مجهولين
بهم القرآن وشرفهم وصبرهم قادة الدنيا وسادتها، قال الهذلي في (تثيبت دلائل
القرآن) : «أي شرف ونبل وجلالة . . . ولهذا قال عز وجل لقريش في ابتداء المبعث :
هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون» يريد القرآن وإنه عز ونبل وشرف ومستشرف به
من تمسك به ودعا إليه . . .

أي مثل هذا المعنى قوله عز وجل : «الم نشرح لك صدرك . . . ورفعنا لك
«فان ذكره ارتفع بالصدق والوفاء وقيام الحجة»^(٤) .

نحوه قوله تعالى : «بل أتيناكم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون» (المؤمنون
قال الزمخشري : وبذكرهم أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم
هم»^(٥) .

لله الايات كلها تشير إلى أن القرآن إنما هو رفعة لمحمد ولن آمن به فكان كما
وهي من الأدلة الواضحة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

١٧٤ / ٣ مير ابن كثير
٣٢٢ / ٢ وانظر الطبري ج ١٧ ص ٧ ، فتح القدير ٣ / ٣٨٧
مير القرطبي ١١ / ٢٧٣
في دلائل النبوة ١ / ٨٤
٣٦٦ / ٢ وانظر تفسير الرازي ٢٢ / ١٤٥

٤ - وعده بنصر الرسول في الدنيا والآخرة :

قال تعالى : «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الساء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ؟» (الحج ١٥)

والمعنى ان الله ناصر رسوله لا محالة في الدنيا وفي الآخرة ومن كان يظن غير ذلك فليخنق نفسه بحبل اوليفعل ما يشاء فإن نصره كائن لا يتخلف. قال ابن كثير: «قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أي بحبل إلى السماء أي سماء بيته ثم ليقطع يقول ثم ليخنق به. وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أي ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر إنما يأتي محمداً من السماء ثم ليقطع ذلك عنه إن قدر على ذلك . وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم فإن المعنى : من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصر لا محالة»^(١).

وجاء في (الكشاف) : «والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ جهوده في ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فاخنق»^(٢).
وهو دليل قاطع على نبوته كما ترى .

ومن الوعود بنصر رسوله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة قوله تعالى : «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد» (غافر ٥١) .

فهو وعد بنصر الرسول والمؤمنين معه في الدنيا وفي الآخرة لأن محمداً من الرسل وأتباعه من الذين آمنوا قمحمد وأتباعه داخلون في جملة الوعد وقد تم ذلك كما أخبر ،

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٠

(٢) الكشاف ٢/ ٣٤٣ وانظر تفسير الطبري ١٧/ ١٢٥ ، تفسير القرطبي ١٢/ ٢١ ، تفسير السراي ، ج ٢٣ ص ١٦ ، فتح القدير ٣/ ٤٢٧ ، تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩

ثم قال في الآية (٥٥) بعد هذه الآية : «فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك
ولصبح بحمد ربك بالعشي والإيكار» أي سيصيبكم النصر قطعاً وإن هذا الوعد حق
فخلف فاصبر تر ذلك .

ثم تحقق هذا الوعد كما قال الله . قال الشوكاني : «أي نجعلهم الغالبين
والهم القاهرين لهم . . . ونصر الذين آمنوا معهم في الحياة الدنيا بما عودهم الله
الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر والقهر ويوم يقوم الأشهاد وهو يوم
الدين» (١).

قال ابن كثير : «وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه
وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان وأمره
المراد من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ثم منحه
الشركين يوم بدر فنصره عليهم وأخذهم وقتل صناديدهم وأسرى سراتهم فاستاقهم
في الأسفاد . . . ثم بعد مدة قريية فتح عليه مكة ففرت عنه بيلده وهو البلد
الحرام المشرف المعظم . . . وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكاملها
والناس في دين الله أفواجاً» (٢).

من الوعود بنصر رسوله والمؤمنين وخذلان أهل الكفر قوله تعالى : «ولقد سبقت
بالعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون . فتول عنهم
يحيون . وأبصرهم فسوف يبصرون أفعبداً بنا يستعجلون . فإذا نزل بساحتهم فساء
المدبرين . وتول عنهم حتى حين . وأبصر فسوف يبصرون» . الصافات ١٧١

هذا وعد ثابت بنصر الرسول ﷺ والمؤمنين لأنه ﷺ من الرسل وأتباعه من
الذين لهم داخلون في الوعد . وما يدل على أن الرسول ﷺ وأتباعه مقصودون
بالوعد قوله تعالى مخاطباً رسوله : «فتول عنهم حتى حين . وأبصرهم فسوف
يبصرون» . . . إلى آخر الآيات فأكد أن النصر والغلبة حاصلتان للرسول وجنده بعد
الزمن وإن العذاب نازل بأهل الكفر وإنهم سوف يبصرون هذا العذاب

النازل بهم وغلبة الرسول عليهم فكان كما أخبر . جاء في (الكشاف) : «والمراد الموعد بملوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة» (١).

وقال ابن كثير : «يقول تبارك وتعالى : «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين» أن تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون أي في الدنيا والآخرة) . . .

وقوله جل وعلا (فقول عنهم حتى حين) أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر . ولهذا قال بعضهم غيّا ذلك إلى يوم بدر . . . وقوله جلّت عظمته (وأبصرهم فسوف يبيصرون) أي انظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبيصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون) ؟ (٢).

٥ - وعده بهزيمة أهل الكفر:

قال تعالى : «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد» (ال عمران ١٢) .

وعد الله محمداً هزيمة أهل الكفر وخذلانهم في الدنيا وفي الآخرة وقال له أخيراً بذلك . وقد تم ما أخبر الله به رسوله وتحقق وعده فبذل ذلك على صدق نبوته . قال الإمام الطبري : «إن أبا كريب حدثنا قال : ثنا يوسف بن بكير عن محمد بن إسحاق قال ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بدر فينقاع فقال : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً . فقالوا

(١) الكشاف ٢/ ٦١٥

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٤ وانظر الطبري ٢٣ / ١١٤ - ١١٦ ، القرطبي ١٥ / ١٣٩ ، تفسير الضمخشري ٢٦ / ١٧٢ ، فتح القدير ٤ / ٤٠٣

هد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغياراً لا يعرفون القتال.
والله لو قاتلنا لعرفت إنا نحن الناس وأنت لم تأت مثلاً. فأنزل الله عز وجل
لك من قوهم (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) إلى
(الاولى الأبصار)»^(١١).

ال ابن كثير: «(ستغلبون) أي في الدنيا (وتحشرون) أي يوم القيامة. . .»^(١٢)
ال الشوكاني: «وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير
سريعاً وضرب الجزية على سائر اليهود ولله الحمد»^(١٣).

ال الفخر الرازي: «قوله (ستغلبون) إخبار عن أمر يحصل في المستقبل وقد
بره على موافقته فكان هذا إخباراً عن الغيب وهو معجز. ونظيره قوله تعالى
الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون»^(١٤).

ولحق هذا قوله تعالى في اليهود «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضرركم
وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون» . . .

في تثبت دلائل النبوة: «وباب آخر من آياته وعجيب إعلامه وهو إخباره عن
القال: «منهم المؤمنون. . . إلى قوله: ثم لا ينصرون. . . فكان كما قال،
كيف أخبرهم بها قبل وقوعها وأنذرهم بما يكون قبل أن يكون وجعلهم على
ال»^(١٥).

ذلك قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من
كتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتهم
هم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا
يم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون» (الحشر ١١، ١٢).

والله محمداً بأن مواعيد المنافقين لليهود بنصرهم كاذبة كلها. وقد تبين صدق

الطبري ١٩٢/٣، وانظر القرطبي ٢٤/٤

الابن كثير ٣٥٠/١

القدر ٢٩١/١

الرازي ٢٠١/٧ وانظر تثبت دلائل النبوة ٤٣٥/٢

دلائل النبوة ٤٣٤/٢ - ٤٣٥

إخبار الله بذلك فإن المنافقين لم يخرجوا مع بني النضير الذين أخرجوا من المدينة، ولم يقاتلوا مع بني قريظة ولا خيبر .

قال ابن كثير : « يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا . . . » قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به . . . (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أي لا يقاتلون معهم ولئن نصروهم أي قاتلوا معهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون . وهذه بشارة مستقلة بنفسها^(١) .

وجاء في (فتح القدير) : « وقد كان الأمر كذلك فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم ، ولم ينصروا من قاتل من اليهود وهم بنو قريظة وأهل خيبر^(٢) » .

وجاء في (الكشف) : « وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب . . . »^(٣) .
وجاء في (تفسير القرطبي) : « وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد ﷺ من جهة علم الغيب لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) »^(٤) .

ونحو هذا قوله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسيفقونها ثم تكون حصة عليهم حرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » (الأنفال ٣٦) .

فقد أخبر الرب أن هؤلاء ينفقون أموالهم للصد عن دين الله فسيفقونها ثم يغلبون ولا يجنون شيئا سوى الندامة .

قال الحافظ ابن كثير : « قال محمد بن إسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى ، حبان وعاصم بن عمرو بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٤٠

(٢) فتح القدير ٥ / ١٩٨ - ١٩٩ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٢ / ٤٩٠

(٣) الكشف ٣ / ٢١٧

(٤) تفسير القرطبي ١٨ / ٣٤

لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مثنى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب أهلهم وأبنائهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثاراً بمن أصيب منا ففعلوا . قال ففهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل (ان الذين كفروا . . الخاسرون) . وكذا روي عن عاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عيسى وقتادة والسدي وابن أبي أنس أنها نزلت في أبي . إن ونفقت الأموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ . وقال الضحاك نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة (١) .

وجاء في (فتح القدير) للشوكاني : « والمعنى ان غرض هؤلاء الكفار في انفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ » وجمع الجيش لذلك ، انفاق أموالهم عليها وذلك كما وقع من كفار قريش يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب . إن الرؤساء كانوا ينفقون أموالهم على الجيش . ثم أخبر الله سبحانه عن هذا الغيب . إن وجه الإعجاز فقال (فينفقونها) أي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة ذلك ان يكون انفاقهم حسرة عليهم . . ثم آخر الأمر يغلبون . (٢)

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : « فخبير بانفاقهم قبل أن ينفقوا ويقتلهم فهل أن يقاتلوا ويهزيمتهم قبل أن يهزموا ثم كان ذلك كما قال وكما أخبر وكما حصل » (٣) .

وعلى كل حال فهو إخبار عام بهزيمة وخسران كل من يتصدى لمحاربة الرسول ، الصد عن دين الله سواء كانوا هؤلاء المذكورين أم غيرهم وكان كما أخبر .

ونحو هذا قوله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون » (١١٠) . (القمر ٤٤ - ٤٥) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « وأنزل في مكة (أم يقولون نحن . .) فكان كما

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٧/٢ وانظر الكشف ١٤-١٥ ، أسباب النزول للمواحيدي ٢٣٤

(٢) فتح القدير ٢٩٢/٢ وانظر الطبري ٢٤٤/٩ - ٢٤٦

(٣) لمثبت دلائل النبوة ٣٢٢/٢

اخبر هزم الجمع وولوا الدبر»^(١).

قال القرطبي : «سيهزم الجمع أي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره»^(٢).

وأخرج البخاري في صحيحه والنسائي في غير موضع وابن حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ يوم بدر وهو في قبة : اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم . فاخذ أبو بكر بيده فقال : حبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر».

فانظر إلى قوله ﷺ انشدك عهدك ووعدك ، فقد وعده ربه ان يهزم جمعهم فكان كما اخبر .

ونحو هذا من الوعود قوله تعالى «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب» (سورة ص ١١).

قال ابن كثير : «أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكتبون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين كقوله جلست عظمتهم (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) كان ذلك يوم بدر»^(٣).

وجاء في (تفسير القرطبي) : «وهذا تأنيس للنبي ﷺ وقد فعل بهم هذا في يوم بدر . قال قتادة : وعد الله أنه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تأويلها يوم بدر»^(٤).

وجاء في (فتح القدير) : «هذا وعد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالنصر عليهم

(١) الجواب الصحيح ١٣٠ / ٤

(٢) تفسير القرطبي ١٤٥ / ١٧ وانظر الطبري ١٠٨ / ٢٧ ، ابن كثير ٢٦٦ / ٤ ، فتح القدير ١٢٥ / ٥ ، تنبيه

دلائل النبوة ١ / ٨٤ ، ٣١٣ / ٢ ، اعلام النبوة للمهاوودي ٤٤ - ٤٥

(٣) ابن كثير ٢٨ / ٤

(٤) تفسير القرطبي ١٥٣ / ١٥

والظفر بهم... وقد وقع ذلك ولله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله...
 وجاء في (الكشاف): «يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسول
 الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثر لما به يهذون»^(١)
 وجاء في (تثبيت دلائل النبوة): «فأتمل الأمر في ذلك تجده عظيماً لأنه توعدهم
 بالحرب قبل الحرب وقبل الجماعة وفي حالة الضعف وهو معهم وفي أسرهم وفي قبضتهم
 بعينهم على قتله واستنصاه»^(٢)
 ومن الوعود أيضاً قوله تعالى «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول
 هم بذؤكم أول مرة؟ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. قاتلوهم
 يهديهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين». (التوبة
 ١٤، ١٥).

وهو وعد بأن الله سيخزيهم وينصر المؤمنين عليهم فكان كما وعد الله ربنا
 المبرور.

وما ذكرناه من الوعود إنما هي غيوب متعددة وكل واحد منها دليل صادق على
 صحة نبوة الرسول. فأنت ترى أن بعض هذه الآيات موجه إلى اليهود وتهديدهم
 به والقهر فكان كما قال.

بعض هذه الآيات موجه إلى الذين جمعوا الأموال للاستعانة على حرب الرسول
 بارهم بأنهم سيفقون أموالهم ولا يدركون شيئاً ثم يغلبون فكان كما قال.

بعضها موجه إلى جيش الكفر جميعه بأنه سيهزم هذا الجمع ويولون الدبر فكان
 كما قال.

أنت ترى أن هذه غيوب متعددة وكل منها ينهض دليلاً برأسه على صدق نبوته.

لقد يقول قائل إن هذا من باب رفع المعنويات وبث الحماس في نفوس أصحابه

المندبر ٤/ ٤١٠ وانظر الطبري ٢٣/ ١٣٠، التفسير الكبير ٢٦/ ١٨١

ص ٣ هـ

دلائل النبوة ٨٣/ ١

كما يفعل السياسيون والقادة في بعث الحماس في نفوس جماعاتهم. والحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين الأمرين فإنه إذا اختلف وعد واحد من مواعيد الرسول الكثيرة ولم يتحقق أدى ذلك إلى الشك في نبوته ودعا ذلك إلى تكذيبه بخلاف السياسي فإنه يقصد إلى رفع معنويات جماعته فإن تحقق فذاك وإلا فلا ضرر فيه .

ثم ما حجة النبي الذي يعد فلا يتحقق وعده؟ هل هي نفس حجة السياسي الذي يعد فلا يتحقق وعده؟

إن السياسي يقول بكل سهولة : كان هذا تقديري للأمر وقد أخطأت والانسان يخطئ ، وأنا لا أعلم الغيب .

فهل يستطيع النبي أن يقول ذاك؟ وكيف يستطيع أن يقول ذاك وهو يدعي أن الله خالق الخلق وعالم الغيب هو الذي أرسله للناس؟ ومن سيتابع هذا النبي الذي يعد ولا يتحقق وعده؟ من سيتابع هذا النبي الذي يحمل معه الدليل على كذبه؟

إن محمداً ﷺ وعد جماعته وعوداً كثيرة ومنها - مثلاً - وعده بالنصر على قريش في معركة بدر كما أخبر القرآن بذاك بقوله «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» - كما سيمر بنا - فإنه إن لم يتحقق هذا الوعد ارتد عنه جماعته وكذبه وافتضح أمره . وهكذا شأن بقية الوعود .

وأنت قد رأيت أن الرسول وعد وعوداً كثيرة وتحققت كلها ولم يتخلف واحد منها فقام ذلك دليلاً واضحاً على نبوته .

٦ - الوعد بارجاع الرسول إلى مكة :

قال تعالى : «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاده» (القصص ٨٥) نزلت هذه الآية بالجحفة والرسول مهاجر يعدة الله فيها بارجاعه إلى مكة .

«قال البخاري في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) قال : إلى مكة .

وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد
الناسي به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) أي لرادك إلى مكة
أخرجك منها .

ولما لمحمد بن اسحاق عن مجاهد في قوله (لرادك إلى معاد) إلى مولدك بمكة .
ولما أبي حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة
الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل
أهليه (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إلى مكة^(١) .

رجاء في (فتح القدير) : وقال جمهور المفسرين أي إلى مكة .^(٢)

قال الفخر الرازي : وقال أهل التحقيق : وهذا أحد ما يدل على نبوته لأنه أخبر
الغيب ووقع كما أخبر فيكون معجزاًه .^(٣)

٧ - الوعد بدخول المسجد الحرام :

قال تعالى : ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء
الله آمنين حلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون
ه فتحاً قريباً . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
بإذن الله شهيداً . (الفتح ٢٧ ، ٢٨) .

هاتان الآيتان من سورة الفتح ، وسورة الفتح نزلت كلها عند الانصراف من
الهدبية .

قال ابن كثير : وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف
بها فآخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة
هم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم
لعل على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك
حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال : أفلم تكن

تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣ - ٤٠٣ ، وانظر تفسير الطبري ١٢٥/٢٠ ، الكشاف ٤٨٧/٢ ، تثبيت دلائل
الصورة ٣٧١/٢ ، اعلام النبوة للباوردي ٤٤ - ٤٥
فتح القدير ١٨٢/٤ ، القرطبي ٣٢١/١٣
التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢١

نخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرتك إنك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا .

قال النبي ﷺ : « فأنك آتية ومطوف به . » كما جاء في صحيح البخاري . وإن شاء الله : هذا لتحقيق الخبر وتركيدته وليس هذا من الاستثناء في شيء .^(١)

وفي هذا إخباران : إخبار تصديق الرؤيا ، وأن عمر ممن يطوف بالبيت فلا يموت ولا يعرض له عارض يمنعه من الطواف .

وجاء في (تفسير الكشاف) : « صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علواً كبيراً . . . »

(إن شاء الله) في إخبار الله عز وجل ، قلت فيه وجوه : أن يعلق عدته بالمشئة تعلماً لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأديين بأدب الله ومقتدين بسنته . . . أو هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه وقص عليهم .

(فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة .

(فتحاً قريباً) وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود .

(ليظهره) ليعلمه (على السدين كله) على جنس السدين كله ، يريد الأديان المختلفة . . . وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقضي لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة^(٢) .

« وقال أبو عبيدة : إن بمعنى إذ يعني إذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك » .

« وكفى بالله شهيداً : أي كفى الله شهيداً على هذا الأظهار الذي وعد المسلمين به وعلى صحة نبوة نبيه ﷺ »^(٣) .

(١) تفسير ابن كثير ٢٠٦/٤
(٢) الكشاف ١٤١/٣ وانظر تفسير الطبري ١٠٧/٢٦ ، تفسير القرطبي ٢٩٠/١٦ ، التفسير الكبير ١٠٥/٢٨

(٣) فتح القدير ٥٣/٥ - ٥٤

وهاتان الايتان فيهما اعلام صادقة واضحة على نبوته ﷺ هي :
١ - الوعد بدخول المسجد الحرام وقد أكد الله هذا الأمر بلام القسم ونون التوكيد
النهال : ولقد صدق الله . لتدخلن المسجد الحرام وهذا تأكيد بالغ .

وأما قوله (إن شاء الله) فليس تعليقاً، ولو كان تعليقاً لم يكن تصديقاً للرؤيا .
له إن لم ينجز الله وعده ويدخلوا المسجد الحرام فهل يعد هذا تصديقاً للرؤيا؟
لقوله : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق دل على أن قوله (إن شاء الله) ليس
تعلّياً والا لم يكن تصديقاً وهذا واضح .

وقد تحقق هذا الوعد في العام القابل فكان اخباراً صادقاً ودل على صحة نبوته .
٢ - إن الله وعدهم فتحاً قريباً قيل تحقق الرؤيا فقال : (فجعل من دون ذلك
فتحاً قريباً) أي فجعل من دون دخول المسجد الحرام فتحاً قريباً .
وقد تحقق هذا الوعد فقد فتحت خيبر بعد انصرافهم من الحديبية .

٣ - ثم إن الله وعدهم باظهار دين الإسلام على سائر الاديان بقوله (هو الذي
جعل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وقد تم ذلك فاتضح ان هذا
من اعلام نبوته ﷺ .

٨ - الوعد بالفتوحات والمغانم :

وهي وعود كثيرة وردت في القرآن الكريم وكل منها عكّم برأسه ودلالة صادقة على
نبوته ﷺ .

فقد كان ﷺ يعد المسلمين بالنصر والتمكين في الأرض وكان المنافقون
يولون : هذا من الغرور وحكى الله عنهم هذا القول فقال في سورة الأحزاب ١٢ :
إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً .

وهذه الآية مما نزل في وقعة الأحزاب حيث انتشر الرعب في المدينة ونجم النفاق
ان رسول الله ﷺ يعدهم كنوز كسرى ويصرح حتى قال معتب بن قشير اخو بني

عمر و بن عوف كان محمد يعدنا أن ناكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط^(١) .

والآية هذه تدل دلالة واضحة على أن الرسول كان يعدهم بالنصر والظفر وإلا فلا معنى لهذا القول، وقد حقق الله الوعد فكان علما على نبوته .

ومن ذلك قوله تعالى: وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، (الأنفال ٧) .

وهذه الآية نزلت في وقعة بدر وكان رسول الله يقول : إن الله وعدني إحدى الطائفتين إما العير (أي القافلة) وإما النفير (أي النصر في الحرب) وكان أصحابه يودون أن تكون لهم القافلة . قال ابن كثير : « والغرض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروج النفير أوحى الله إليه يعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير ورغب كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) . . . »

ثم قال الرسول ﷺ : « سبروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم^(٢) » .

وفي هذه الآية علمان من أعلام النبوة :

١ - إن الرسول كان وعدهم إحدى الطائفتين قبل المعركة . وكانوا يودون أن تكون لهم القافلة (غير ذات الشوكة) كما ثبت ذلك من الآية .

٢ - في هذه الآية إخبار بأن الله يريد أن يحق الحق ويقطع دابر الكافرين وقد أم هذا الأمران فأعطاه إحدى الطائفتين بأن نصره على القوم وأحق الله الحق بأن أم الإسلام وقطع دابر الكافرين كما وعد الله .

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٣ وانظر القرطبي ١٧٤/١٤، الطبري ١٣٣/٢١، الكشاف ٥٣٣/٢، م القدير ٢٥٨/٤، ثبت دلائل النبوة ٤٥١/٢

(٢) ابن كثير ٢٨٧/٢ - ٢٨٩ وانظر الكشاف ٥٤/٢، الطبري ١٨٤-١٨٨، القرطبي ٣٦٩/٧، م القدير ٢٧٤/٢

فانتفض ذلك دليلاً على نبوة محمد ﷺ .

ومن هذه الوعود قوله تعالى : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها وما نبغكم يريدون أن يدلوأ كلام الله قل : لن تبغونا كذلك قال الله من قبل . يقولون بل نحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً . قل للمخلفين من الأعراب دعونا إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً ثانياً وإن تولوا كما توليتهم من قبل يغذّبكم عذاباً أليماً . » (الفتح ١٥ ، ١٦) .

هاتان الآيتان من سورة الفتح وسورة الفتح نزلت كلها عند الإنصراف من بكة^(١) .

لذكر في هاتين الآيتين علمين من أعلام النبوة :

١ - إن الله وعدهم بأخذ مغانم في المستقبل وهي مغانم خبير . ولا يهمن أن تكون مغانم خبير أو غيرها فالهم أن الله وعدهم بأخذ مغانم وقد تم ذلك . وهذه الآية قبل أخذ المغانم والنص يدل على ذلك بصورة قاطعة . انظر إلى قوله تعالى يقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها « فسين الاستقبال وإذا الشرطية هان بذلك إضافة إلى ما ورد من الآثار الصحيحة ، قال الحافظ ابن كثير : « فإن قد وعد أهل الحديبية بمغانم خبير وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب لملمين فلا يقع غير ذلك شرعاً ولا قدرأ^(٢) . »

٢ - إخبار من الله للمخلفين من الأعراب بأنهم سيدعون إلى القتال في المستقبل فتمت المقسرون في هؤلاء القوم الذين يدعى إليهم المخلفون على أقوال :

أحدها : إنهم هوازن ، الثاني : ثقيف ، الثالث : بنو حنيفة ، الرابع : هم أهل س الروم وغير ذلك .^(٣)

ولا يهمن تسمية هؤلاء الأقوام أو أن يكونوا هؤلاء أو غيرهم ، فهو على أي حال

الفسر الطبري ٦٨/٢٦ ، تفسير ابن كثير ١٨٢/٤ ، أسباب النزول ٤٠٣
الفسر ابن كثير ١٨٩/٤ وانظر الطبري ٧٩/٢٦ ، القرطبي ٢٧٠/١٦ - ٢٧٢ ، الكشاف ١٣٨/٣ ،
الرازي ٩٠/٢٨ ، فتح القدير ٤٧/٥
الفسر تفسير ابن كثير ١٩٠/٤ ، تفسير الطبري ٨٢/٢٦ ، الكشاف ١٣٨/٣ ، فتح القدير ٤٩/٥

وعد بأنهم سيدعون إلى القتال وقد دُعوا فعلاً إلى هؤلاء جميعاً فتحقق الوعد فكان هذا علماً من أعلام نبوته .

ومن ذلك قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخسرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً » (الفتح ١٨ - ٢١)

وفي هذه الآيات إخبار عن غيوب كثيرة :

١ - تزكية المؤمنين المبايعين تحت الشجرة والاطلاع على قلوبهم وإعلان الرضا عنهم وهم عدد كثير . ولا شك أن الأمر كما قال إذ لو كان في إيمان أحدهم دخل لشك وارتاب وأعلن ارتداده وكفره وتكذيبه لمحمد .

ولو كان القرآن من صنع محمد لم يقدم على هذا الاعلان الخطير إذ ما يدر به لعل منهم من هو مبطن للكفر أو من سيرتد علماً بأن محمداً كان يقول : « وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . وكان يقول : « القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » . وكان كثيراً ما يدعو « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

فدل ذلك على صحة هذا الإخبار وهو غيب لا يعلمه إلا الله فإنه لا يعلم دخال القلوب غير الله .

٢ - ذكر أنه أثابهم فتحاً قريباً أي أعطاهم فتحاً قريباً . وهذه الآيات كما ذكرنا نزلت في الطريق عند الانصراف من الخديبية . واختلف المفسرون في هذا القسم القريب أهو فتح مكة أم خيبر أم غيرها^(١) . جاء في (فتح القدير) : « هو فتح »

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٩١ ، الكشف ٣/١٣٩

لا يهنا تسمية هذا الفتح فقد حصل الفتح القريب وهو خير وتوالت بعده فتح فكان كما أخبر .

أظهر أنه فتح خير لأنه سماء فتحاً قريباً وقد حصل عند انصرافهم من

هذا غيب آخر وهو أن هذا الفتح القريب هو للمبايعين تحت الشجرة لا لهم فيه غيرهم لأنه قال (وأثابهم فتحاً قريباً) والكلام على المبايعين تحت . وقد تم ذلك فعلاً فلم يشاركهم فيه أحد .

إن الله وعدهم مغنم كثيرة يأخذونها فجعل لهم هذا المغنم القريب وهو مغنم وهذا وعد قاطع بفتح خير وأخذ مغائرها ، ووعد بمغنم كثيرة ستأتي في . وقد تم هذا فقد توالت المغنم والفتوحات كما أخبر الله .

في تفسير ابن كثير في قوله (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها) : « هي جميع إلى اليوم^(٢) » .

أخبر الله بهذه الوعود (لتكون آية للمؤمنين) أي لتكون علامة دالة على الرسول والدلالة على نبوته . وقد تمت هذه الوعود فحصلت الدلالة على هذا وكانت آية للمؤمنين على صدق الرسول وعلى صدق ما أخبر الله به .

ومن ذلك قوله تعالى : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من بينهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً » . (الأحزاب ٢٧) فإن الله وعد المؤمنين بعد أن أورثهم أرض بني قريظة بأن يورثهم أرضاً لها وهي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة^(٣) وقد تم ذلك بحمد الله .

القدر ٤٩/٥ وانظر الرازي ٩٦/٢٨ ، الطبري ٩٠-٨٨/٢٦ ، القرطبي ٢٧٤-٢٧٨ كثير ١٩١/٤ وانظر الكشاف ١٣٩/٣ ، الطبري ٨٨/٢٦ ، تفسير الرازي ٩٦/٢٨ ، القرطبي ٢٧٤-٢٧٨/١ ، فتح القدير ٤٩/٥ .
كتاب ٥٣٥-٥٣٦ ، القرطبي ١٦١/١٤ ، فتح القدير ٢٦٦-٢٦٥/٤

ونحو ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » (التوبة ٢٨) .

فقد وعد الله قريشاً بالغنى عن المشركين وقد حصل ذلك . قال ابن كثير « قال محمد بن اسحاق وذلك أن الناس قالوا لتقطع عنا الأسواق وتهلكن التحارات وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فأنزل الله (وإن خفتم عيلة) »^(١) .

وجاء في تفسير القرطبي : « وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وما كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر وقال من أين نعيش ؟ فوعد الله أن يغنيهم من فضله . . . وأغنى الله من فضله »^(٢) .

وقال الفخر الرازي : « قوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) إخبار عن غيب المستقبل على سبيل الحزم في حادثة عظيمة وقد وقع الأمر مطابقاً لذلك الخبر فكأن معجزة »^(٣) .

ومن ذلك إخباره بالفتح قبل حصوله قال تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) (الفتح ١) .

واختلف المفسرون في هذا الفتح فقيل فتح مكة وقيل خيبر وقيل فتح الروم^(٤) والظاهر أن هذا لا يختص بفتح مكة وإنما هو إخبار بالفتح عموماً فكان كما أخبر وهو غيب .

ومن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم فمنهم من لا يهدي القوم الظالمين » (من الذين في قلوبهم مرض يمارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٤٦

(٢) تفسير القرطبي ٨/١٠٦

(٣) تفسير الرازي ١٦/٢٧

(٤) تفسير ابن كثير ٤/١٨٢ ، تفسير الطبري ٢٦/٧٠ ، الرازي ٢٨/٧٧ ، تفسير القرطبي ١٦/٩١

الكشاف ٣/١٣٥ ، فتح القدير ٥/٤٢

في الفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » . (المائدة ٥٢)

الحمد ذكر الله أن المنافقين يتولون اليهود والنصارى ويسارعون فيهم قائلين نخشى صبينا دائرة ولكن الله ألح إلى الفتح فقال : « فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » . وهو إلحاح إلى الوعد بالأتيان (وعسى) في كلام الله واجب لا يتخلف .

ثم (الكشف) : « فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله ﷺ » على أعدائه من المسلمين أو أمر من عنده يقطع شاقة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبحون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون من أمر رسول الله ﷺ ويقولون : « ما نظن أن يتم له أمر » .

ثم (فتح القدير) : « وعسى في كلام الله وعد صادق لا يتخلف . والفتح النبي ﷺ » على الكافرين . ومنه ما وقع من قتل مقاتلة بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وقيل هو فتح بلاد المشركين على أيدي المسلمين . وقيل مكة .

ثم هذا الإلحاح قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم والله قدير والله غفور رحيم » (الممتحنة ٧) .

هو إلحاح إلى فتح مكة وتأليف القلوب بعدما حصل ما حصل ، فإن هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل رسالة إلى قريش يخبرهم بتوجه رسول الله ﷺ يريد أن يتخذ عندهم بداً فكان مما قاله الله هذا القول .

ثم ذاك كما أخبر فآزال الضغائن والإحن وأحل المودة محلها .
ثم كما ترى غيوب كثيرة قد تحققت كلها ، وكل منها علم برأسه وحجة قاطعة بآية محمد ﷺ فكيف باجتماعها ؟!

المعاني ١ / ٤٦٥ ، ابن كثير ٢ / ٦٨ ، القرطبي ٦ / ٢١٨
فتح القدير ٢ / ٤٧ - ٤٨ وانظر تفسير الطبري ٦ / ٢٨٠ ، تفسير الرازي ١٢ / ١٦

وهي غيوب كثيرة منها قوله تعالى : «وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأها به قالت من أنبأه هذا؟ قال نبأني العليم الخبير. (التحریم ٣) .

والحادثة أن رسول الله أسر إلى حفصة بنت عمر زوجه حديثا واستكنها إليها لكنها افشته إلى عائشة فأطلعه الله على هذا الإفشاء فخبّر حفصة بذلك فسألت عمر أخبره ، فقال : إنما أخبرني به الله تعالى (١) .

ولا يحتمل الآن ما هو السر ولا من هي الزوج التي أباحت سر رسول الله ، فأبأ كما السر وأبأ كانت الزوج فالمسألة واحدة وهي أن الله أطلع رسوله على هذا الإفشاء .
لعلك تقول : لعل زوجه الأخرى هي التي أخبرته .

فنقول : هذا مردود لأن محمداً ادعى أن الله أظهره عليه وليس بشراً أنظر إلى قول تعالى : (وأظهره الله عليه) وإلى قوله (قالت من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير)

فلو كان المخبر غير الله لعد محمد كاذبا ولا رتاب خبره وارتد وفضح هذا الألف وقال : أنا الذي أخبرته فادعى أن الله أخبره .

ومحمد في سعة عن هذا الأمر وفي غنى عن هذا الإدعاء والدخول في هذا المذبح وجعله قرآنا يتلى على رؤوس الأشهاد . فدل ذلك على أن الله هو الذي أخبره وهذا غيب وهو ينهض دليلا برأسه على نبوة محمد ﷺ .

ومن ذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نلهم إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم» (المتحنة ١) .

هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل كتابا مع امرأة مشركة إلى قريش يخبرهم بتوجه رسول الله إليهم فأطلعه الله عليه فأرسل رسول الله ﷺ

(١) الكشف ٣/ ٢٤٥ - ٢٤٦ ، تفسير الطبري ٢٨/ ١٥٩ - ١٦٠ ، تفسير القرطبي ١٨/ ١٨٦ ، فتح الباري ٤٦٨ - ٤٦٩

والمقداد إلى المرأة وهي في الطريق فجاءوا بالكتاب، جاء في صحيح البخاري
متعددة عن سفيان عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن
إبراهيم عن علي وبطريق متعددة عن حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن
بن علي .

عبيد الله بن أبي رافع قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول : بعثني رسول
الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها
معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا
العمينة فقلنا : اخرجني الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب . فقلنا : لتخرجني
أو لنلقين الثياب . فالخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه
كتاب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر
الله ﷻ . فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول
الله ﷺ جعل عليّ إني كنت امرأة أملتصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك
بهرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من
لهم أن اتخذ عندهم يدأ يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا إرتداداً ولا رضا
بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : لقد صدقكم . قال عمر : يا رسول
الله ﷺ أضرب عنق هذا المنافق . قال : «انه قد شهد بدرأ وما يدريك لعل الله أن
يد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

رحمه مسلم والنسائي والترمذي والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب وابن أبي
كرهما جمهور المفسرين^(١) وأصحاب المغازي والسير .

أذهب من الغيوب وهو يدل على نبوة رسول الله ﷺ .

ذلك قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ذكر البخاري
أن سبب نزول هذه الآية أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إني
أرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء ، ثم أرسل

١/ ٢٨ ، ٥٨ ، القرطبي ١٨ / ٥٠ - ٥٢ ، الكشاف ٣ / ٢١٩ ، ابن كثير ٤ / ٣٤٥ فتح القدير
٢٠ - اسبب النزول ٤٤٧

إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ١٠
عندي الماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار
فقال : أنا يا رسول الله . فانتقل به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟
قالت : لا إلا قوت صبياني . قال : فعليهم شيء ، فإذا دخل ضيفنا فأطعني السراج
وأريه إنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال : فقعدوا وأكل
الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال : قد عجب الله من صنعكما بضيفكم
الليلة^(١) .

ومن ذلك قوله تعالى : إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله
ولا تكن للخائنين خصيماً . واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيمًا . ولا تجادل
الذين يمتنعون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثمًا . يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون
محيطاً . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
من يكون عليهم وكيلًا ؟

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا
أنفسهم وما يضرؤنك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعظمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً . . (النساء ١٠٥ - ١٠٩) .

أخرج الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن قال
ابن النعمان رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من أيقال لهم بنو أريق بشر وبشر .
وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحو
لبعض العرب ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا فإذا سمع
أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الحمير
أو كما قال الرجل وقالوا ابن الأريق قالها . قالوا وكانوا أهل بيت وحاجة وفاء
الجاهلية والإسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل
كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرهم ابتاع الرجل منها فخص
نفسه ، وأما العيال فإعنا طعامهم التمر والشعير . فقدمت ضافطة من الشام فادنا

(١) انظر اسباب النزول للواحدي ٤٤٥ - ٤٤٦ ، فتح القدير ١٩٧/٥

رفاعة بن زيد حلاً من الدرهم فجعله في مشربة له . وفي المشربة سلاح ودرع
ففعده عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح فلما أصبح
عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا
بطعامنا وسلاحنا . قال فتحسسنا في الدار وسألنا فقبل لنا قد رأينا بني أبيرق
لما في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم . قال : وكان بنو
قالوا - ونحن نسأل في الدار - والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ، رجلاً
صلح وإسلام . فلما سمع لبيد اختلط سيفه وقال : أنا اسرق ! والله
لنكم هذا السيف أو لتبين هذه السرقة . قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت
بها . فسألنا في الدار حتى لم نشك إنهم أصحابها . فقال لي عمي يا ابن أخي لو
رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له . قال قتادة فأتيت رسول الله ﷺ
إن أهل بيت أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له
سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال
ﷺ : سأمر في ذلك .

سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك
في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا : يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه
أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت . قال
فأتيت النبي ﷺ فكلمته فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم اسلام
يرمونهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة .

فرجعت ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في
فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول
ﷺ . فقال : الله المستعان . فلم تلبث أن نزل القرآن (إنا أنزلنا إليك الكتاب
الفتح بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) يعني بني أبيرق
أمر الله بما قلت لقتادة . . . (فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح
لرفاعة . . . الحديث^(١) .

الطبري ٢٦٤/٥ ، القرطبي ٣٧٥/٥ ، تفسير ابن كثير ٥٥١-٥٥٣ ، فتح القدير ١/١٧٤

ومن ذلك ما جاء في تبرئة عائشة من الإفك وهو قوله تعالى (ان الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم) (التور ١١) .

بقيت الالسنه تلوك حادثة الافك شهرا والرسول لا يوحى إليه - كما جاء في صحيح البخاري ومسلم - وهو حائر متردد في أمر عائشة يسأل ويستشير . والمنافقون يشيعون الفاحشه ويتولون كبر الاثم حتى وقع فيها من المسلمين . ثم جاءها الرسول في بيت أهلها ثم قال لها : يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت فاستغفري الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه .

وعائشة لم تحب رسول الله .

فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجهان من العرق في يوم شات . فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي : يا عائشة احمدي الله فقد برك الله .

فقلت لي أمي قومي الى رسول الله ﷺ فقلت : لا والله لا أقوم إليه ولا احمده .
الا الله . فانزل الله تعالى : (ان الذين جاؤوا بالإفك) .

إنه من الواضح إنه لا يعلم ببراءة عائشة أحد من البشر الا اثنان هما عائشة وصفوان بن المعطل وهما وحدهما اللذان يملكان المعرفة الصحيحة ، فاقدام محمد على تبرئتها بقرآن يتلى أمر عجيب لا يمكن ان يقدم عليه محمد من نفسه ، إذ ما يدر به لعالم الأمر على غير ذلك فيفتضح إدعاؤه ويتبين كذبه فترتاب عائشة ويرتد صفوان ؟

كان يكفيه السكوت أو أي موقف آخر حتى تهدأ الفتنة وتسكن القالة ، ولكن إقدامه على هذا الأمر وإعلانه براءة عائشة بقرآن يتلى يدل قطعاً على ان الذي يراها هو الله الذي يعلم الغيب .

ثم لنلاحظ موقف الرسول من عائشة فبعد أن كان موقف التردد والحيرة تحول به ، الوحي فجأة إلى موقف الثقة والإطمئنان وهذا التحول لا يمكنه أن يكون لو لم يدم .
وانتقا ببراءتها باخبار من الله تعالى .

١٠ - الوعد بأمر قريبة :

من ذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب المائدة ٩٤» .

هذا إخبار من الله بحادث قريب وهو أن الله سيختبرهم بصيد قريب منهم تناله أيديهم وهم محرمون ليعلم الله من يطيعه في عدم قتله لأنهم في حال إحرام حصل ذلك فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحا لهم لم يروا مثله قط (١١) .

هوكما ترى إخبار عن شيء قبل حدوثه فهو غيب من الغيوب فدل ذلك على

أنحو ذلك قوله تعالى : «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال الفس والشمرات وبشر الصابرين» .

فما في الكشف : «وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم» (١٢) وجاء في انصاف من الكشف : «لأن هذا الابتلاء موعود به في المستقبل مذكور قبل أن توطنا عليه عند الوقوع» (١٣) .
لقد حصل ذاك فقام دليلا على نبوته .

١١ - تحدي اليهود في تمني الموت :

لدى القرآن اليهود في تمني الموت مرتين فقال : «قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أن أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما بأيديهم والله عليم بالظالمين» . (الجمعة ٦ ، ٧)

قال : «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا

تفسير ابن كثير ٢/ ٩٧ ، وانظر تفسير الرازي ١٢/ ٨٥

الكشاف ١/ ٢٤٧

الانصاف من الكشف ١/ ٢٤٧

الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين
(البقرة : ٩٤ ، ٩٥) .

ووجه الدليل في ذلك أن القرآن طلب من اليهود أن يتمنوا الموت أي ان يتقدم أي
واحد منهم فيقول بلسانه : أنا أتمنى الموت ثم اخبر انهم لن يتمنوه أبداً ، فلما ثناه أحد
منهم مع حرصهم على تكذيب الرسول وكيدهم له فقام ذلك دليلاً صادقاً على نبوته .

وهذا علم عظيم من أعلام نبوته إذ كيف يعلن الرسول تحدياً عاماً لليهود
فيدعوهم لتسني الموت ويقول : إنه لا يتمناه أحد منهم الا مات ثم يخبر أنه لن يتمنى
أحد منهم الموت ، وما يدر به فلعل أحداً ممن يعتقد كذب الرسول يتقدم فيتمنى الموت
وهم جموع كثيرة فيفتضح ادعائه الكاذب ؟ ثم ما الموجب لمثل هذا التحدي ؟

فدل هذا أصدق دليل على أن هذا التحدي ليس من محمد وإنما هو ممن يعلم
الغيب .

قال ابن تيمية : « فأخبر عن اليهود إنهم لن يتمنوا الموت أبداً وكان كما أخبر فلا
يتمنى اليهود الموت أبداً . وهذا دليل من وجهين :

من جهة إختياره بأنه لا يكون أبداً ، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني
الموت مع أن ذلك مقدور لهم وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة وهم مع حرصهم
على تكذيبه لم تنبث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت » (١) .

وجاء في (الفصل في الملل) : « ومن أبهر ذلك وأعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه
في وقته وهم زيادة على ألف بلا شك ولعلمهم كانوا الوفاً وهم بنو قريظة وبنو النضير
وبنو أهدل وبنو قيتقاع أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في تكذيبهم نبوته . وأعلمهم
أنهم لا يستطيعون ذلك أصلاً فعجزوا عن ذلك أي عن تمني الموت » (٢) .

وجاء في (فتح القدير) : « والمراد بالتمني هنا هو التلفظ بما يدل عليه لا تحصيله
خطوره بالقلب وميل النفس إليه فان ذلك لا يراد في مقام المحاجة ومواطن الخصم » .

(١) الجواب الصحيح ١٣١ / ٤

(٢) الفصل في الملل ٨٣ / ١

ومواقف التحدي . وفي تركهم للتمني أو صرفهم عنه معجزة لرسول الله ﷺ^(١)

وجاء في (تفسير ابن كثير) : «ولو غنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات . . . قال ابن عباس : لو غنى يهود الموت لماتوا . . .»^(٢)

وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يزيد الرقي أبو زيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل . قبحه الله : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على رقبته فقال : لو فعل هذه الملائكة عياناً ولو أن اليهود غنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ رجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً . . .

وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن هب الكريم به . وقال الترمذي حسن صحيح^(٣) .

وجاء في (التفسير الكبير) : «إنه لو حصل ذلك - أي لو غنى اليهود الموت - لنقل فلا متواتراً لأنه امر عظيم فإن بتقدير عدمه يثبت القول بصحة نبوة محمد ﷺ بالتقدير حصول هذا التمني يبطل القول بنبوته . . .

وهذا اخبار عن الغيب لأن مع توفر الدواعي على تكذيب محمد ﷺ وسهولة لإثبات بهذه الكلمة اخبار بأنهم لا يأتون بذلك فهذا اخبار جازم عن امر قامت لآمارات على ضده فلا يمكن الوصول إليه الا بالوحي^(٤) .

وجاء في (الجواب الفسيح لما لفق عبد المسيح) : «والمراد بالتمني القول ولا شك له عليه الصلاة والسلام مع تقدمه في الرأي والحزم وحسن النظر في العاقبة . . . لا يجوز وهو غير واثق من ربه سبحانه بالوحي أن يتحدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن غالبه الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يقهره بالدليل والحجة لأن العاقل الذي لم يهرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك فكيف الحال في اعقل العقلاء فثبت أنه ما قدم على هذا التحدي إلا بعد الوحي واعتاده الكامل ، وكذا لا شك أنهم كانوا من أشد

(١) فتح القدير ١/ ٩٧

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٢٧

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٩ وانظر تفسير الطبري ١/ ٤٢٥

(٤) التفسير الكبير ٣/ ١٩١ - ١٩٢

اعداده وكانوا احرص الناس على تكذيبه وإنهم لا يزالون متفكرين فيما ينمحي به الإسلام او يحصل منه الذلة لاهله . . . وكان المطلوب منهم أمراً سهلاً لا صعوبة فيه فلو لم يكن رسول الله ﷺ صادقاً في دعواه لبادروا إلى القول به ليكذبوه ولصرخوا به لبوهته^(١) .

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فما تنموه مع هذا الاقتضاء والمطالبة التي تغيب وتغضب ومع شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ وحرصهم على تكذيبه وقضيحته وزلة تكون منه وقد بذلوا في ذلك دماءهم وأموالهم وأولادهم وحاربوه وأعانوا عدوه عليه وتكلفوا كل شدة وكل مشقة في ذلك وما أقدموا على تمني الموت مع سهولته وقربه^(٢)» .

١٢ - الوعد بحفظ القرآن :

قال تعالى : «إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون» (الحجر ٩)

لقد وعد الله بحفظ القرآن وتكفل به فكان كما وعد فتم جمع المصحف في زمن أبي بكر الصديق (رض) فقد أمر أبو بكر زيد بن ثابت كاتب الوحي بجمعه فتبع القرآن يجمعه من المسبب (جريد النخل) واللخاف (حجارة عريضة رقاق) وصدور الرجال حتى جمعه . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى مات ثم عند عمر حتى قبض ثم عند حفصة بنت عمر .

وفي خلافة عثمان أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت جامعها الأول وعبد الله ابن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل في

(١) الجواب الفصح للآلوسي ٢٧٥

(٢) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤١١ - ٤١٢

كل افق مصحفا عما نسخوا . فحفظ القرآن بذلك وتم وعد الله بذاك فكان كما أخبر
لفقام دليلا على صدق نبوته .

وهذا الاخبار إنما هو من الغيب اذ ما يدري محمداً بهذا الحفظ والامان من الضياع
أو التحريف ؟ فلعل شأن القرآن شأن بقية الكتب السماوية التي ضاعت أو حُرِفَتْ
وما المانع من ذلك ؟

المانع هو تكفل الله بحفظه فهياً الأسباب لذلك لكنه اوكل حفظ الكتب السماوية
الى اهلها فلم يتمكنوا ، قال تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا
الْيَهُودُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ » فوكل حفظ التوراة إليهم فلم يتمكنوا منه فلهذا دخلها التحريف والتبديل
وكذلك شأن الكتب الاخرى .

١٣ - الوعد بعصمة الرسول من الناس :

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » (المائدة ٦٧) .

وعد الله محمداً بأن يعصمه من الناس جميعاً ويحفظه منهم فكان ذاك فلم يقدر أحد
على قتله على كثرة المحاولات .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله كان يُحْرَسُ حتى نزلت هذه الآية فأخرج
رسول الله ﷺ رأسه وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل .

ومن المحاولات لقتل رسول الله ﷺ ما جاء في صحيح مسلم عن جابر بن
عبد الله قال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في
واد كثير العضاء فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها
قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله ﷺ ان رجلاً
الأنبياء وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا بالسيف
صلتنا في يده فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت : الله . ثم قال في الثانية من
يمنعك مني ؟ قال قلت : الله . قال : فشام السيف فيها هوذا جالس ثم لم يعرض

له رسول الله ﷺ^(١) .

وروى ابن أبي حاتم عاولة اخرى لقتله ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم والاستيعاب ومسند الإمام أحمد والبيهقي وغيرها أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك . قال : ما كان الله ليلسطك على ذلك . قال أو قال علي . قال قالوا ألا نقلتها ؟ قال : لا فإني زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ .

فانضح أن الله كان قد عصمه كما أخبر وكما وعد فقام ذلك دليلاً على صدق نبوته .

جاء في (الكشاف) : « والله يعصمك : عدة من الله بالحفظ والكلاءة . والمعنى والله بضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم ؟ »^(٢) .

قال القرطبي : « قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) دليل على نبوته لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم »^(٣) .

وكان الله قد تحداهم قبل هذا مرتين في أن يكيدوا محمداً إن استطاعوا قال تعالى « قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تُنظرون . إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » (الأعراف ١٩٥ ، ١٩٦) .

وقال : « فإن كان لكم كيد فكيّدون » (المرسلات ٣٩) وهو تحدّ سافر بأن يكيدوه ولا يجهلوه إذا كان ذلك بوسعهم .

ومن ذلك قوله تعالى « فيكفيكم الله وهو السميع العليم » (البقرة ١٣٧) وهذا وعد من الله بأنه سيكفيهم من عانده وخالفه .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣١/٢ ، ٧٨-٧٩ ، القرطبي ٢٤٤/٦ ، تفسير الطبري ٣٠٧/٦-٣٠٨ ، تفسير الرازي ٥٠/١٢ ، فضح القدير ٥٧/٢ ، اسباب النزول للواحدي ١٩٦ ، طبقات ابن سعد ١١٣/١/١

(٢) الكشاف ٤٧٣/١-٤٧٤

(٣) القرطبي ٢٤٣/٦ وانظر الجواب الفسيح ١٠٤-١٠٥

جاء في (الكشاف) : « ضهان من الله لاظهار رسول الله ﷺ » وقد انجز
 الله بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السنين أن ذلك كائن لا محالة
 لا تأخر إلى حين » (١) .

وجاء في (فتح القدير) : « وعد من الله تعالى لنبيه أنه سيكفيه من عانده وخالفه
 المتولين وقد انجز له وعده بما أنزله من بأسه بقريظة والنضير وبني قينقاع » (٢) .

وجاء في (التفسير الكبير) : « هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على
 له وإنما قلنا أنه إخبار عن الغيب وذلك لأننا وجدنا خبر هذا القول على ما أخبر به
 تعالى كفاه شر اليهود والنصارى ونصره عليهم حتى غلبهم المسلمون واخذوا
 بهم وأموالهم فصاروا أذلاء في أيديهم يؤدون إليهم الخراج والجزية . . . وإنما قلنا
 معجز لأن المتخصص لا يصيب في مثل ذلك على التفصيل » (٣) .

ومن ذلك قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك
 المهزئين » (الحجر ٩٤ ، ٩٥) .

والمستهزئون هم رجال بأعيانهم تمادوا في غيهم يستهزئون برسول الله ﷺ
 يستهزئون فأخبر الله محمداً بأنه كفاه هؤلاء . قال الحافظ ابن كثير : « قال الحافظ
 بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا عون
 كهشم عن يزيد بن درهم عن أنس قال سمعت انساً يقول في هذه الآية (إنا
 كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) قال مر رسول الله ﷺ فغمزه
 بهم فجاء جبريل أحسبه قال فغمزهم فوقع في أجسادهم كهينة الطعنة فماتوا .

وقال محمد بن اسحاق كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن
 أبي بن الزبير خمسة وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني اسد بن عبد
 رى بن قصي الأسود بن المطلب أبو زمعة . . . ومن بني زهرة الأسود بن عبد
 الله بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني غزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله

الكشاف ١٤٩ / ١ وانظر الطبري ٥٧٠ / ١ ، ابن كثير ١٨٧ / ١

فتح القدير ١٢٧ / ١

التفسير الرازي ٩٥ / ٤ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٤٠١ / ٢

ابن عمرو بن غزوم ، ومن بني سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص
ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الطلائع بن عمرو
ابن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان . فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله
ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين أنا كفيناك
المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » . .

قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء
أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى
جنبه فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به
الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين
وهو يمر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يرش نبلاً له فتعلق سهم من نبله
بأزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله ، ومر به العاص بن
وائل فأشار إلى أخص قدمه فخرج على حمار يريد الطائف فربض على شريعة
فدخلت في أخص قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخط
فيحاً فقتله . . .

وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سباق محمد بن اسحاق « (١) » . ولا
يهمنا ذكر الأسماء وعددهم وإنما المهم أن نعلم أن هناك مستهزئين كانوا يستهزئون
برسول الله فاعلم الله أنه كفاهم رسوله فكان كما أخبر وهو علم من أعلام النبوة .

ونحو ذلك ما جاء في الوليد بن المغيرة : « ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له
مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان
لأياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . . . سأصليه سقر » . (المثنى ١١ - ٢٦) .

وفي هذا علمان من أعلام النبوة .

١ - إخباره بأن الوليد سيموت على الكفر ويصليه سقر فكان ذاك .

(١) تفسير ابن كثير ٥٥٩/٢ - ٥٦٠ وانظر الطبري ٦٩/١٤ - ٧٢ ، تفسير الرازي ٢٠/٢١٥ ، الف. الم. ١٠
٦٢/١٠ ، فتح القدير ٣/١٤٠ ، تثبيت دلائل النبوة ٢/٣٤٤ - ٣٤٥

٢ - اخباره بأن الله لن يزيده مالا ولا ولداً بعد نزول الآية وذلك قوله تعالى « ثم بطمع أن أزيد كلا إنه كان لأياتنا عبيداً » فلم يزد مالا ولا ولداً حتى مات .

جاء في تفسير القرطبي : « كلا : أي ثم إن الوليد يطمع بعد هذا كله أن أزيده في المال والولد (كلا) أي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعيم . . . فلم يزل يرى نقصان ماله وولده حتى هلك » (١) .

وفي القرآن أخبار عن غيوب كثيرة أخرى لا نريد استقصاءها وحسبنا منها ما يقيم الدليل وينير السبيل ويثبت الحجة ونرى أن ما أوردناه كاف لهذا الأمر .

أهله .

قال تعالى : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه بعد ما لك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم همل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » . . . (آل عمران ٦٠ ، ٦١) .

سبب نزول الآية هو أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله ﷺ وجادلاه في أمر عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى آية المباحلة هذه ، والمباحلة ما الله والابتهاال إليه أن ينزل لعنته على الكاذب فواعدها على أن يلاعنه الغداة إذا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا بيحيا وأقرأ له بالخراج (٢) .

قال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا نعلم فوالله لئن كان نبيا فلاعنه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالوا : انا عليك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً . . . إلى آخر الحديث .

(١) القرطبي ٧٢/١٩ ، وانظر الطبري ١٥٤/٢٩ ، ثبت دلائل النبوة ١/٥٤
(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٧٠ ، الطبري ٣/٢٩٥ - ٢٩٨ ، فتح القدير ١/٣١٦ ، اسباب النزول للواحدي

وقد روى البخاري والترمذي والنسائي لو أن اليهود غنموا الموت لما اتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالأ ولا أهلاً .

وهذا كما ترى فعل الواثق بربه في أنه سينزل لعنته عليهم ويهلكهم إن فعلوا ذاك وهو مما يدل على نبوته لأنهم لو باهلوه ولم ينزل عليهم العذاب لكان ساعياً في تكذيب نفسه . قال الفخر الرازي : « إنها دلت على صحة نبوته عليه السلام من وجهين :

أحدهما : وهو أنه عليه السلام خوفهم ينزل العذاب عليهم ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعيّاً في إظهار كذب نفسه لأن بتقدير أن يرغبوا في مباہلته ثم لا ينزل العذاب فحينئذ كان يظهر كذبه فيما أخبر . ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقاً بنزول العذاب عليهم .

وثانيهما : أن القوم لما تركوا مباہلته فلو لا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما بدّل على نبوته وإلا لما أحجموا عن مباہلته^(١) .

الإسراء :

قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » (الإسراء : ١)

إدعى محمد أن الله أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ثم أرجعه في ليلة واحدة^(٢) علماً بأن مدة السفر في ذلك مقدار شهرين ذهاباً وإياباً .

ولما عاد رسول الله ﷺ تحدث بذلك في أهله فقالت له أم هانئ بنت أبي طالب : لا تتحدث بهذا فوالله لا صدقك الناس وليكفرن بك من آمن بالله وليكذبنك من صدقك . فقال ﷺ : إن ربي أمرني أن أخبر الناس بذلك^(٣) .

(١) التفسير الكبير ٨/ ٨٧ - ٨٨ وانظر القرطبي ٤/ ١٠٤ ، تثبت دلائل النبوة ٢/ ٤٢٦

(٢) تثبت دلائل النبوة ١/ ٤٦

وهو توقع قريب إلى الصحة من أم هانئ إذ كيف يدرك الناس هذا الأمر ؟ وربما
ذريعة إلى تكذيبه ﴿١٠﴾ ، ومع ذلك أصر على الإخبار بهذا الأمر الذي ليس في
المصلحة دعوته لأن الله - على حد قوله - أمره بذلك .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن أقرب شيء يرد إلى الذهن هو أنهم
قالونه عن بيت المقدس وصفته سؤالات دقيقة إن كان قد رآه كما ادعى ، علماً بأن
قول لم يكن قد رآه في حياته ، وهذه عقدة كبيرة ، وفعلًا حدث هذا الأمر فقد
عن صفة بيت المقدس فجلاه الله له فوصفه بدقة وأبو بكر يصدق حتى
هم . جاء في صحيح البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل
بن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضي الله
عنه سمع رسول الله ﴿١١﴾ يقول : لما كذبتني قريش قممت في الحجر فجلا الله
بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

أخرجه مسلم عن جابر والإمام أحمد عن ابن عباس وأخرجه النسائي والبيهقي
م (١٢) .

ثم إن ذلك دليلاً على صحة نبوته إذ كيف يمكن أن يصف بيت المقدس بدقة وهو لم
يعد رآه ؟ وقد ذكر أنه وصف مدخله والمسجد وسقوفه وما فيه شيئاً شيئاً (١٣) .

بـ بالشهب :

إن تعالى على لسان الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً
وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً »
(١٤ ، ٩) .

هذه ظاهرة طبيعية يذكرها القرآن وهي ظاهرة الرمي بالشهب التي صاحبت
المحمدية .

شك أن هذا الخبر صحيح إذ لو لم يكن صحيحاً لكذب قومه فقد كثر

انقراض الشهب عند مبعث محمد كثره هائلة وامتلأت به السماء حتى خاف الناس وظنوا أنه فناء العالم وأراد الناس أن يخرجوا من أموالهم . جاء في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كان الرمي بالشهب وهذا أمر خارق للعادة حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لحرق العالم حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب ؟ فلما رأوا أنه بالشهب علموا أنه لأمر حدث . . . »

حتى لما بعث الله محمداً ﷺ رجموا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فحملوا يعتقدون أرقاءهم ويسميون مواشيهم فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو بن عامر : ويحك يا معشر الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتوها مسفرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمداً ﷺ) وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم . . . »
وقبل زمان المبعث وبعده كان الرمي خفيفاً لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن « (١) » .

وهذا من دلائل النبوة فإن الرجم كان قبل المبعث خفيفاً لا يلفت النظر ثم كثرت المبعث كثره هائلة ملئت به السماء حتى خاف الناس وظنوا أنه انقراض الدنيا .

والقرآن يقول ان هذا رجم للجن الذين كانوا يسمعون الأخبار من السماء .
نزول القرآن فمنعوا بنزول القرآن من السجاع ورجعوا .

انشقاق القمر :

قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر . » وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر

(١) الجواب الصحيح ٣٨ / ٤ - ٤٠ ، ثبت دلائل النبوة / ٦٥ - ٦٩

وأثرت حادثة انشقاق القمر على عهد رسول الله بالأسانيد الصحيحة وروى هذه
 آفة جمع كثير من الصحابة . فقد رويت هذه الحادثة بطرق متعددة صحيحة عن
 ابن مالك وجبير بن مطعم وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن
 عمار بن عبد الله بن مسعود وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن مسعود
 مما يفيد العلم اليقيني إضافة إلى النص القرآني الذي له الدلالة التاريخية
 قاطعة .

أه في (صحيح البخاري) باب سؤال المشركين أن يرهم النبي آية :

حدثني عبدالله بن محمد حدثنا يونس حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك .

قال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك
 رضي الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهم آية فأراهم
 انشقاق القمر .

هذا عن صدقة بن الفضل عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن
 معمر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : وفيه : فقال النبي ﷺ :
 هودوا .

عن خلف بن خالد القرشي عن بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك
 مالك عن عبيد الله بن عبدالله بن مسعود عن ابن عباس .

عن عبدالله بن عبد الوهاب عن بشر بن الفضل عن سعيد بن أبي عروبة عن
 قتادة عن أنس بن مالك : وفيه : « حتى رأوا حواء بينهما » أي بين شقتي
 .

عن عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن
 الله .

: وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله .

عن محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

- وفيه عن عثمان بن صالح عن بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عبدالله .
- وفيه عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله .
- وفيه عن مسدد عن يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود .
- وفيه عن علي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .
- وفيه عن يحيى بن بكير عن بكر بن جعفر عن عراك بن مالك عن عبدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود عن ابن عباس .
- ووردت هذه الحادثة في صحيح مسلم عن قتبية بن سعيد عن جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله .
- وفيه عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله .
- وفيه عن عمرو الناقد وزهير بن حرب قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .
- وفيه حدثنا أبو بكر بن أبي بكر شيبه وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أبي معاوية ، وحدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه كلاهما عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .
- وفيه حدثنا ابن الحارث التميمي عن ابن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .
- وفيه عن عبدالله بن معاذ العنبري عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .
- وفيه عن عبدالله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر .

أمن بشر بن خالد عن محمد بن جعفر وحدثنا محمد بن بشار عن ابن أبي عدي
كلاهما عن شعبة بإسناد ابن معاذ عن شعبة .

عن زهير بن حرب وعبد بن حميد قالوا حدثنا يونس بن محمد عن شيان عن قتادة
عن أنس .

عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر وأبي داود ، وحدثنا ابن بشار عن يحيى بن
سعيد ومحمد بن جعفر وأبي داود كلهم عن شعبة عن قتادة عن أنس .

عن موسى بن قريش التميمي عن اسحاق بن بكر بن مضر عن أبيه عن جعفر بن
زبيدة عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن
مهلب .

وأخرجها الإمام أحمد وابن جرير والطبراني والترمذي والبيهقي بروايات
بعدة .

وأوردنا هذه الأسانيد لتعلم مقدار ثبوت الحادثة وصحتها وأغفلنا أسانيد كثيرة
رى صحيحة ولذا قال العلماء بتواتر الحادثة (١) .

هذا إضافة إلى النص القرآني الذي يفيد العلم اليقيني « ومعلوم بالضرورة في مطرد
لادة أنه لو لم يكن انشق القمر لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلا عن أعدائه
الكفار والمنافقين » (٢) .

جاء في (الكشاف) : « انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة
، وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله : (وإن يروا آية يعرضوا
لعلوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا . وفي قراءة حذيفة : وقد انشق القمر رأي
وبت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول : اقبل
مير وقد جاء المبشر بقدومه » (٣) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٦٦/٤ - فتح القدير ١١٧/٥ - اظهر الحق ١٨٧/٢

(٢) الجواب الصحيح ١٦٢/٤ - ١٦٤

(٣) الكشاف ١٨١/٣ - ١٨٢

وجاء في (فتح القدير) : «وانشق القمر أي وقد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة بزيادة (قد) والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله ﷺ وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف . قال الواحدي : وجماعة المفسرين على هذا إلا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال : المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه .

قال الزجاج : زعم قوم عندنا عن القصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر سينشق يوم القيامة والأمر بين في اللفظ وإجماع أهل العلم لأن قوله « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » يدل على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة » انتهى .

ولم يأت من خالف الجمهور وقال ان الانشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد فقال : لأنه لو انشق في زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء . ويجب عنه بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلاً ولا شرعاً ولا عادة ومع هذا فقد نقل إلينا بطريق التواتر ، وهذا بمجرد دفع الاستبعاد ويضرب به في وجه قائله .

والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق ولم يخبرنا بأنه سينشق وإن نظرنا إلى سنة رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت إلى شذوذ من شذ واستبعاد من استبعده^(١) .

وقال الفخر الرازي : «المفسرون بأسرهم على ان القمر انشق وحصل به الانشقاق . . . وقال بعض المفسرين : المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له »^(٢)

ومعلوم أن الذين قالوا أن معنى (انشق القمر) سينشق لا يستندون إلى شيء سوى الاستبعاد الذي ذكره بعضهم وهو أنه لو حدث لرآه الناس جميعاً . وهو مردود .

(١) فتح القدير ١١٧/٥ - وانظر اسباب النزول للواحدي ٤٢٤
(٢) تفسير الرازي ج ٢٩ من ٢٨ الطبري ٢٧/ ٨٤ - ٨٨ ، القرطبي ١٧/ ١٢٥ وما بعدها، تبييت دلالة النبوة ١/ ٥٦ .

الناحية التاريخية ومن الناحية اللغوية ومن الناحية العقلية .

أما من الناحية التاريخية فقد ثبت وقوعها بالأسانيد الصحيحة المتواترة التي تفيد العلم اليقيني ، والحوادث التاريخية تثبت بأقل من هذا بكثير .

ومردود من الناحية اللغوية لأن الفعل (انشق) فعل ماضٍ وصرفه إلى الاستقبال إلا يصح إلا بقرينة صارفة ولا توجد هذه القرينة ، ثم يرد هذا التقدير أمران :

الأول : قوله تعالى بعد هذه الآية : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فدل هذا على أنهم رأوا هذه الآية فأعرضوا وقالوا هذا سحر . ولا معنى لهذه الآية لو لم يكن الأمر كذلك أو لو كان الانشقاق يوم القيامة . فإنه في يوم القيامة حدث ما هو أكثر من ذلك إذ قد تنشق السماء وتنتشر الكواكب وتكور الشمس وتتفجر البحار وتذوب الجبال فمن الساحر ثم ومن المسحور ؟ !!

وهذا القول حكاه كفار قريش فإنهم حين رأوا انشقاق القمر قالوا هذا سحر . بن جبير بن مطعم قال : انشق القمر ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل قال : وعلى هذا الجبل .

فقال الناس : سحرنا محمد ﷺ .

فقال رجل : إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم . رواه الترمذي .

الثاني : قراءة حذيفة (وقد انشق القمر) لأن (قد) إذا دخلت على فعل ماضٍ فإن كونه للزمن الماضي ولا يصح صرفه للاستقبال .

وأما الشبهة التي ذكرها بعضهم وهي أنه لو كان حصل ذلك لرآه الناس جميعاً فهذا هوذا أيضاً . وقد ردها الشيخ رحمه الله الهندي رداً وافياً نلخصه بما يأتي :

١ - إن انشقاق القمر كان في الليل وهو وقت الغفلة والنوم والسكون . . . فلا ما يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من انتظره واعتنى به . ألا ترى إلى خسوف القمر فإنه يكون كثيراً وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم حتى يخبرهم أحد به .

٢ - إن هذه الحادثة ما كانت ممتدة إلى زمن كثير . . .

٣ - إنها لم تكن متوقع الحصول لأهل العلم لينظروها في وقتها ويروها . . . وفي المقالة الحادية عشرة من تاريخ (فرشته) إن أهل مليار من إقليم الهند رأوه أيضاً وأسلم والي تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر . وقد نقل الحافظ المري عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناء قديماً مكتوباً عليه (بُني ليلة انشق القمر) .

٤ - أنه قد يحول في بعض الأمكنة وفي بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحب غليظ أو جبل ويوجد التفاوت الفاحش في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيراً . . . وأهل البلاد الشمالية كالروم والفرنج في موسم نزول الثلج والمطر لا يرون الشمس إلى أيام فضلاً عن القمر .

٥ - إن القمر لاختلاف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض . . . ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض .

٦ - إنه قلما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حد يفيد اليقين وأخبار بعض العوام لا يكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة ^(١) .

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : « فأما قول النظام : فلم لا يشاهد هذه الآية كل الناس فليس هذا بلازم لأن الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد وإنما هو شيء حدث ليلاً وما كان عندهم خبر بأنه سيحدث وسيكون في وقت كذا فينظرونه وإذا كان كذلك فقد بطل ما ظنه . يزيدك بياناً أن القمر قد ينكسف كله فلا يرى ذلك من الناس إلا الواحد بعد الواحد والنفر اليسير لنومهم فكيف بانشقاق القمر الذي انشق ثم التأم من ساعته بعد أن رآه أولئك القوم الذين طلبوه » ^(٢) .

وجاء في (الجواب الفسيح) للآلوسي : « فقد ورد في الروايات الصحيحة بل المتواترة إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ (أن ينشق القمر فكان ذلك) » .

(١) اظهر الحق ٢/ ١٩٤

(٢) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٧

ثم يقول : إنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد لاختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعاً على قوم مائلاً عن آخرين ، ومكسوفاً عند قوم وغير مكسوف عند آخرين . . . وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد « (١) » .

وفي هذا ما يزيل الشبهة ويتضح به الأمر .

والعجيب أن كثيراً من القساوسة والرهبان يذكرون هذه الشبهة وفي كتبهم ما هو أبعد من ذلك ولا يثيرون حوله مثل هذه الشبهة .

فعندهم أن يوشع أوقف الشمس والقمر عن الحركة يوماً كاملاً وإن أشعيا أرجع الشمس عشر درجات . جاء في الباب العاشر من كتاب يوشع على وفق الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا :

١٢- حينئذ تكلم يشوع أمام الرب في اليوم الذي وقع الاموري في يدي بني اسرائيل قال لإمامهم : أيتها الشمس مقابل جبعون لا تتحركي والقمر مقابل قاع ايلون ١٢ فوق الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم ، أليس هذا مكتوباً في سفر الأبرار فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تكن تعجل إلى الغروب يوماً تاماً « .

قال الشيخ رحمة الله الهندي : «وهذه الحادثة عظيمة وكانت على زعم المسيحيين قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة فلو وقعت لظهرت على الكل . . .

وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين والمغارب « (٢) » .

وجاء فيه : « في الآية الثامنة من الباب الثامن والثلاثين في بيان رجوع الشمس مرة أشعيا هكذا : « فرجعت الشمس عشر درجات في المراقي التي كانت قد أصدرت » .

الجواب الفصح ٩٩ - ٢٠٠ - وانظر القرطبي ١٧ / ١٢٥
الظاهر الحق ٩٠ / ٢

وهذه الحادثة عظيمة ولما كانت في النهار فلا بد أن تظهر لأكثر أهل العالم وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاثة عشرة سنة شمسية وهذه الحادثة ليست مكتوبة في نوارينخ أهل الهند والصين والفرس^(١) .

فالمفروض أن تسجل التواريخ القديمة هذه الحادثة العجيبة لأن الشمس مشاهدة وكل الناس يرونها بخلاف القمر الذي يطلع وقت الغفلة والنوم . . . فكان الأجدر بهم أن يثيروا هذه الشبهة حول حادنتهم التي لم تنقل بسند واحد صحيح أو ضعيف لا حول حادثة انشقاق القمر المنقولة نقلاً تاريخياً صحيحاً متواتراً ولكنهم كما قال السيد المسيح فيهم : « يرون القشة في عين صاحبهم ولا يرون الخشبة في أعينهم » .

(١) اظهر الحق ١٩٢/٢

الأدلة الحديثية

مقدمة

هذه مقدمة قصيرة ضرورية - فيما نرى - للتعريف بالحديث النبوي وتدوينه وجمعه لتعرف مقدار الجهود التي بذلها العلماء للوصول الى الاحاديث الصحيحة . فانه ظهرت في العصر الحديث حملة مسعورة تستهدف الحديث والمحدثين حمل لواءها المستشرقون باسم العلم وحذا تلاميذهم ممن ينتسبون الى الاسلام حذوهم .

وهذه الحملة للثبل من رجال الحديث وبالتالي من الحديث مقصودة ، وذلك لانه إذا ضاع الحديث ضاعت كثير من احكام العبادات والمعاملات فاحكام الطهارة والوضوء لا تثبت إلا عن طريق الاحاديث ، والصلاة ومواقبتها وركعاتها وحيثاتها ، والصيام ومفطراته واحكامه ، والزكاة وأنصبتها والاموال التي تؤخذ منها ، والحج واحكامه وأركانها كل ذلك لا يعرف إلا عن طريق الحديث . وكثير من المعاملات لا تعلم احكامها إلا عن طريق الحديث . فإذا حصل الشك في الحديث فقد بطلت العبادات والمعاملات وانحل الالتزام .

فالحملة التي تنادي بالاكْتفاء بالقرآن حملة مقصودة للمروق عن الاسلام والخروج عن احكامه وتعطيلها ، لأن القرآن فيه احكام عامة وليس فيه التفصيلات . والتفصيلات انما تكفلت ببيانها السنة النبوية . ولذا قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال : (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال : (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ان الحديث تثبت به كثير من المعجزات المحمدية المروية بالطرق الصحيحة التي لا يرقى اليها الشك كتكثير الماء والطعام والانتخاب ببعض الغيب وغيرها والتي تثبت نبوة محمد بصورة قاطعة ، فإذا نالوا من رجال الحديث فقد حصل الشك بمر وياتهم فيسهل المروق من الدين . ولذلك ضربوا على هذه المسألة ضرباً عتيفاً متوالياً وحاولوا الوصول الى ذلك بكل طريق غير علمي ولا

صحيح ولا شريف باسم العلم والبحث العلمي لتكتمل الخطه ولتوافق مع بقية المخططات الرهية لتحطيم الاسلام.

فمن ذلك انك ترى النقل المتور عن كتب الحديث ، أو ذكر مسألة ليس لها أصل مع احالة الفارء الى كتب الحديث المعتمدة لايامه بصحة ادعائه . أو تحريف في النص يؤدي إلى تغيير المعنى تماماً .

وقد قام الباحثون في العصر الحديث - جزاهم الله خيراً - بسعي مشكور فردوهم ردوداً افحمتهم واخجلتهم لو كان عندهم شيء من الحياء ! ولست الآن بصدد شرح هذا الامر وتبيينه فان له مجالاً غير هذا المجال واكتفى بذكر مثل واحد ذكره المحروم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) لرى التحريف المقصود من مستشرق كبير ورجل (عليم) !! هو المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) الذي صار استاذاً لكثير من رجالنا المسلمين .

قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله : « وفي جامعة (ليدن) بهولندا اجتمعت بالمستشرق اليهودي (شاخنت) وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة (جولد تسيهر) في الدس على الاسلام والكيد له وتشويه حقائقه وباحته طويلاً في أخطاء (جولد تسيهر) وتعمره تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا فانكر ذلك أول الامر فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ (السنة) - وهو ما نقلناه عنه في هذا الكتاب - وكيف حرّف قول الزهري : « ان هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابه (الاحاديث) » الى لفظ « على كتابة احاديث » فاستغرب ذلك ، ثم راجع كتاب جولد تسيهر - وكنا نجلس في مكتبته الخاصة - فقال : معك الحق ان جولد تسيهر أخطأ هنا . »

قلت له : « هل هو مجرد خطأ ؟ فاحتد وقال : لماذا تسيئون به الظن ؟ فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر - وقد ذكرت ذلك في هذا الكتاب - وبعد مناقشة الموضوع قال : وهذا خطأ أيضاً من جولد تسيهر ألا يخطئ العلماء ؟ قلت له : ان جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستراقية التي تبني حكمها في التشريع الاسلامي

على وقائع التاريخ نفسه فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى إرضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير ، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سبع سنوات من مقتل ابن الزبير ؟

وهنا اصفر وجه (شاخت) وأخذ يفرك يداً بيد وبدأ عليه الغيظ والاضطراب فأنهت الحديث معه بأن قلت له : لقد كانت مثل هذه والخطاء « كما تسميها أنت لشتهر في القرن الماضي ، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على أنها حقائق علمية لبل إن نقرأ - نحن المسلمين - تلك المؤلفات الأبعد موت مؤلفيها . أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظاتنا على (اخطائكم) لتصححوها في حياتكم قبل أن تنقرر كحقائق علمية !! » (١) .

١١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ٢٤ - ٢٥

تدوين الحديث

من الثابت أن الرسول ﷺ نهي عن كتابة الحديث في بادئ الامر لئلا يختلط بالقرآن الكريم حتى إذا ذهب المحذور أباح الكتابة لمن أراد أن يكتب وقد تمت كتابة قسم من الاحاديث في زمن الرسول من ذلك :

١ - صحيفة سعد بن عباد الانصاري

٢ - صحيفة عبدالله بن أبي أوفى

٣ - نسخة سمرة بن جندب

٤ - كتاب أبي رافع مولى النبي

٥ - كتب أبي هريرة .

٦ - صحيفة جابر بن عبدالله الانصاري

٧ - الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو

٨ - الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه^(١) .

فهذه صحف كتبها الصحابة لانفسهم أو استكتبوها بعد إباحة الرسول تدوين الحديث ومن ذلك كتب النبي الى الملوك والرؤساء مثل : -

١ - كتابه الى هرقل

٢ - كتابه الى المقوقس ملك مصر

٣ - كتابه الى المنذر بن ساوى .

٤ - كتابه الى ملك عمان وقد كان يعثه مع عمرو بن العاص

٥ - كتابه الى صاحب اليمامة هوفة بن علي مع سليط بن عمرو .

٦ - كتابه الى الحرث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهيب^(٢) .

(١) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة ١٤٧ - ١٤٨

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٦١ / ٣ - ٦٣

ومن ذلك :

١ - كتابه الى همدان .

٢ - كتابه الى نجران (١) .

ومن ذلك كتابة قسم من الاحكام بأمر منه (ﷺ) نحو :

١ - كتابة أحكام الزكاة ومقاديرها بأمر الرسول بالمدينة في صفحتين .

٢ - صحيفة الامام علي في الأحكام .

٣ - هدية الجديبية .

٤ - كتاب الرسول الى اليمن مع عمرو بن حزم في الفرائض والصدقات
إيات .

٥ - كتاب عبدالله بن حكيم من رسول الله فيه احكام الحيوانات .

٦ - كتاب رسول الله الى وائل بن حجر حين أراد الرجوع الى بلاده حضرموت
أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر .

٧ - كتاب الضحاك بن سفيان من رسول الله في بيان نصيب المرأة من دية
مها .

٨ - كتاب لابي شاه بأمر رسول الله بعد الفتح (٢) .

هذه بداية كتابة الحديث في العهد النبوي ثم اتسعت وتمت في عهد الصحابة
هـ .

إن الحديث تم وجمع في عهد الصحابة ودون أكثره في عهدهم ايضاً وذلك أن
من اتسعوا بتدوينه والتابعون أخذوا عنهم عن الصحابة ، « فقد كان سعيد
بن جبير يكتب روايات عبدالله بن عباس (الدارمي ٦٩) . وبقيت صحيفة
الله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيده عمرو بن شعيب (سنن الترمذي
١١٣) . . . وجمع وهب التابعي روايات جابر بن عبدالله وكانت عند
عبد الله بن عبد الكريم . . . (تهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ٣١٦) . . . وجمع

في المعاد ٣ / ٣٦ - ٤٠

في الرسالة المحمدية لسليمان الندوي ٥٤ - ٥٥ ، بحوث في تاريخ السنة ١٤٤

همام بن منه روايات أبي هريرة وهو أكثر الصحابة رواية وأوعاهم حفظاً لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام وقد أوردها الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الثاني من مسنده . . .

وروي عن سلمى قالت : رأيت عبدالله بن عباس يستملي أبا رافع خادم رسول الله ﷺ ما كان ﷺ يفعل أو يقول (طبقات ابن سعد ٢/٢٣٣) والواقدي وهو من متقدمي المصنفين في السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبدالله بن عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى سيد عجمان مع كسب أخرى (زاد المعاد ٢/٥٧) . . .

ويقول سعيد بن جبير التابعي كنت اكتب على الاكتاب ما أسمع في الليل من عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبت واضحاً (الدارمي ص ٦٩) وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته (الدارمي ص ٦٩) وكنا نافع - وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة - يملئ على الناس (الدارمي ص ٦٩) . ومنه الرحمن بن عبدالله بن مسعود اخرج كتاباً وقال : وأيم الله هذا ما كتبت يد ابن مسعود (جامع بيان العلم لابن عبد البر ص ١٧) .^(١)

قال الشيخ سليمان الندوي « ولا أعدو الحقيقة إذا قلت : إن التابعين رضي الله عنهم جمعوا جميع المرويات في عهد الصحابة وكتبوا في حياتهم ما وصل إلى علمهم من الاخبار والشؤون . . .

ومن أعظم الخطأ في تاريخ تدوين الحديث دعوى بعض الناس أنه بدأ بعد المائة وذلك تبعاً لحفظهم في تحديد زمن التابعين وهم يعلمون أن بعض الصحابة أمروهم بهم العمر إلى أواخر المائة الأولى للهجرة ظنوا أن عهد التابعين يبدأ بعد المائة من الصحابة فذهبوا إلى أن التدوين بدأ بعد المائة . وهذا كله خطأ . والحق أن عنوان (التابعين) يطلق على الذين لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أو ولدوا بعده أواخر عهده فلم يروه وإنما رأوا أصحابه وأخذوا عنهم . وعلى أقل تقدير بعد المائة من ولد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (ربيع الاول سنة ١١) وأعمال الدارمي

(١) الرسالة المحمدية ٥٦ - ٥٧

التي تنسب اليهم يبدأ عهدها من سنة ١١ وليس من المحتمل ان لا ينسب الى التابعين
 لا ما صدر عنهم بعد وفاة آخر الصحابة بقاء على قيد الحياة ، فأخر الصحابة بقاء
 على قيد الحياة امتد زمنه الى أواخر المائة الاولى للهجرة ، وإعمال التابعين - ومنها
 بدء بتدوين الحديث - ينبغي ان تنسب الى زمنهم الذي يبدأ من بعد سنة ١١ التي
 لعل فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى^(١) .

وبهذا يتضح أن تدوين الحديث وجمعه كان في عهد مبكر جداً وهو عصر الصحابة
 أو أواخرهم وما كتبت أيديهم .

إن التابعين الذين هم تلاميذ الصحابة يبدأ « تاريخ طبقتهم من السنة الاولى
 هجرة ومنهم من ولد في عهد النبي ﷺ » لكنه لم يتشرف برؤيته أو كان في العهد
 زري صغير السن فلم يحظ بالصحة ولم يقدر له أن ينال قسماً من مشكاة النبوة
 بل الرحمن بن الحارث المولود سنة ٣ وقيس بن أبي حازم المولود سنة ٤ وسعيد بن
 جب المولود سنة ١٤ وهؤلاء التابعون الذين ينزلون المنزلة الثانية بعد الصحابة في
 الاسلام وتبليغ دعوته .

قد ذكر ابن سعد في الطبقات ١٣٩ من التابعين أهل الطبقة الاولى الذين كانوا
 المدينة وأدركوا كبار الصحابة وسمعوا منهم أحاديث النبي ﷺ ورووها
 . وذكر ١٢٩ من الطبقة الثانية الذين لقوا عامة الصحابة ورووا عنهم . أما
 الطبقة الثالثة من التابعين فهم الذين حظى الواحد منهم برؤية صحابي واحد أو
 من الصحابة وعدد هؤلاء ٨٧ فمجموع عدد التابعين ٣٥٥ في مدينة واحدة وهي
 الرسول ﷺ فقيسوا على ذلك عدد الذين أخذوا عن الصحابة في بقية
 الاسلام^(٢) .

إن جمع السنة النبوية بصورة واسعة بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز إذ أرسل عمر
 بن بكر بن حزم عامله وقاضيه في المدينة أن يجمع الحديث وكذلك كتب الى أهل
 المدينة ليدعى بالجمع .

رسالة المحمدية ٥٨ - ٥٩

رسالة المحمدية ٤٩

أما تدوين السنة بصورته الواسعة فقد تم على يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠ - ١٢٤) الذي عاصر جماعة من الصحابة وأخذ عنهم.

فقد اخذ عن أنس بن مالك المتوفى سنة ٩٣ وابن عمر المتوفى سنة ٧٣ وجابر بن عبد الله المتوفى سنة ٧٨ وسهل بن سعد وغيرهم وروى عن أقرانهم ، ثم شاع التدوين في الجبل الذي يلي جبل الزهري فكان أول من جمع الحديث بمكة ابن جريح المتوفى سنة ١٥٠ هجرية . وابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ . وبالمدينة سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦ هـ والربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ والامام مالك (٩٣ هـ) ١٧٩ هـ) وقد ترك كتاب (الموطأ) الذي لا يزال متداولاً حتى الآن وقد طبع اكثر من مرة وغير هؤلاء وغيرهم^(١) .

فلنت تری ان تدوین الحديث النبوي بدأ في عهد مبكر جداً فقد بدى به بالعلم النبوي ثم كثر في عهد الصحابة ثم اتسع في عهد التابعين حتى اوشك ان يتم تدوينه لا كما ينصور كثير من الناس انه كتبه البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ . فهذان الامامان سبقا بجهود كثيرة لكن هذين الامامين هما أول من افرد كتاباً في الاحاديث الصحيحة وكانت المؤلفات قبل الصحيحين تحوي أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة مبنية سندها(*) .

وقد بذل المحدثون جهوداً عظيمة للوصول إلى الحديث الصحيح متبعين الطرق العلمية مما لم تقم بمثل ذلك أمة من الأمم قبلهم فلم يحصى البشر رجل في التاريخ كما يحصى المسلمون أحاديث هذا النبي الكريم وراقبوا أعماله ، يناول التحقيق الإنساني صدق رواية الأخبار أو كذبهم وأهليتهم لحمل هذه الأمانة أو عدم أهليتهم لذلك كما حقق ذلك اعلام السنة المحمدية (١٧) .

وكان المحدثون يرحلون في طلب الحديث فتراهم يقضون الليالي والأيام

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع ١٢١ - ١٢٥، بحوث في تاريخ السنة - ١٤٤

كانت كتب الحديث قبل هذين الامامين مخلوطة بآثار وآراء كثيرة للصحابة والتابعين ومن كتب حديث خالصة غير ان هذين الامامين جردوا الصحيحين من ذلك الا القليل.

(٢) انظر مقدمة مختصر التحفة الاثني عشرية لمحب الدين الخطيب (م)

لله شاقفة طويلة لمقابلة شخص يروي حديثاً واحداً وهذه الرحلة لطلب العلم
ت في جيل الصحابة فقد رحل جابر بن عبدالله الى عبدالله بن أنيس في الشام
تفرق سفره شهراً ليستمع منه حديثاً واحداً لم يكن جابر قد سمعه عن النبي
﴿﴾ ورحل جابر الى مصر للقاء مسلمة بن مخلد وسؤاله عن حديث بلغه عنه فلما
د به رجع .

رحل أبو أيوب الأنصاري الى عقبة بن عامر بمصر فلما لقيه قال : حدثنا ما
ت من رسول الله ﴿﴾ في ستر المسلم لم يبق احد سمعه غيري وغيرك . فلما
ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائداً الى المدينة وما حل راحلته .

قد استمرت الرحلة في جيل التابعين ، فقد تفرق الصحابة في الامصار يحملون
م العلم فما كان للرجل أن يحيط علماً بحديث رسول الله ﴿﴾ دون رحلة في
سار وملاحقة الصحابة المتفرقين فيها .

قول سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ) أحد كبار التابعين : ان كنت لأسير في طلب
ت الواحد مسيرة الليالي والأيام . . .

عن أبي العالية الرياحي قال : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول
﴿﴾ فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعناها من أفواههم . .

استمرت الرحلة في طلب العلم في أجيال المحدثين بعدهم حتى ارسيت دعائم
وتبنت قواعده واحكمت اصوله وفصوله .

ما انفرد به المسلمون - وهم في سبيل الوصول الى معرفة الحديث الصحيح -
علم الجرح والتعديل الذي لم تسبقهم به لمة من الامم وهو علم يقوم على نقد
المعرفة أحواهم . قال الدكتور عبد الكريم زيدان : «وقد قام علماء الحديث
ميرور إذ أنشأوا علم الجرح والتعديل أو علم الرجال . وهذا العلم مما انفرد
بهم ولا نظيره عند غيرهم ، والغرض منه الكشف عن احوال رواة السنة
الصادق من الكاذب والضابط من الواهم والموثوق بروايته من المطعون

ويقوم هذا العلم على دراسة منهجية لأحوال الرواة والتحري عن ميولهم وصفاتهم وأخلاقيهم ونشأتهم وعفالتهم ، وقد بذل علماء هذا الفن جهداً عظيماً وحملوا في سبيل ذلك التعب والسفر الطويل والرحلات المتعددة للتحري والتنقيب عن أحوال الرواة ودراسة حياتهم والسؤال عنهم . وقد كان علماء الجرح والتعديل في دراستهم لأحوال الرواة في غاية التجرد عن الهوى والموضوعية في البحث ولم تثر فيهم روابط الصداقة أو القرابة أو الاشتراك بالموطن والمذهب لأن سنة رسول الله ﷺ أعلى وأعلى في نظرهم من كل اعتبار آخر . فكانوا لهذا كله يفحصون أحوال رواة السنة النبوية فحصاً مجرداً موضوعياً لا تهمهم النتيجة التي يصلون إليها ، وإنما يهمهم شيء واحد هو الوصول إلى حقيقة وصفات من يدرسونه ومدى الوثوق بروايته . فكانوا في دراستهم هذه كالكيميائي في مصنعه وهو يفحص مادة من المواد ليعرف خصائصها ولا تهمه النتيجة التي يصل إليها ولا نوع الصفات التي ستظهر عليها المادة التي يفحصها . فإذا ما انتهى العالم دراسته حول رواة الحديث أعطى لكل منهم رمزاً يشير إلى خلاصة ما توصل إليه فيقول : هذا ثقة ، وهذا عدل ، أو هذا لين الحديث ، أو هذا لا بأس بحديثه ، أو هذا كذاب ، أو هذا سيء الخلق ، أو هذا أصابه ضعف في ذاكرته في شيخوخته .

وبهذه الدراسة المظنية الخالصة المجردة من الهوى والمقرونة بتقوى الله والاختلاص له والحرص الشديد على تجريد السنة الصحيحة عما علق بها ، استطاع علماء الجرح والتعديل بعون الله أن يميزوا صحيح السنة من مكذوبها وأن يردوا كذب أعداء الإسلام الذين أرادوا هدمه يهدم السنة والتشكيك بها وصرف المسلم عنها^(١) .

وقال الدكتور مصطفى السباعي : «ومن ثمار هذه الجهود المباركة علم الجرح والتعديل أو علم ميزان الرجال وهو علم يبحث فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان . . . »

ثم يقول إن هذا العلم الذي نشأ عن تلك الحركة المباركة «لا تعرف له مثيلاً أبداً

(١) مقدمة كتابه (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) ٢٨ - ٢٩م

لاريخ الامم الاخرى وقد ادى الى نشأة هذا العلم حرص العلماء على الوقوف على
الرواة حتى يميزوا بين الصحيح وغيره فكانوا يختبرون بانفسهم من
يروونهم من الرواة ويسألون السابقين عن لم يعاصروهم . . . (١١) .

قال الاستاذ المحقق احمد محمد شاكر : «اجتهد علماء الحديث في رواية كل ما
همنه الرواة وإن لم يكن صحيحاً عندهم ثم اجتهدوا في التوثيق من صحة كل
شئ وكل (حرف) رواه الرواة ونقدوا احوالهم ورواياتهم واحتاطوا أشد الاحتياط
لأنهم فكانوا يحكمون بضعف الحديث ، لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية مما
العدالة عند أهل العلم .

إذا اشتبهوا في صدقه وعلموا انه كذب في شيء من كلامه فقد رفضوا روايته
أحديثه موضوعاً أو مكذوباً وإن لم يعرف عنه الكذب في رواية الحديث مع
أنه بانه قد يصدق الكذب .

لذلك توثقوا من حفظ كل راوٍ وقارنوا رواياته بعضها ببعض وروايات غيره فإن
أمنه خطأ كثيراً وحفظاً غير جيد ضعفوا روايته وإن كان لا مطعن عليه في
صدقه ولا في صدقه خشية أن تكون روايته مما خانه فيه الحفظ . . . (١٢) .

ألف علماء الجرح والتعديل كتباً في أسماء الرجال وتوثيقهم أو تضعيفهم
تتري حديثاً من الاحاديث الصحيحة أو الضعيفة إلا ترى ترجمة رواه كلهم
بالجرح والتعديل . وليس ثمة شخص جاء ذكره في حديث الا تعرض له
بالجرح أو التعديل . فهناك كتب انفردت بتناول الثقات وكتب انفردت
بالتضعفاء وكتب تناولت الضعفاء والثقات . وكتب ألفت في معرفة الصحابة
في الطبقات وكتب في معرفة الاسماء وتمييز المؤلف والمختلف ، والمفروق
في كتب في الاسماء والكنى والالقب وكتب في الوفيات الى غير ذلك من
ومن الجهود التي لا تترك مجالاً لمستزيد .

عن ذلك أيضاً علم مصطلح الحديث والذي يضع القواعد العلمية

ومكانتها في الشرح الاسلامي ١٢٧ - ١٢٨

المبحث الحديث ص ١١

لتصحيح الاخبار ، وهي أصح ما عرف في التاريخ من قواعد علمية للرواية والاخبار . بل كان علماءنا رحمهم الله هم أول من وضعوا هذه القواعد على اساس علمي لا مجال بعده للحيلة والتثبت^(١) .

فكان المحدثون يضعون مصطلحاً واضحاً أمام كل حديث يبين درجته فيقولون هو : متواتر ، صحيح ، حسن ، ضعيف ، موضوع إلى غير ذلك من المصطلحات الدقيقة الواضحة .

فالحديث الصحيح هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله إلى رسول الله ﷺ غير معلل ولا شاذ^(٢) .

فلا يحكم لحديث بالصحة حتى يكون جميع رواته عدولاً ضابطين ثم لا يكون الحديث شاذاً أي رواه ثقة خالف من هو أوثق منه ، ولا معللاً أي فيه علة خفية أو السند أو في المتن يعرفها جهابذة أهل العلم .

ولما المتواتر فهو أعلى درجات الحديث الصحيح لأنه ينبغي أن تكون سلاسل رواته عدداً كثيراً بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب ومن توفرت فيهم شروط الصحيح . وتوضيح ذلك أن تروي سلسلة كل رجالها معروفون بالعدل والعلم حديثاً إلى رسول الله . ثم تروي سلسلة أخرى معروفون بالعدل والضبط الحديث نفسه إلى رسول الله . ثم تروي سلسلة أخرى كالسلسلة السابقة ، الحديث نفسه ثم تروي سلسلة أخرى كالسلاسل الأخرى الحديث نفسه ، ثم تروي سلسلة أخرى كالسلاسل الأخرى الحديث نفسه .

قالوا وأقل هذه السلاسل خمسة وقسم ضبطه باثنتي عشرة سلسلة وبعضهم باربعة وبسبعين وبغير ذلك .

فهذا الحديث أي الحديث المتواتر يفيد العلم القطعي .

والاحاديث كلها مدونة مسجلة برواتها وألفاظها ودرجاتها فلا يمكن احداً

(١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ١٢٥

(٢) مصطلح الحديث للشيخ عبد الغني محمود ١٤ ، الباعث الحديث ٢١

يقول حديثاً واحداً من نفسه لأن الاحاديث كلها بلا استثناء مدونة في كتب الحديث ومدون معها روايتها ومدون لفظ كل راوٍ بحيث لا يمكن التصرف به (حرف) واحد . ومدون معها درجة الحديث . فأى ضبط هذا؟!

وأصح كتب الحديث باجماع المسلمين هو صحيح البخاري ثم صحيح مسلم . صحيح البخاري يشمل اربعة آلاف حديث وهو - كما ذكر البخاري - أخرجه من هاء سبائة الف حديث وما وضع فيه حديثاً إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين^(١) .

والبخاري اكبر امام في الحديث في عصره بلا منازع إذعن له شيوخ العلم وأقروا! بالفضل وفضلوه على انفسهم في سائر الامصار وكانوا لا يقدمون عليه أحداً . قال بخاري : كتبت الحديث عن الف شيخ واكثر ، ما عندي حديث لا اذكر اده^(٢) .

نظر في الحديث من صفه ورد على بعض الشيوخ منذ كان عمره احدى عشرة سنة^(٣) . وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو حتى يغلبوه على نفسه ويحلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم يكتب عنه^(٤) .

ذكر أبو حامد احمد بن حمدون القصار قال : سمعت مسلم بن الحجاج - صاحب صحيح المشهور - جاء الى محمد بن اسماعيل البخاري فقبل بين عينيه - وقال دعني حتى رجلك يا استاذ الامتاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله^(٥) .

مرض البخاري كتاب الصحيح على شيوخ عصره كالامام احمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن المديني فأقروا له بالصحة . وفحصه المسلمون فحصاً دقيقاً في عصره من روى بعده ونظروا في رجاله فاجمع المسلمون على تقديمه وتوثيقه .

بغ بغداد ٩٠٨/٢

بغ بغداد ١٠/٢

بغ بغداد ٦/٢

بغ بغداد ١٥/٢

بغ بغداد ١٠٢/١٣

قال الحافظ الذهبي : «وإما جامع البخاري الصحيح فأجلّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى . فلو رحل الشخص لساعه من ألف قرسخ لما ضاعت رحلته» .

وقال الامام النسائي : ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل البخاري^(١) .

قال البخاري : «صنفت كتاب الصحاح لست عشرة سنة خرجته من ستائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله»^(٢) .

ولم يذكر البخاري فيه كل ما صح عنده وإنما كتب فيه أربعة آلاف حديث صحيح قال البخاري : «ما أدخلت في كتابي الجامع الصحيح إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطوال»^(٣) .

وكذلك الامام مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١ فقد أخذ عن البخاري وعن شيوخ عصره وطاف البلاد وألف كتابه الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعاً . وفيه زهاء أربعة آلاف حديث . وفحصه المسلمون فحصاً دقيقاً وأقروا له بالندم والثقة فهذان الكتابان أصح كتب الحديث بإجماع المسلمين .

قال الحافظ ابن كثير : «أول من اعتنى بجمع الصحيح أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فهما أصح كتب الحديث والبخاري أرجح» . . .

ثم إن البخاري ومسلم لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الاحاديث فانهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما^(٤) .

(١) تاريخ بغداد ٩ / ٢

(٢) تاريخ بغداد ١٤ / ٢

(٣) تاريخ بغداد ٩ / ٢

(٤) الباعث الحديث ٢٥

والخلاصة ان كل ما في الصحيحين صحيح وليس فيهما كل الصحيح .

ثم تأتي بعد هذين الكتابين في الصحة الصحاح الاربعة وهي : جامع الترمذي
وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه رحمهم الله اجمعين .

وبعد هذه المقدمة القصيرة نعود إلى بحثنا .

أدلة الحديث

ان الأدلة التي تثبت نبوة محمد من الحديث الصحيح كثيرة غاية الكثرة ونحن لا نريد أن نستقصي جميع الاحاديث الدالة على ذلك وانما حسبنا منها ما يقيم الدليل .

وقد التزمنا ان لا نذكر إلا حديثاً صحيحاً فمن ذلك :

١ - اخباره بالنصر وكثرة الفتوح وهلاك كسرى وقيصر :

جاء في (صحيح البخاري) بطرق متعددة عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل احد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال : «اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لأنظر الى حوضي الآن واني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض . واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» .

وجاء فيه ايضا عن أبي سعيد الخدري ان النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال : «اني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . . . الحديث .

وجاء فيه نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن ذلك ما جاء فيه عن خباب بن الارت قال : شكونا الى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فلنا له : «ألا نستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال . . . الحديث وفيه .

«والله ليمنن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يغلّاه ، إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» .

ومن ذلك ما جاء فيه عن عمرو بن عوف الانصاري ان رسول الله ﷺ قال حديثاً وفيه « فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان

مط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم
اهلكتهم» .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : « إن
زوى في الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوى في
ها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . . . الحديث » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن أبي هريرة
بأن بن سمرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « هلك كسرى ثم لا يكون
رى بعده وقبصر ليهلكن ثم لا يكون : يقصر بعده ولتقسم كنوزهما في سبيل

وفي (صحيح البخاري) أن المغيرة قال لعامل كسرى : وأخبرنا نبينا ﷺ عن
ناله ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط ومن بقي منا ملك
بكم .

وفي (صحيح البخاري) بأكثر من طريق عن عجل بن خليفة عن عدي بن حاتم
: « : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا
ع السبيل ، فقال يا عدي : هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبت عنها .
: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا
ف أحداً إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَا طيء الذين قد سعروا
د ؟ ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟
: كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب
فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه . وليلقين الله أحداكم يوم يلقيه
س بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟
ول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى : فينظر عن
ه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدي : سمعت
بي ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة .
: عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله .
مت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي

أقول حدث هذا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد كان عماله يطوفون على من يقبل الصدقة فلا يقبلها أحد فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري ومحمد بن يحيى بن حبان وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فطعمته وجعلت تفي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة - شك إسحاق - قالت : فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقالت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس عرضوا علي غزاة في سبيل الله - كما قال في الأول - قالت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم . قال : أنت من الأولين . فركبت في البحر زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلك . وأخرجه النسائي والبيهقي .

وجاء نحو هذا الحديث في (صحيح البخاري) عن عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حصص وهو في بناء له ومعه أم حرام قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : قلت يا رسول الله أنا فيهم ؟ قال أنت فيهم . ثم قال النبي ﷺ : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فقلت أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال لا » .

فأنت ترى أن هذا المعنى قد تواتر بطرق كثيرة صحيحة عن عقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وخباب بن الأرت وعمرو بن عوف الأنصاري وثوبان وجابر بن سمرة والمغيرة بن شعبة وعدي بن حاتم وأم حرام فأناد العلم القطعي ودل ذلك دلالة ظاهرة على صحة نبوته ﷺ .

الإخبار بما يفتح المسلمون من البلاد :

أخبر الرسول ﷺ بفتح خيبر واليمن والعراق والشام وبيت المقدس ومصر
روم وفارس وغيرها من البلاد قبل فتحها وأكثر هذه البلاد فتح بعد موته (ص)
ذلك دليلاً على صحة نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن حميد وعبد العزيز بن
سفيان وثابت البناني ومحمد بن سيرين وقناة كلهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال : وفيه : « فخرجنا إلى خيبر فانتبهنا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً
لوركت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ قال : فخرجوا
فمكاثلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي ﷺ قالوا : محمد والله محمد والخميس^(١)
فلما رأهم رسول الله ﷺ قال : الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا
بعضة قوم فساء صباح المنذرين » وأخرجه البيهقي .

ولمحوه ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سهل بن سعد وسلمة بن
أبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين قالوا - واللفظ هنا لسهل بن سعد - :
لأن النبي ﷺ يوم خيبر لآعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله
رسوله ويحبه الله ورسوله . فبات الناس ليلتهم أمهم يُعطى فغدوا كلهم يرجوه .
قال : ابن علي ؟ فقيل يشتكي عينيه . فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به
مرض فأنعاه . فقال : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال أنفذ على رسلك حتى تنزل
بعضهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك
بعض خير لك من أن يكون لك حمر النعم » وأخرجه البيهقي وابن الأثير في أسد
بني .

الفتح الله على يديه فدل ذلك على صحة نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه
قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يُسئون

الحبس : الجيش

فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح الشام فيأتي قوم يُسَوِّن بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح العراق فيأتي قوم يُسَوِّن فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

ونحوه ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال قالوا وفي نجدنا . قال قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال قالوا وفي نجدنا . قال قال هناك الزلازل والفنن وبها يطلع قرن الشيطان » .

وفي هذا اخبار بفتح الشام قبل أن تفتح .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عوف بن مالك قال : أتيت النبي ﷺ وهو في قبة من آدم فقال : أعددتاً بين يدي الساعة : « موتي ثم فتح بيت المقدس . . . الحديث »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال : ذمة وصهرأ . فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها ، موضع لبنة فاخرج منها .

قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مئذنها ودينارها ، ومنعت مصر ادينها ودينارها وعدتم من حيث بدأنتم وعدتم من حيث بدأنتم وعدتم من حيث بدأنتم شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه » .

وهذا الإخبار يفتح هذه البلاد وما تؤول إليه . وقد وقع ما ذكره ﷺ وعاد الناس من حيث بدأوا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن نافع بن عتبة قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ... الحديث وفيه :

قال : تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فتحها الله ... الخ » .

وهذه الأحاديث متواترة في المعنى - كما ترى - فقد رويت هذه الأحاديث في فتح بلاد عن طريق أنس بن مالك وسهل بن سعد وسلمة بن الأكوع وأبي هريرة أنس بن مالك وأبي زهير وابن عمر وعوف بن مالك وأبي ذر ونافع بن عتبة بطرق صحيحة متعددة فأفادت العلم اليقيني القطعي ودلت بصورة قاطعة على صدق نبوته ﷺ .

٣ - الإخبار بوفاة النجاشي وآخرين :

أخبر النبي (ص) بوفاة النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه وإن ما بينه وبين المدينة مسيرة الأيام والليالي فجمع الصحابة فصنفهم صفوفاً وصلى عليه وهذا ما روي بالغيث .

روي البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عبد الرحمن عن أبي هريرة وأخرجاه عن سعيد بن ميناء وعطاء وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله وأخرجاه عن عمران بن حصين وأخرجاه بطرق متعددة عن الشعبي عن ابن عباس - « ألفظ لأبي هريرة - « أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات » خرج إلى المصلى فصنف بهم وكبر أربعاً » .

وهن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه كان في الصف الثاني أو الثالث .

وأخرجاه ابن عبد البر في الاستيعاب والنسائي والبيهقي .

لأنت ترى أن هذا الحديث روي بسلاسل متعددة كلها صحيحة ، بل هو في الصحيح فدل على نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في البخاري بطرق كثيرة عن حميد بن هلال عن أنس ابن مالك

رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « أخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جهم ، فاصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب وان عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له » . وأخرجه البيهقي وابن الأثير في أسد الغابة . وأخرج البخاري نحوه أيضاً عن عبد الله بن عمر .

وهذا الحديث قيل في معركة مؤتة والرسول في المدينة . وهو من معجزاته ﷺ ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة (رض) قال : « بعث رسول الله ﷺ عشرة وهط سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري [ثم ذكر الحديث أن فيهم من قتل وفيهم من أسر وبيع ومعهم خبيب وفيه : فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا » .

فأنت ترى أن هذا المعنى متواتر ورد عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله وعمرو ابن حصين وابن عباس وانس بن مالك وعبد الله بن عمر بأسانيد متعددة كلها صحيحة فدل على صحة نبوته ﷺ .

٤ - الإخبار بخاتمة طائفة من الناس :

أخبر الرسول بخاتمة بعض الأشخاص فقال : هو من أهل النار أو هو من أهل الجنة فحتم له كما قال . ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي هريرة وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما - واللفظ تسهل - « أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان . فلما مال رسول الله ﷺ : أما انه من أهل النار . فقال رجل من القوم : أنصاحبه . فلما فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه قال فجرح الرجل - وهو شديد - فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين يديه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟

قال الرجل الذي ذكرت أنفأ إنه من أهل النار فاعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به
 بحت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض
 ثم بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله ﷺ : عند ذلك : إن
 لم يعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل يعمل
 أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة « (١) » .

من ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن
 الله بن كعب عن أبي هريرة ، وفيه عن عبيد الله بن كعب عمن شهد خبير مع
 ﷺ - واللفظ لأبي هريرة - قال : « شهدنا خبير فقال رسول الله ﷺ :
 ممن معه يدعي الإسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد
 حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة
 في بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين
 بها رسول الله ﷺ صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فاذن إنه
 أهل الجنة إلا مؤمن إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وأخرجه الإمام
 في المسند والبيهقي .

من ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
 « انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان [ثم ذكر
 ثم ملاحاة سعد لأبي جهل] ثم جاء فيه :

فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يسكه .

فكسب سعد فقال دعنا عنك فلإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك . قال
 قال : نعم

والله ما يكذب محمد إذا حدث . فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال
 الليثي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلي .
 والله ما يكذب محمد . قال فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له

فلل نفس حرام في الاسلام وجرم كبير ومن اسباب دخول النار

أمرته : لما ذكرت ما قال لك أخوك البشري ؟ قال فلراد ألا يخرج . فقال له أسر
جهل : إنك من أشرف الوادي فسر يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر
وذكر الحديث فيه - فقال - أي عمر - أن رسول الله ﷺ كان يرثنا مصارع
بدر بالأمس يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله قال فقال عمر : فوالذي
بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
وقدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لي
الأمر من بعده تبعته . وقدمها في بشر كثير من قومه . فأقبل إليه رسول الله
ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف
مسيلمة في أصحابه فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ولن تعدوا أمر
فيك ولئن ألبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت . فأخبر
أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين
ذهب فأمعني شأنهما ، فأوحى إلي في المنام أن انفخهما فنفخهما فطارا . فأخبر
كذابين فخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي والآخر مسيلمة الكذاب صاحب
الهامة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي بكره قال : رأيت رسول
ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه
ويقول : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين
المسلمين .

وقد وقع ما ذكره رسول الله ﷺ فأصلح الله بالحسن بين فئتين عظيمتين
عظيمتين وهما أهل الشام وأهل العراق .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بأكثر من طريق عن
سعيد الخدري وأم سلمة - واللفظ هنا لأبي سعيد - قال : كنا نحمل لبنه
يحمل لبنتين لبنتين - يعني في بناء المسجد - فرآه النبي ﷺ فينفض الراس

والمسلمون : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهن إلى الجنة ويدعونه إلى النار . قال
الشيخ عمار : أحوذ بالله من الفتن .

قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) : « وتواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه
يقتل عماراً الفئة الباغية . وهو من أصحاب الأحاديث » . فقتل عمار رضي الله
عنه جيش علي وقتله الفئة الباغية على علي وهي فئة معاوية . فكان كما أخبر
الله ﷻ .

في ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سعيد بن المسيب وأبي
الزهدي عن أبي موسى الأشعري . . . وساق الحديث وفيه : « فجاء إسمان
الباب فقلت : من هذا ؟ فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك . فمجت إلى
الله ﷻ فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى نصيبه » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أنس بن مالك وأبي
الأشعري - واللفظ ههنا لأنس بن مالك - قال : إن النبي ﷺ صعد أحداً
من وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : أثبت أحد فلما عليك نبي وصديق
إن » .

ناه نحو هذا المعنى عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم .

في ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن يزيد بن أبي عبيد وعبد
الله بن عبد الله بن كعب بن مالك وإياس بن سلمة بن الأكوع كلهم عن سلمة
بن عوف رضي الله عنه قال : « خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال
بن القوم لعامر يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل
القوم . . . الحديث

رسول الله ﷺ من هذا السائق ؟ قالوا عامر بن الأكوع . قال : يرحمه

صوق الحديث وفيه أن عامراً مات مساء فتح خيبر » . وأخرجه البيهقي
وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن عروة ومسروق ،
عائشة رضي الله عنها قالت : « دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قدس
فيه فسارها بشيء فبكّت ثم دعاها فسارها فضحكت . قالت فسألتهما عن ذلك
فقلت : سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكّت
سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته اتبعه فضحكت » .

وكان كما قال ﷺ « أنها أول أهل بيته لحوقاً به .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة .

وهذا المعنى متواتر فقد جاء بأسانيد كثيرة كلها صحيحة عن أبي هريرة وسهم
الساعدي وابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وأبي بكره وأبي سعيد الخدري
وأم سلمة وأبي موسى الأشعري وسلمة بن الأكوع وعائشة ويطرق متعددة فدل
على صحة نبوة محمد .

٥ - الإخبار عن الفرقة المارقة :

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يخبر أصحابه عما يحدث فيهم ولهم وكان الصالحون
يسألونه أحياناً فيجيب ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) - في
هذا الباب - عن أبي موسى وأنس بن مالك « أن رسول الله ﷺ خرج حين زالت
الشمس فصلّى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظيماً ثم قال
من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت
مقامي هذا فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول : سلوني . فقام عبد الله بن حنبل
السهمي فقال : من أبي ؟ قال أبوك حذافة . ثم أكثر أن يقول : سلوني فبكّر
على ركبته فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً . . . الحديث » .

ومن ذلك ما أخبره بخروج المبير والكذاب في ثقيف . جاء في (صحيح مسلم)
« أن أسماء بنت أبي بكر قالت للحجاج : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن
ثقيف كذاباً ومبيراً » . فاما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه .

(١) المبير: السفك، المبيد، المهلك

ومن عظيم الأخبار ما أخبر به عن خروج الفرقة المارقة وإنهم تقتلهم أولى
اللعن بالحق فقتلهم على كرم الله وجهه .

جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب
عنه - واللفظ هنا لأبي سعيد رضي الله عنه - وفيه : « فاقبل رجل غائر
عن مشرف الوجنتين فأتى الجبين كث اللحية مخلوق فقال : اتق الله يا محمد .
: من يطع الله إذا عصيت ، أيامني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني ؟ فسأله
قتله أحسبه خالد بن الوليد فمعه ، فلما ولي قال : ان من ضئضئ هذا أو في
هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من
يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل

أخرج البخاري ومسلم أيضاً عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك الهمداني
لعنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « بينا نحن عند رسول الله
هو يقسم قسماً ثلثه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول
الله اهدل فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت ان لم أكن
ل . فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فاضرب عنقه . فقال دعه فإن له
هاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا
ل ثوابهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . الى أن يقول :
رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على
فرقة من الناس .

قال أبو سعيد فاشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ واشهد ان
أبي طالب قاتلهم وأنا معه . فلعن بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت
على نعت النبي ﷺ الذي نعتة . »

جاء في (صحيح مسلم) « حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق بن همام حدثنا
الملك بن أبي سليمان حدثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني انه كان
بعض الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا الى الخوارج فقال علي رضي
الله : ايها الناس اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج قوم من امتي

يقرأون القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم الى صيامهم بشيء . يقرأون القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيوش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﴿٣٣﴾ لا تكلوا عن العمل .

وآية ذلك ان فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض ؛ فتذهبون الى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرارىكم واموالكم والله اني لارجو ان يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس . فسيروا على اسم الله .

قال سلمة بن كهيل فتزكني زيد بن وهب منزلاً حتى قال مررت على فطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهم : القوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فاني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء . فرحموا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم . قال وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً . فقال علي رضي الله عنه التمسوا فيهم المخرج . فالتمسوه فلم يجدوه . فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى اناساً قد قتل بعضهم على بعض قال : اخروهم فوجدوه مما يلي الارض فكبروا له قال : صدق الله وبلغ رسوله .

قال فقام اليه عبيدة السلماني فقال : يا امير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو سمعت هذا الحديث من رسول الله ﴿٣٤﴾ ؟

فقال : «اي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استخلفه ثلاثاً وهو يحلف له . » وفيه ما عن عبيدة عن علي وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله . وهو آية عظيمة من آيات الله تعالى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : «وفي رواية في الصحيحين : تمرق مارقة على فرقة من المسلمين يقتلهم ادنى الطائفتين الى الحق .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي لما افترق المسلمون . وكانت الفتنة بين عسكر علي وعسكر معاوية وقتلهم علي بن ابي طالب

هم أدنى الطائفتين إلى الحق . والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر وهي الطائفة المأبغة .

وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم وطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه
فقام علي بنفسه ففتش عليه فوجده مقتولاً فسجد شكراً لله (١١) .

الإخبار بهبوب الريح الشديدة :

جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي حميد الساعدي قال : « غزونا مع
رسول الله (ﷺ) غزوة تبوك . . . الحديث وفيه ، فلما أتينا تبوك قال : أما انما ستهب
الريح شديدة فلا يقوم احد ومن كان معه بعير فليقله ، فعقلناها وهبت ريح
بعدة فقام رجل فآلقته بجبل طي . . . الحديث »

زيادة الماء :

تواترت الاخبار الصحيحة بزيادة الماء ببركة رسول الله (ﷺ) فمن ذلك ما جاء
(صحيح البخاري ومسلم وسنن البيهقي) واللفظ للبخاري قال : « حدثنا
أبو داود قال حدثني يحيى بن سعيد قال حدثنا عوف قال حدثنا أبو رجاء عن عمران
: كنا في سفر مع النبي (ﷺ) . . . الى أن قال : ثم سار النبي (ﷺ) فاشتكى
الناس من العطش فنزل فدعا فلاناً كان يسميه أبو رجاء نسيه عوف ودعا علياً
: اذهب فابتغ الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيفيتين من ماء على
لها . فقالا لها أين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوقاً .
لها : انطلقني إذن . قالت : إلى أين ؟ قال : إلى رسول الله (ﷺ) . قالت :
ي يقال له الصابىء ؟ قال : هو الذي تعنين فانطلقني فجاء بها إلى النبي (ﷺ)
فأباه الحديث قال فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي (ﷺ) بآناه ففرغ فيه من أفواه
الذين أو سطيفيتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا
من شاء واستق من شاء وكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة أثناء من
قال : اذهب فافرغه عليك وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها وأيم الله لقد أقمع

عنها وانه ليخيل لنا انها اشد ملالة منها حين ابتداء فيها .

فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها .

قال لها : تعلمين ما رزقنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي أسقانا . فانت أهلها وقد احتبست عنهم قالوا ما حبسك يا فلانة؟ قالت العجب لقيني رجلان فذهبا الى هذا الذي يقال له الصابيء ، ففعل كذا وكذا فوالله انه لأسحر من بين هذه وهذه وقالت باصبعها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السماء تعني السماء والارض او انه لرسول الله حقاً . . . الحديث »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن أنس بن مالك انه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتني رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاتاء يده وأمر الناس أن يتوضأوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن ثابت عن أنس وفيه : « فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : « أتني النبي ﷺ بآء وهو بالزوراء فوضع يده فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة لأنس كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن الحسن وخميد عن أنس قال : « حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار الى اهله وبقي قوم فأتني رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء فصغر المخضب أن يسقط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم . قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة » واخرجه ابن سعد في الطبقات باسناد عديدة عن أنس .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

اليوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة
 لس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر فمكثنا غير
 ثم استقينا حتى روينا وروى أو صدرت ركائبنا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن معاذ بن جبل في غزوة تبوك وذكر قريباً
 هذه الحادثة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن
 الله رضي الله عنه قال : «عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة
 ماء فجعل الناس نحوه فقال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا
 شرب الا ما بين يديك . فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال
 إن فشرينا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا . كنا
 عشرة مائة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت
 جابر بن عبد الله فذكر الحديث وفيه :

وقال - اي رسول الله ﷺ - : خذ يا جابر فصبّ عليّ وقل : باسم الله
 صب عليه وقلت : باسم الله فرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله ﷺ
 ثارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر ناد من كان له حاجة بماء قال
 الناس فاستقوا حتى رويوا . قال فقلت : هل بقي احد له حاجة ؟ فرفع رسول
 ﷺ يده من الجفنة وهي مלאى . واخرجه البيهقي والنسائي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن علقمة عن عبد الله قال : وكنا نعد
 بركة وانتم تعدونها تخويفاً . كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء
 : اطلبوا فضلة من ماء فجازوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ثم
 حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع
 ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

أنت ترى ان هذا المعنى متواتر مروي بسلاسل متعددة كلها صحيحة عن عمران

وأنس والبراء بن عازب ومعاذ بن جبل وجابر بن عبدالله وعبدالله بأسانيد متعددة
فدل ذلك على صدق نبوته ﷺ .

٨ - تكثير الطعام :

لقد تواتر تكثيره ﷺ الطعام كما تواتر ذلك في الماء .

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن الشعبي وكعب بن مالك وهوب
ابن كيسان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : « توفي عبدالله بن عمرو بن حرام
وعليه دين فاستعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه فطلب النبي اليهم
فلم يفعلوا . فقال لي النبي ﷺ : اذهب فصنف تمر ك أصنافاً : العجوة على
حدة وعذوق زيد على حدة ثم أرسل إلي ففعلت ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجلس
على أعلاه أو في وسطه ثم قال : كل ، للقوم فكلتهم حتى أوفيتهم الذي هم وبني
تمري كأنه لم ينقص منه شيء » .

وفي رواية للبخاري قال جابر : « عرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عا ،
فأبوا ولم يروا أن فيه وفاة » .

وفي رواية للبخاري أيضاً قال جابر : « فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي تروا
عليه ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه » . وسألت
الحديث . أخرجه النسائي وابن سعد في الطبقات .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سلمة وأبي هريرة رضي
الله عنهما - واللفظ لسلمة - قال : « خفت أزواد القوم وأملقوا فاتوا النبي ﷺ ،
نحر إلههم فأذن لهم . فلقبهم عمر فأخبروه فقال : ما بقاؤكم بعد إيلكم ؟ فـ
على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما بقاؤهم بعد إيلهم ؟ فقال رسول الله
ﷺ ناد في الناس فيأتون بفضل أزوادهم فيسقط لذلك نطع وجعلوه على الملوك
فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتش الناس
فرغوا . ثم قال رسول الله ﷺ ، أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن عبد الرحمن بن أبي بكر في الله عنهما قال : ه كنأمع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ هل معك منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعبجن ثم جاء رجل مشرك مانً طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ : بيعاً أم عطية أو قال : أم هبة ؟

قال : لا بل بيع . فاشترى منه شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن ي . وإيم الله ما في الثلاثين والمائة إلا قد حز النبي ﷺ له حزة من سواد بطنها كان شاهداً أعطاها إياه وإن كان غائباً خبأ له فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون معنا فضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قاله ، رواه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبد الله بن طلحة وسعد بن سعيد وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعن أبي يحيى وعبد الله بن الله وعمر بن عبد الله كلهم عن انس بن مالك قال : ه قال أبو طلحة لأم سليم اسمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ ث : نعم . فأخرجت أقرصاً من شعير ثم أخرجت خاراً لها فلفت الخبز ببعضه دسته تحت يدي ولا تني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال فذهبت لوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمعت عليهم فقال لي رسول ﷺ : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم . ل رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا . فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت طلحة فاخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس من عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي ول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ : يا أم سليم ما عندك . فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ فقُتْ هرت أم سليم عكة فأدعته ثم قال رسول الله ﷺ : ما شاء الله أن يقول ثم قال : ل لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم لهما حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم جوا ثم قال ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون

وهذا الحديث متواتر عن أنس فقد ورد من سنة طرق صحيحة : ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن سعيد بن ميناء وعن أيمن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما حُضر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمْصاً شديداً فانكفأت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء فأنسي رأيت برسول الله ﷺ خَمْصاً شديداً فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بَيْمَةٌ داجن فذبحتها وطحننت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم ولّيت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ . وبمن معه فجثته فساررتة فقلت : يا رسول الله ذبحنا بَيْمَةً لنا وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك فصاح النبي ﷺ فقال : يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سوراً فحيّ هلاً بكم فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تحبزن عجينكم حتى اجيء فجثت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جثت امرأتي فقالت : بك وبك . فقلت قد فعلت الله قلت فأخرجت له عجينة فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لنتخط كما هي وان عجينا ليخبز كما هو . « ورواه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن الجعد عن أنس بن مالك قال : « مر بنا في مسجد بني رفاعه فسمعت يقول كان النبي ﷺ إذا مر بجنيات سليم دخل عليها فسلم عليها ثم قال : كان النبي ﷺ عروساً بزینب فقالت لي سليم لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية فقلت لها افعلي ؛ فعمدت إلى تمر وسمو واقط فالتخذت حيسة في برمة فارسلت بها معي إليه فانطلقت بها إليه فقال لي شعير ثم امرني فقال ادع لي رجلاً سهاهم وادع لي من لقيت قال ففعلت الذي امرت فرجعت فإذا البيت غاص بأهله فرأيت النبي ﷺ وضع يديه على تلك الحيسة وتكلم بها ما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال حتى تصدعوا كلهم عنها . . . الحديث . « ورواه النسائي .

فقد ثبت هذا بطريق التواتر ودل ذلك على نبوته ﷺ .

وهي دعوات كثيرة استجابها الله تعالى لنيه فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبدالله بن ابي طلحة وشريك بن عبدالله بن ابي عمر وثابت وقتادة ويحيى بن سعيد وعبيد الله بن أنس كلهم عن أنس بن مالك قال : « أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فينا النبي ﷺ يحطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا . فرفع يديه وما نرى في السماء قرعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي أو مال غيره فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجورة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء احد من ناحية الا حدث بالجلود . » واخرجه النسائي والبيهقي .

وهذا وارد بطريق متواتر عن أنس كما ترى .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عباد بن تميم عن عمه وكان صحابياً ان النبي ﷺ خرج بالناس يستسقي لهم فقام فدعا الله قائماً ثم توجه قبل القبلة . وحول رداءه فاسقوا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن مسروق في استشفاع قريش بالرسول قال : « فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعاً وشكا الناس كثرة المطر قال : اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم . »

ومن ذلك ما جاء فيه عن سالم عن أبيه : « ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب يعني قوله :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه
ثمال يتامى عصمة للاوامل»

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود حدثه (حين وضع سلى الجوز) على ظهر الرسول ﷺ (وهو ساجد) : «رفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم إذ دعا عليهم وكانوا يرون ان الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سئى اللهم عليك يا بني جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعد السابيع فلم يحفظه . قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القلب فلبس بدر » .

وفي حديث احمد بن اسحاق السورماري هذا ذكر السابيع وهو عمارة بن الوليد . ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن مسروق قال : «كنا عند عبد الله [ابن مسعود] فقال : ان النبي ﷺ لما رأى من الناس إدياراً قال : اللهم سبع كسيع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والمبنة والجيف وينظر أحدهم الى السماء فيرى الدخان من الجوع فأتاه أبو سفيان فقال : يا محمد انك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم .

قال تعالى : «فارتقب يوم تأتي الساء بدخان مبين» الى قوله «يوم نطفئ البطشة الكبرى فالبطشة يوم بدر . وقد مضت الدخان والبطشة والالزام وابه الروم .»

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول : «دعا رسول الله ﷺ يوم الاحزاب على المشركين فقال : اللهم مزلزل الكتاب ، سريع الحساب اللهم اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم .» فكان كما دعا .

ومن ذلك دعاؤه لثعلبة الذي قال الله فيه : «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا

قال ابن كثير : «عن أبي امامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الانصاري انه قال
 قال الله ﷺ : ادع الله أن يرزقني مالا ، قال فقال رسول الله ﷺ : ويحك
 لمة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه . » قال ثم قال مرة أخرى . فقال :
 رضى ان تكون مثل نبي الله ؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير الجبال معي
 وفضة لسارت .

ال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لا عطين كل ذي حق
 . فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا . قال فاتخذ غنما فتمت كما
 الدود فضاقت عليه المدينة فتحنى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي
 والعصر في جماعة ويترك ما سواهما . ثم تمت وكثرت فتحنى حتى ترك
 لوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى
 أن يوم الجمعة ليسألم عن الأخبار . فقال رسول الله ﷺ : ما فعل ثعلبة ؟
 يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بامرهم فقال : يا ويح
 يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ، وانزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة)
 ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من
 لمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من
 لمين وقال لهما :

يا بثلعة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذوا صدقاتهما .

فخرجتا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما
 الجزية . ما هذه إلا اخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغتما عودا
 فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزها للصدقة ثم
 لهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان نأخذ هذا منك . فقال
 فخذوها فان نفسي بذلك طيبة وانما هي له .

فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال : أروني
 فقرأه فقال : ما هذه الجزية ما هذه إلا اخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي

فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال : يا ويح ثعلبة ، قبل أن يكلمهما .
للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي .

فانزل الله عز وجل : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
الآية الى آخر الحديث . . . »

وقوله تعالى (بما اخلقوا الله ما وعدوه) . . الآية أي اعقبهم النفاق في قلوبهم
اخلافهم الوعد (١) .

اخرجها ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الامثال والطبري
وابن منده والبارودي وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن ابي امامة الباهلي
ولا يمتنا ان تكون هذه الآيات نزلت في ثعلبة هذا أو غيره ولكن ينبغي ان نعلم
حادثة كهذه وقعت كما اخبر القرآن .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن البراء بن عازب
ابن مالك وعبيد الله بن عتبة عن أبي بكر وفيه [حديث الهجرة] :

« واتبعنا سراقه بن مالك فقلت : أتينا يا رسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا
عليه النبي ﷺ فارطمتم به فرسه الى بطنها أرى في جلد من الارض شاة
فقال : اني أراكم قد دعوتما علي فادعوا الى فانه لكم أن ارد عنكما الطلب
النبي ﷺ فتجا فجعل لا يلقى احداً إلا قال كفيتمكم ما ههنا فلا يلقى احداً
رد . »

وجاء في البخاري نحوه عن سراقه بن جعشم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أياس بن سلمة بن الاكوع
حدثه « ان رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال : كل بيمينك
قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ما منعه إلا الكبير . »

قال فما رفعها الى فيه . « وهي أحاديث كما نرى متواترة في المعنى . »

(١) تفسير ابن كثير ، ٣٧٣/٢ ، الطبري ١٨٩/١ ، الرازي ١٣٨/١٦ ، القرطبي ٢٠٩/٨ ،
٣٦٧/٢ ، اسد الغابة ١/٢٣٧

جاء في (صحيح البخاري) عن أيمن وعبيد الله بن أنس بن مالك عن جابر بن عبد الله وباسانيد متعددة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «ان امرأة من الانصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فان غلاماً نجاراً ؟ قال : إن شئت . قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد علي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى أدت أن تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تنن ابن الصبي بي يسكت حتى استقرت . قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر . » وأخرجه سائي والبيهقي والامام احمد وابن الاثير في اسد الغابة .

- معجزات مختلفة :

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعثت يا رسول الله اني سمعت منك حديثاً كثيراً فأناساه . قال ابسط رداءك فيسطت فبيده فيه ثم قال ضمه ، فضمته فما نسيت حديثاً بعد . »

ومنه ما جاء في (صحيح البخاري) عن البراء قال بعث رسول الله ﷺ الى رافع اليهودي رجلاً من الانصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك . . . (وساق الحديث) وفيه :

«لوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة هربت ساقني فعصبتها بعمامة . . . فانتهيت الى النبي ﷺ فحدثته فقال : طرحتك قبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط . » وأخرجه البيهقي ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن عبد الله وعبيد الله ابني كعب بن مالك أبيهما وساق الحديث وفيه :

«لبنينا هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ : يا خيشمة ، فإذا هو أبو خيشمة الانصاري . » وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب الاثير في اسد الغابة وابن حجر في الاصابة .

فانت ترى ان هذه المعجزات من الكثرة بحيث تقطع القول في صدق نبوه .

﴿٢٤٨﴾

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « وهذه الاخبار [المعجزات] منها ما هو في القرآن ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه وتكثر الطعام وحبر الجذع ونحو ذلك فإن كلاً من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الأمة جميعاً بعد جيل وخلفاً عن سلف فما من طبقة من طبقات الامة إلا وهذه الآيات مسفرة مشهورة مستفيضة فيها ينقلها أكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن وقد نقلها وسمعتها الامة أكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن وأكثر ممن سمع ونقل انه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو وعن سماع ونقل نصب الزكاة وفرائضها . . . وذلك ان آيات الرسول كان كثير منها يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم الف وخمسةائة نبع الماء من بين أصابعه . . . وكما شاهد العسكر في غزوة ذات الرقاع الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة واملاً . . . وملاً منها جميع العسكر . . . وكما شاهد أهل خيبر وهم الف وخمسةائة الطعام الذي كان كربة الشاة فأشبع الجيش كلهم . . . وكما شاهد أهل الخندق وهم أكثر الف كثرة الطعام في بيت جابر بعد ان كان صاعاً من شعير وعناقاً فأكلوا كلهم من الجوع حتى شبعوا وفضلت فضلة » (١) . . .

ثم قال : « والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة في الاحاديث اعظم امور كثيرة هي متواترة عند الامة أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث وهذا الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن » (٢) .

١٢ - ظهور النار في أرض الحجاز :

وهذه آية عظيمة من آيات النبوة ودلالة قاطعة على نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ . . . والصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﴿ﷺ﴾ انه قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » .

(١) الجواب الصحيح ٢٢٧/٤ - ٢٢٨

(٢) الجواب الصحيح ٢٤٩/٤

وقد ظهرت هذه النار في أرض الحجاز سنة ٦٥٤ هـ بالحرة قرب المدينة المنورة وقد
 بها المؤرخون المعاصرون لها في كتبهم كآبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ في كتابه
 أجم رجال القرنين السادس والسابع (وذكرها ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ
 بها القطب القسطلاني وهو من المعاصرين لها وذكرها القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ
 كتابه (التذكرة) وذكرها ابن تيمية وقد ولد بعدها ببضع سنين (٦٦١ -
 ٧٢٦ هـ) وذكرها اليوناني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ في ذيل مرآة الزمان وذكرها ابن كثير
 هم من المؤرخين .

ال أبو شامة المعاصر لخروج هذه النار في كتابه (تراجم رجال القرنين السادس
 السابع) في حوادث سنة ٦٥٤ هـ وجاء الى دمشق كتب من المدينة على ساكنها
 السلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة وكتبت الكتب في خامس رجب
 بحالها ووصلت الكتب اليها في عاشر شعبان . . . بسم الله الرحمن الرحيم ورد
 مدينة دمشق حرسها الله تعالى في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستائة كتب
 مدينة رسول الله ﷺ فيها شرح أمر عظيم حدث بها ، فيه تصديق لما في
 صحيح من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى
 نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى » . فآخبرني بعض من أثق به
 بأهدها بالمدينة بلغه انه كتب ببناء على ضوئها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك
 وكان في دار كل واحد ما سراجاً ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وانما كانت آية
 من الله تعالى وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها . . . (في احد
)

ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل
 كأنها عندنا وهي نار عظيمة أشعالتها أكثر من ثلاث منائر وقد سالت أودية منها
 الى وادي شظا سيل الماء . وقد سدت سبيل شظا وما عاد بسبيل ، والله لقد
 جماعة نبصرها فإذا الجبال ، تسير نيراناً وقد سدت الحرة طريق الحاج
 . . .

كتاب آخر : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة
 المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال

منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ثم وقفت وعادت الى الساعة ولا تدري ماذا تفعل . ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة الى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين ناثبين الى ربهم وهذه دلائل القيامة .

وفي كتاب آخر . . . وقد حصل بطريق هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب الى الله بالطاعات وخرج امير المدينة عن مظالم كثيرة الى أهلها .

ومن كتاب شمس الدين بن عبد الوهاب بن قميلة الحسيني قاضي المدينة الى بعض اصحابه . . . ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس أجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما بان لنا إلا ليلة السبت واشفقنا منها وخفنا خوفاً عظيماً وطلعت الى الامير وكلمته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ارجع الى الله فاعتن كل ممالكه ورد على جماعة أموالهم فلما فعل هذا قلت له : اهبط الساعة معنا الى النبي ﷺ فبهط . وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ولا بقي احد الا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ واشفقنا منها وظهر ضوءها الى ان ابصرت من مكة ومن القلعة جميعها . . . وبالله يا أخي ان عيشتنا اليوم مكدره والمهلك قد تاب جميع أهلها ولا بقي تسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب . وعتت النار نسيم الى ان سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج وجاء في الوادي منها الينا فسمعنا وخفنا انها نحيثنا واجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وباتوا عنده جميعهم ليلة الجمعة . وأما قترها الذي مما يلينا فقد طفئ . بقدرة الله سبحانه وتعالى وانها الى الساعة ما نقصت الا ترمي مثل الجمال حجارة من نار ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الاحوال .

وفي كتاب آخر . . . وأيقن الناس بالهلاك منها أو العذاب وبات الناس ليلة الليلة بين مصل وتالٍ للقرآن وراحم وساجد وداع الى الله ومتنصل من ذنبه ومسنداً وتائب . . . (وقد نظمت فيها أبيات وقصائد ذكر منها أبو شامة) (١)

وقال ابن الساعي (٥٩٣هـ-٦٧٤هـ) في تاريخ سنة أربع وخمسين وستائة : يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوالي فرود عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صحبة قاصد يعرف بقباز العام .

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٠ وما بعدها .

السنى المدني فتأوله الكتاب فقراه وهو يتضمن ان مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم
الاثنين ثاني جمادى الآخرة حتى ارتج القبر الشريف النبوي وسمع صرير الحديد
مركت السلاسل وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة وكانت ترمي
لدى كائنها رؤوس الجبال ...

وقال ابن الساعي وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامعاني شيخ حرم
سنة النبوة على ساكنها افضل الصلاة والسلام يقول : ان هذه النار التي
تت بالحجاز آية عظيمة وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة (١) .

قال القرطبي في كتابه التذكرة : «وذكر لي بعض اصحابي أنه رأى تلك النار
سنة في الهواء من مسيرة خمسة أيام من المدينة المشرقة وذلك من اعلام النبوة» .
ل : «وسمعت انها رثيت من مكة ومن جبال بصرى» (٢) .

قال ابن تيمية : «ورأى أهل بصرى اعتناق الجبال من ضوء تلك النار» (٣) .

قال ابن كثير : «وقد اخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن ابي القاسم
محيي الحنفي الحاكم بدمشق في بعض الايام في المذاكرة وجري ذكر هذا الحديث
ان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الاعراب يخبر
ببصرى في تلك الليالي انهم رأوا اعتناق الابل في ضوء هذه النار التي ظهرت في
الز» (٤) .

ت ترى ان هذه دلالة عظيمة على نبوة محمد ﷺ فقد خرجت هذه النار بعد
البخاري ومسلم بأربعمائة سنة فاي دلالة هذه؟!

مقالة الترك :

في (صحيح البخاري ومسلم) متواتراً عن أبي هريرة وجاء فيها أيضاً عن

نهاية والنهاية لابن كثير ١٣/١٩٢

عن التذكرة للقرطبي ١٢٣، وانظر كتاب وفاء الوفاء ببلخار دار المصطفى للسعودي ١/١٠٠

باب الصحيح لابن تيمية، ٢/٨١، ٤/١٣٦

نهاية والنهاية ١٣/١٩١ . وانظر ذيل مرة الزمان ج ١/٤ - ١٠

عمر وبن تغلب - واللفظ ههنا لابي هريرة - قال : « قال رسول الله ﷺ : « لا يوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صفار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المحال المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر » وأخرجه النسائي .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « قلت : وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما اخبر ﷺ » وأمر هذه الطوائف معروف . فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور وحديثه في أكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار كتب المسلمين . قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم التي لو كلف من رأيهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة^(١) .

وقال : « فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكيز خان ملكهم الأكبر وأولاده وأولاد أولاده مثل هلاكو وغيره من الترك الكفار الذين قاتلوا المسلمون لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة^(٢) » .

وقال النووي : « هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ » فقد عرف هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ » وقاتلهم المسلمون مرات ، وما اخبر به ﷺ » وشاهدناه في عصرنا هذا ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرها ، قوم معهم سيوف كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات معيلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

فهذان الصنفان لم يكونا في عهد رسول الله ﷺ ولكننا شاهدناهما في عصرنا هذا شاهدنا الذين بأيديهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس وشاهدنا النساء الكاسيات العاريات اللاتي رؤوسهن كأسنمة البخت وهو ما يسمى « (التبرج) » التي تشبه سنم الجمل وهو ما لم يكن في عصر مسلم . وهذا الحديث تحقق شاهدنا

(١) الجواب الصحيح ٤ / ١٣٥ - ١٣٦

(٢) الجواب الصحيح ٢ / ٨١

(٣) انظر الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لمحمد صديق حسن خان ٨٢

له اثتر من الف عام من موت مسلم الذي رواه في صحيحه . وهو آية من آيات
نور .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
ﷺ قال : «بادروا بالاعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي
أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» .

من ذلك ما رواه ابو داود والبيهقي في الدلائل عن ثوبان قال قال رسول الله
ﷺ : «توشك الامم ان تداعي عليكم كما تداعي الاكلة الى قصعتها ، فقال
: من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل
من الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . قال قائل يا
الله وما الوهن ؟ قال : الوهن حب الدنيا وكراهة الموت» .

هذا أيضاً مما شاهدنا في عصرنا الحالي فإن المسلمين ذوو عدد كثير ولكنهم غثاء
السيل نزع الله من قلوب اعدائهم المهابة منهم وقذف في قلوبهم الوهن . وقد
هذا الحديث في يوم عز الاسلام والمسلمين .

هل دليل أوضح من هذا على نبوته ﷺ ؟

لا تزال تنتظر فتناً وأموراً تقع بين يدي الساعة أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ
أربعة اليهود حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي
فاقتله كما جاء في (صحيح البخاري ومسلم) وكهدم الكعبة وظهور الدجال
من الآيات .

له الاحاديث التي ذكرناها تدل دلالة قاطعة على صحة نبوة محمد ﷺ .
منقولة نقلاً صحيحاً بل في أعلى درجات الصحة واكثرها - كما رأيت - مروية
بكل متعددة كلها صحيحة . فثبت ما قلنا والحمد لله .

موافقات !!

نحب قبل أن تنتقل الى البحث التالي أن نذكر طرفاً من الموافقات التي كانت بجانب الرسول واجتماعها في خدمته .

١ - في وقعة بدر أرسل الله المطر كما اخبر القرآن ليثبت به اقدام المؤمنين . وكان انزاله على حالة كانت نعمة للمؤمنين نقمة على جيش قريش قال تعالى :

«اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام»

قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما انعم عليهم من إلقائه النعاس عليهم أما انهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم وكذلك فعل تعالى بهم يوم احد كما قال تعالى : «ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة ناعساً يغشى ملائكتكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم» الآية . . قال أبو طلحة : كنت ممن أصابه النعاس يوم احد ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وأخذه ويسقط وأخذه ولقد ظهر اليهم يمدون وهم تحت الجحف . . عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا نازح يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويكي حتى أصبح . . .

عن عروة بن الزبير قال: «بعث الله السماء وكان الوادي دهساً فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبد لهم الأرض ولم يمنهم من المسير وأصاب قريشاً ما يقدروا على أن يرحلوا معه»^(١)

فلماذا كان الجو مع محمد في المعركة ؟ أهو من قبيل الموافقات أم هو مدبر رباني ؟!

٢ - في وقعة الاحزاب أرسل الله ريحاً قوية على الاحزاب المجتمعة لمحارب

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩١ - ٢٩٢

الرسول زلزلتهم حتى اضطروا الى الرحيل وهم خائبون قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم وبحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً»

قال ابن كثير : «ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحاً شديدة المهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين»^(١)

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فلو كانت هذه الريح وغيرها من الأمور التي حوت العادة مثلها لما امتن الله به ولا احتج والعدو والولي يسمعه»^(٢)

فلماذا كان الجو هنا في خدمة محمد أيضاً كما كان في بدر ؟ أفهذا من قبيل المواقفات أيضاً أم هو تدبير رباني ؟

٣ - رمى محمد في وقعة بدر قبضة من حصاء الوادي في وجوه المشركين فأصاب كل واحد منهم ودخلت في عينيه . قال تعالى «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» .

جاء في (اسباب نزول القرآن) للواحدي : «واكثر اهل التفسير على ان الآية نزلت في رمي النبي عليه السلام القبضة من حصاء الوادي يوم بدر حين قال للمشركين : شأبت الوجوه ورماهم بذلك القبضة فلم تبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء»^(٣)

وجاء في (فتح القدير) : والصحيح كما قال ابن اسحاق وغيره ان المراد بالرمي المذكور في هذه الآية ما كان منه ﴿بدر﴾ في يوم بدر فانه اخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه المشركين فأصاب كل واحد منهم ودخلت في عينيه ومنخره وانفه .

وقيل : «المعنى ان تلك القبضة من التراب التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها ما بلغ أثرها الا ما يبلغه رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت لك الاثر العظيم»^(٤)

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٠ / ٣

(٢) تثبيت دلائل النبوة ٤٥١ / ٢

(٣) اسباب النزول القرآن ٢٣٠

(٤) فتح القدير ٢٨١ / ٢، وانظر تفسير القرطبي ٣٨٤ / ٧، ابن كثير ٢٩٥ / ٢

وعلى أي حال فهي رمية خاصة بلغت مبلغاً خارقاً ولولا ذلك ما ذكرها القرآن
فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟ .

٤ - عند خروج محمد مهاجراً كانت مجموعة من فتيان قريش يتربصون به ليفتله
فخرج من بينهم ولم يروه . ثم اختفى في غار وصل إليه القافة ووقفوا عليه وقفة لو
نظر احدهم اسفل قدميه لراه وكان أبو بكر مضطرباً فقال له رسول الله : لا تحزن ان
الله معنا . قال تعالى : « لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأبداه
بجنود لم تروها » .

فما الذي صرفهم عن النظر في الغار وقد وصلوا اليه ؟ ولماذا لم يدركهم الطلب ؟
فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٥ - عند البعثة المحمدية كثر الرمي بالشهب - كما ذكرنا - كثرة هائلة امتلأت بها
السماء وادعى محمد ان هذا بسبب الرسالة التي جاء بها لئلا يسمع الجن قال تعالى
على لسان الجن : « وانا كنا نفعُد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً
رصداً » .

فلماذا كانت الشهب في خدمة محمد ، أفهذا من قبيل الموافقات ؟

٦ - ذكرنا ان محمداً تحدى اليهود في ثمن الموت وقال إنهم لن يتمنوه فما ثمنه احد
منهم .

لماذا لم يتمنه احد منهم ؟ لماذا لم يتقدم واحد منهم متحدياً محمداً كما تحداهم ؟
أفهذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٧ - ذكرنا أن قسماً من نصارى نجران جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فدعاهم إلى
المجاهلة وهي الدعاء على الكاذب فوافقوا ثم احجموا وامتنعوا وأدوا الخراج كما ذكر
القرآن .

فلماذا احجموا واستسهلوا الخراج على انفسهم يدفعونه كل عام أهم يرون انه
أم يرون انه كاذب ؟ أم هو من قبيل الموافقات العجيبة التي تكون دائماً في خدمة
محمد ؟

٨ - في معركة حنين اعجبت المسلمين كثرتهم ثم انهزموا وثبت الرسول ونادى في اصحابه فجمعهم ثم انتصر المسلمون . قال تعالى : «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة . و يوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً ام ترؤها» .

افهذا ايضاً من قبيل الموافقات ؟

٩ - قال تعالى : «يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعضدة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» .

قال القرطبي : . . وهذا من اعجاز القرآن والنبي ﷺ إذ اخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيباً فكان على ما اخبر بعد مدة وأهل الردة كانوا بعد موته ﷺ» (١) .

وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام ابي بكر (٢)

وهذا أمر عجيب اذ كيف يخبر عن الارتداد قبل حصوله ؟ افهذا من وحي السماء ام من قبيل الموافقات الغريبة ؟ !

١٠ - وردت تعبيرات قرآنية في غاية الدقة مثل تسمية (العزير) في قصة يوسف وهو اذق ترجمة للاسم المصري القديم . قال الاستاذ مالك بن نبي : «ولقد تعرضت الثروة اللفظية التي جاء بها القرآن في جميع تفاصيلها تمثل هذا التكيف الرائع كما حدث لذلك الاسم الخاص «Putiphare» وهو اسم الشخصية الكتابية التي اطلقت عليها رواية القرآن لقب «العزير» في قصة يوسف . ولنا ان نتساءل عما إذا كانت هناك صلة في المعنى بين الاسم الاسرائيلي واللقب القرآني . فالتفسير العبري يبدو أنه يقصد بكلمة Putiphare اشتقاقاً مصرياً يبدأ من الاصل Puti' Favori «هزير» . والاصل Phave مستشار أو ناصح .

ونقلًا عن بحث القسيس فيجور Vigoureux نعرف ان هذه الكلمة مصرية

(١) تفسير القرطبي ٦ / ٢١٩

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٧٠

مركبة معناها «عزیز الاله شمس» .

وعلى أي من الرأيين نرى ان التكيف الاشتقاقي القرآني قد حذف اللفظ المكمل -
الاضافي أو الوصفي - ليمثله في صورة أكثر تطابقاً مع روح التوحيد الاسلامية
فلذا به يكتفي بلفظ «العزیز» (١) .

فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات؟!

ولا نريد أن نستطرد في ذكر الموافقات فهي في غاية الكثرة ولكننا أردنا ان نضع
طرفاً منها أمام أي مرتاب لعلها تدعوه الى التأمل والخروج بنتيجة تطمئن اليها نفسه
في ان هذا الرجل لا يمكن أن يكون مدعياً ولا كاذباً وإنما هو نبي مؤيد منصور .

(١) الظاهرة القرآنية ١٨٠

جولة في الكتب القديمة

أعلن محمد في القرآن أن اسمه وصفته مكتوبان عند أهل الكتاب بحيث يعرفه أهلها وهم معرفة تامة كاملة كمعرفتهم أبناءهم . وهذا التشبيه يقتضي أن يكون هو موضعاً توضيحاً كاملاً لا شبهة فيه ولذا قال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تخفون من המתين » (البقرة ١٤٦ ، ١٤٧) .

وتكرر هذا القول في مكان آخر من القرآن الكريم . قال في (سورة الأنعام ٢٠) « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » .

وقال في (سورة الأعراف ١٥٧) : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يهديهم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

وكان يقول إن أهل الكتاب يعلمون أن هذا الدين وهذا الكتاب حق وإنه مدون في زُبرهم قال تعالى : (وإنه لتنزِيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين . أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء ١٩٢ - ١٩٧) ، وقال : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » (العنكبوت ٤٧) .

وقال : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من המתين » (الأنعام ١١٤) وقال : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

وأعلن أن عيسى ذكر اسمه صراحة فقال : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (الصف ٦) .

تدوم إلى قيام الساعة (١) .

وجاء في (دلائل النبوة) لأبي نعيم : (عن صفية بنت حيي إنها قالت كنت أحسب
ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولدتهما إلا أخذاني دونه قال فلما
قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل فناء بني عمر وبن عوف غدا عليه أبي حيي بن
أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب
الشمس قالت فأتيا كالأين كسلانين ساقطين يمشان المهورني قالت فهششت إليهما
كنت أصنع فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الهمم قالت فسمعت
أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال
اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بلغ
أبداً (٢) .

وقد آمن به وصدقه كثير من علماء أهل الكتاب وأجبارهم ورهبانهم وأثبتوا صدقه
وأيدوا قوله كعبد الله بن سلام وعدي بن حاتم والنجاشي وغيرهم .

قال ابن اسحاق : « وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً
قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد
فجلسوا إليه وكلموه وقبالتهم رجال من قريش في أندية حول الكعبة . فلما فرغوا
من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله وتلا عليهم
القرآن فلما سمعوه قاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه
وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتبهم من أمره (٣) .

وأخبر القرآن بأن من أهل الكتاب من آمن به تصديقاً لما جاء في كتبهم
تعالى : (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل
مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (الاحقاف ١٠) .

وقال : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم

(١) الأجنحة الفاخرة ٢٣٥

(٢) دلائل النبوة ١٧/١ وانظر هداية الحيارى ٢٩٧ - ٢٩٨

(٣) هداية الحيارى ٣١٠

« إنه الحق من ربنا ! أنا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٢ ، ٥٣) .

من الثابت تاريخياً أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون به على أعدائهم أي يرون به وقد ذكر القرآن عنهم ذلك . قال تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند ربهم صدقوا ما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (البقرة ٨٩) .

الاستفتاح الاستنصار أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة (١) .

الابن كثير : (أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم) (٢) .

ابن عباس : « كانوا يهود خير تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خير من اليهود بهذا الدعاء وقالت : اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا به لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . قال فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء واغطفان . فلما بعث النبي ﷺ كفروا به » (٣) .

كان هذا سبباً من أسباب إيمان الأنصار قال ابن اسحاق « وكان مما صنع الله له [صار] به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتب وعلم هم أهل شرك وأصحاب أونان وكانوا قد غزوه في بلادهم فكانوا إذا كانوا شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أطل زمانه تنبئه فنقتلكم معه قتل عاد

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم

١ - القدير ٩٥ / ١ وانظر تفسير الطبري ٤١٠ / ١ - ٤١١ ، تفسير الرازي ١٨٠ / ٣

٢ - ابن كثير ١٢٤ / ١

٣ - باب نزول القرآن للواحدي ٢٤٢٥ ، وانظر مداية الحباري ٢٩٥ - ٢٩٦

فهذا أمر ثابت تاريخياً ذكره القرآن ولولم يكن ذلك ما كان لذكره معنى ولا ضرورة .
أهل الكتاب وكذبوه .

فأهل الكتاب كانوا ينتظرون نبياً يجيء وكانوا يستفتحون به في الحرب وأن هذا النبي عندهم صفته ونعته واسمه وأن محمداً ادعى أنه هو المقصود وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك فأمن من علمائهم من آمن وجحد من جحد .

ونحن بدورنا سنحاول استخراج ما بقي من البشارات التي تنادي بظهور هذا النبي في كتبهم وسنرى إن كانت تنطبق على محمد مع كل التحريقات التي أصابها كتبهم .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن محمداً لم يكن ذكره مقصوداً على كتب إسرائيل وإنما ورد ذكره وصفته في الأسفار الدينية العالمية الأخرى ككتب البراهمة والزرادشتية وغيرها من الكتب .

« ونحن نورد هنا بعض الأمثلة التي يستدعيها المقام . . . من هذه الكتب كتاب باللغة الانجليزية الفه (مولانا عبد الحق فديارتي) وسماه (محمد في الأسفار العالمية) واستفاد في مقارناته ومناقضاته بمعرفته للفرسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الأوروبية ، ولم يقنع فيه بكتب التوراة والانجيل بل عمم ذلك في كتب فارس والهند وبابل القديمة ، وكانت له في بعض أقواله توفيقات ، من أقوى ما ورد من نظائرها في شواهد المتدينين كافة . . .

يقول الاستاذ عبد الحق أن اسم الرسول العربي (أحمد) مكتوب بلفظه الفارسي في السامافيدا Samavida من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة ، الفصل الثامنة من الجزء الثاني ونصها ان (أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي معلومة له) وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس) . . . وفي مواضع كثيرة من كتب البراهمة يرى المؤلف أن النبي محمداً مذكور بوصفه الذي يعني الحمد الكثير ، والسمو البعيدة ومن أسماؤه الوصفية اسم سushrava الذي ورد في كتاب الاناها

Atharphavid . كذلك صنع بكتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب الجوسية فاستخرج من كتاب زند افستا Zend Avesta نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين «سوشيانث Soeshyant» ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة أبا Angra Mainyu . ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفواً أحد (هيچ جيز نمار) وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة : جز آخاز باز و دشمن ومانند و یار و بدر و مادر و زن و فرزند و حای سویی و تن آسا و تنائی لك و بوی است .

هذه هي جملة الصفات التي يوصف بها الله سبحانه في الإسلام : أحد صمد كمله شيء . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يتخذ صاحبة ولا

يشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبئ عن دعوة الحق التي يحى النبي الموعود وفيها إشارة إلى البادية العربية و يترجم نبذة منها إلى اللغة الإنجليزية معناها بغير تصرف « ان أمة زردشت حين يتبدون دينهم يتضعضعون نفس رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس و يتخضع الفرس المتكبرين ، وبعد النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة ابراهيم التي تظهرت من الأصنام لقد يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلغ الأماكن المقدسة للزردشتيين ومن جاورهم وان نبههم ليكونن فصيحاً يتحدث جهزات» (١)

نحن مستقصر استخراج البشارات التي تدل على نبوة محمد على أسفار بني إسرائيل من المهددين القديم والجديد ، أما الأسفار الدينية الأخرى فليست بيننا وحسبنا ما نقلناه آنفاً .

١٧ من كتاب Mohammed in World Scriptures نقلاً من كتاب (مطلع النور)

لأستاذ عباس محمود العقاد ١٤ - ١٧

تحريف التوراة والإنجيل

إن التوراة وأسفار العهد القديم هي كتب يجب الإيمان بها والعمل بموجبها من اليهود والنصارى لأن عيسى عليه السلام - كما جاء في الإنجيل - لم يحيى سالة للناموس - أي التوراة - وإنما جاء مكملًا له وإنه إلى أن تزول السماء والأرض يزول حرف من الناموس أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكتاب (متى - الإصحاح الخامس ١٧ ، ١٨) .

ولذا فإن كل ما في العهد القديم معمول به عند اليهود والنصارى . ولما لم يجدوا في التوراة ما يثبت دعواهم بأن عيسى عليه السلام قد جاء مكملًا للتوراة ، وإنما اليهود فهم ينكرونها ويرون أن عيسى عليه السلام كذاب دعي ولو لم يكن كذلك - في اعتقادهم - لأمّنوا به وصدقوه .

ويرى النصارى أن كتب المهددين (القديم والجديد) سالة من التحريف والتغيير والتبديل وكل ما فيها ملزم لهم . وأما اليهود فهم يرون أن كتب العهد القديم هي الصحيحة السالة من التحريف ولا شأن لهم بالعهد الجديد .

والحق أن الناظر في التوراة والإنجيل وأسفار العهد القديم نظرة أولية يدرك بالتحريف والتغيير فيها كما أقر بذلك كثير من مجتهديههم ومحرريهم وسالتيهم الأمثلة التي تثبت ذلك وتقطع القول به وتظهر صدق ادعاء القرآن الذي أعلن أن أكثر من ألف وأربعمائة عام أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم (يحرقون الكتاب مواضعه) . وربما كان قول من قال إن عملية التحريف مستمرة ولم تنته في زمن دون زمن صحيحاً . جاء في (الجواب الفسيح) : (وأنت تعلم إذا نظرنا أيضاً إلى التوراة التي طبعها الكاثوليك تراها أيضاً متخالفة متغايرة وكل من توافق الأخرى وكذا أناجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعها والحال مستمر في جميع فرقهم وسائر الأزمان وظاهر ظهور الشمس للعيان)

تحريف التوراة وأسفار العهد القديم :

إن التوراة - كما هو معلوم - ثلاث نسخ رئيسة :

١ - التوراة العبرانية .

٢ - التوراة اليونانية .

٣ - التوراة السامرية .

وهذه النسخ الثلاث يخالف بعضها بعضاً في كثير من الأمور وكلها موجودة الآن **أظن أن هذا الأمر وحده يثبت تحريف التوراة . فالتوراة كتاب أنزل على موسى فما الذي جعله ثلاث نسخ متغايرة ؟**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ، ذكر في نسخة السامرة منها - من امر استقبال الطور - ما ليس في نسخة اليهود والنصارى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب . . . وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة يخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام .

أما الأناجيل فلا اضطراب فيها أعظم منه في التوراة » (١) .

وقال : « بل وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً في الترجمة مخالفة شديدة مع الثقة ببعضها . وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف ما لا فاد ينضب وما يشهد بأنها مبدلة مغيرة لا يوثق بها . ورأيت من التوراة المعربة من نسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من أهل الكتاب » (٢) .

وقال أيضاً : « وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوته محمد ﷺ صمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في

(١) الجواب الصحيح ١/ ٣٨٠ .

(٢) الجواب الصحيح ١/ ٢٠٦ .

بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى .^(١)

وضرب الشيخ رحمة الله الهندي أمثلة من هذه الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث، فمن ذلك :

(الاختلاف الأول) : ان الزمان من خلق آدم إلى زمن الطوفان باعتبار العبرانية ألف وستة وست وخمسون سنة (١٦٥٦) وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة (٢٢٦٢) وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين (١٣٠٧) .

(الاختلاف الثاني) : ان الزمان من الطوفان إلى ولادة ابراهيم عليه السلام باعتبار العبرانية مائتان واثنان وتسعون سنة (٢٩٢) وباعتبار اليونانية ألف واثنان وسبعون سنة (١٠٧٢) وباعتبار السامرية تسعمائة واثنان واربعون سنة (٩٤٢) . . .

(الاختلاف الرابع) : ان موضع بناء الهيكل أعني المسجد باعتبار العبرانية جبل عيبال وباعتبار السامرية جبل جرزيم . . .

(الاختلاف الخامس) : ان الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية (٤٠٠٤) وباعتبار اليونانية (٥٨٧٢) وباعتبار السامرية (٤٧٠٠) (٢) .

«وقال هارسللي المفسر في الصفحة ٨٣ من المجلد الأول من تفسيره ذيل الآية الخامسة من الباب الرابع والأربعين من سفر التكوين : تزداد في أول هذه الآية الترجمة اليونانية هذه الجملة : « لم سرقتم صواعي » فهذه على اعترافه سافطة من العبرانية »^(٣) .

وقال أيضاً : (سقط من آخر الآية الثالثة عشرة وأول الآية الرابعة عشرة من الباب السادس عشر من كتاب القضاة شيء فيؤخذ من الترجمة اليونانية وتزداد هذه العبارة « فقال لها لو أخذت سبع قنزعات من رأسي وتسجتها مع سدى ورطلي

(١) الجواب الصحيح ٢٧/٢

(٢) إظهار الحق ٧٩/٢ - ٨٠

(٣) إظهار الحق ٢٧٢/١

بالمسار في الجدار فأصبر خفيفا كسائر الناس فنومته وأخذت سبع قنزعات ونسجت
مع السدى وربطته^(١) .

« ووقع في الآية الثامنة والعشرين من الزبور المائة والخامس في العبرانية (هم ما
عصوا قوله) وفي اليونانية (هم عصوا قوله) ففي الأولى نفى والثانية إثبات فأحدهما
للفظ يقينا »^(٢) .

الجدير بالذكر ان اليهود والنصارى يعترفون بصحة النسختين العبرانية
اليونانية ويقولون بما جاء فيهما . وأنت ترى أن بينهما من الاختلاف ما يقطع
تحريف أحدهما فأصبح الشك في كلتا النسختين لأنه لا يقطع بصحة أحدهما .
قد جاء في أسفارهم ما يدينهم ويثبت تحريفهم لكتاب الله .

جاء في (ارميا) الإصحاح ٢٣ :

« ٣٦ لما وحي الرب فلا تذكروه بعد الآن لأن كلمة كل انسان تكون وحيه إذ قد
أرفقم كلام الإله الحي رب الجنود إلها » .

وجاء في (ارميا) الإصحاح الثامن :

« ٨ كيف تقولون نحن حكماء وشرعية الرب معنا . حقاً إنه إلى الكذب حولها
هم الكتبة الكاذب » .

وفي نسخة أخرى بدل (وشرعية الرب معنا) (وتوراة الله معنا)^(٣) .

لهذا وحده يقطع بتحريفهم لكلام الله وأن التوراة حولها قلم الكتبة الكاذب إلى
كذب . وهم - أي اليهود والنصارى - إما أن يؤمنوا بهذا القول أو يكذبوه ، فإن
أولاه لزمهم الاعتراف بالتحريف ، وإن كذبوه لزمهم الاعتراف بالتحريف أيضاً
من الذي أدخل هذه (الآية) في كتابهم ١؟ وكلا الأمرين لا يحمد عقباه .

(١) الظهار الحق ١/ ٢٧٣

(٢) الظهار الحق ١/ ٢٢٥

(٣) النظر الرحلة المدرسية ١٢٣

ومما يدل على تحريف العهد القديم :

١ - نسبتهم إلى الله سبحانه ما لا يليق به : فقد نسبوا إليه الكذب - سبحانه - وجعلوا الحية أصدق منه - كما أسلفنا في قصة آدم (سفر التكوين الإصحاح ٣، ٢) وإنه جسم نراه العين رآه ابراهيم (سفر التكوين الإصحاح ١٨) ورآه موسى وسبعون شيخاً من بني اسرائيل (سفر الخروج الإصحاح ٢٤) وإنه صار يعقوب إلى طلوع الفجر فلم يقدر على صرعه وتعلق به يعقوب فلم يطلقه ولم يتمكن الرب من الخلاص منه حتى باركه (سفر التكوين الإصحاح ٣٢) وإنه تعب من خلق السماوات والأرض فاحتاج إلى الراحة والتنفس ، جاء في (سفر التكوين الإصحاح الثاني) :

« ٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله . ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدمه لأن فيه استراح ، جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » .

وجاء في (سفر الخروج ٣١) : (١٧) لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس) .

فانظر إلى هذه الصورة وما قاله الله في القرآن الكريم « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » (ق ٣٨) .

ونسبوا إليه القصور عن الإدراك والندم والحزن - تعالى الله عما يقولون علواً - جاء في (سفر التكوين ٦) : « ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . ٦ فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه » .

وجاء في (يونان ٣) : (١٠) فلما رأى الله أعمالهم أنهم [يعني أهل نينوى] رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه) . إلى غير ذلك من الأمور التي لا تليق بذات الله وجلاله مما يقطع القم ، بتحريفها .

٢ - نسبتهم إلى الأنبياء ما لا يليق بهم فقد نسبوا إليهم الإنحذار في حماة الرذائل والسقوط في الزنى والكذب والفضلال وغيرها من الأعمال التي لا تليق بأحاد الناس فضلاً عن الأنبياء .

فقد نسبوا إلى داود - كما أسلفنا - أنه زنى بامرأة أوريا وأنه أرسل زوجها إلى الحرب الشديدة ليموت ليستأثر بزوجه (صموئيل الثاني ١١) ، وإنه احتقر كلام الرب وعمل الشر في عينيه (صموئيل الثاني ١٢) وعطل الحدود فلم يقم الحد على ابنه (امنون) الذي زنى بأخته ثامار (صموئيل الثاني ١٣) ولا على ابنه (أبشالوم) الذي زنى بسراري أبيه على السطح أمام جميع إسرائيل (صموئيل الثاني ١٦) .

وهذا كذب فاضح على نبي الله داود إضافة إلى أنه يناقض ما جاء في لسفارهم ، فقد جاء في (صموئيل الثاني ٢٢) من كلام داود :

٢١ « يكافئني الرب حسب بري ، حسب طهارة يدي يرد علي . ٢٢ لأنني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي ، ٢٣ لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لا أجيد عنها . ٢٤ وأكون كاملاً لديه وأتحفظ من إثم . ٢٥ فيرد الرب عليّ كبري وكطهارتي أمام عينيه » .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار : « وهذا السفر يقرّون أنه كتب بإلهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم . ومحال أن يكون الزنى من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته » (١) .

وجاء في (سفر الملوك الأول ٣) :

٦ « فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك . فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم » .

وجاء في (سفر الملوك الأول ١١) :

« ٣٤ لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي » .

(١) قصص الأنبياء ٣١٣

فأنت ترى أن هذين الأمرين متنافسان ، فأيهما هو الصحيح ؟ أعطى داود ربه واحترق كلامه وحاد عن فرائضه أم حفظ طرق الرب ولم يعص إلهه وسار أمامه بأمانه وبر ولم يحد عن فريضة من فرائضه ؟

ما الصورة الصحيحة لنبي الله داود أهى الأولى أم الثانية ؟ ولا شك أن القول بأحدهما يكذب الأخرى .

ونسبوا إلى يعقوب الخداع والكذب (سفر التكوين ٢٧) .

وإن بتي لوط أسكرتنا أباهما واضطجعتا معه فأولدهما (التكوين ١٩) .

وإن نبي الله هرون صنع عجل الذهب ودعا بني اسرائيل إلى عبادته (سفر الخروج ٣٢) .

وإن سليمان عليه السلام عصى كلام الله وأصبح زير نساء يركض وراءهن فأملن قلبه وراء آلهة أخرى وأصبح مشركاً ضالاً حتى عبد عشتورت وملكوم وعمل الشر في عيني الرب . (الملوك الأول ١١) .

فهل هذه صورة الأنبياء ؟

حقاً ، إنه حولها قلم الكتبة الكاذب إلى الكذب .

أين هذا مما جاء في القرآن الكريم من تنزيه الأنبياء عليهم السلام ونكرهم م ورسم الصورة المشرقة الصحيحة ، لهم ؟ كيف لا وهم خير البشر واتقاهم الله اصطنعهم لنفسه واصطفاهم على العالمين ؟ !

٣ - التناقض الموجود في كتبهم :

وهذه الظاهرة بارزة في كتبهم وهو مما يقطع بالتحريف والتبديل :

من ذلك ما جاء في (صموئيل الثاني ٢٤) :

« ١٣ وأتى جاد إلى داود وأخبره قائلاً : إما أن يكون سبع سنين جوعاً لك ، أو أرضك . . . » وفي (أخبار الأيام الأول ٢١) : (١٢ أما ثلاث سنين جوعاً) الخ .

« ففي الأول (سبع سنين) وفي الثاني (ثلاث سنين) وقد أقر مفسروهم أن الأول غلطه^(١) .

وجاء في (سفر العدد ٣٣) : (٣٨ فصعد هرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر ٣٩ وكان هرون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور » .

وفي (سفر التثنية ١٠) : (٦ وبنو اسرائيل ، ارتحلوا من أبار بني يعفان إلى موسى . هناك مات هرون وهناك دفن) .

فمرة تذكر التوراة أنه مات في جبل هور ومرة في موسى وهو تناقض فان « جبل هور بعد موسى بمنازل كما ترى في التوراة » العدد ٣٣ «^(٢) .

وجاء في (أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٣٦) : « ٩ وكان يهوياكين ابن ثمان سنين حين صار سلطانا » « ولفظ (ثمان سنين) غلط ومخالف لما وقع في الآية الثامنة من الباب الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني : « وكان يهوياكين حين جلس على سرير السلطنة ابن ثمان عشرة سنة » .

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ذيل عبارة سفر الملوك : « وقع في الآية التاسعة من الباب السادس والثلاثين من السفر الثاني من أخبار الأيام لفظ ثمانية ، وهو غلط البتة »^(٣) .

وجاء في (سفر الملوك الثاني ٨) : « ٢٦ كان اخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة ، حين ملك ، وملك سنة واحدة في اورشليم واسم امه عثلبا بنت عمري ملك اسرائيل » .

وفي (أخبار الأيام الثاني ٢٢) : « ٢ كان اخزيا ابن اثنتين واربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في اورشليم واسم امه عثلبا بنت عمري » .

(١) اظهر الحق ١/ ٨٨

(٢) الرحلة المدرسية ٧٤ .

(٣) اظهر الحق ١/ ٢٣٢

« والثاني غلط يقينا كما أقر به مفسروهم وكيف لا يكون غلطاً وإن أباه (يهورام) حين موته كان ابن أربعين سنة وجلس هو على سرير السلطنة بعد موت أبيه متصلاً . . . فلو لم يكن غلطاً يلزم أن يكون أكبر من أبيه بستين . . . » (١)

وجاء في (يشوع ١٣) : « ٢٤ واعطى موسى سبط جاد وبنيه لقبائلهم ميراثاً هذا تقسيمه ، ٢٥ حد يعزير وجميع قرى جلعاد ونصف أراضي بني عمون إلى عروا عير التي هي حبال ربا . . »

« في (الباب الثاني من سفر الاستشفاء) هكذا ١٧ - ١٩ : قال لي الرب إنك تدنو إلى قرب بني عمون احذر تقاتلهم ومحاربهم فلاني لا أعطيك شيئاً من أرض بني عمون لأنني اعطيتهما بني لوط ميراثاً . انتهى ملخصاً . ثم في هذا الباب : « اسلم الرب إنا جميع سوى أرض بني عمون التي لم ندن منها . »

فبين الكتابين تخالف وتناقض فلو كان هذه التوراة المشهورة تصنيف موسى عليه السلام كما هو مزعمهم فلا يتصور أن يخالفها يشوع ويغلط في المعاملة التي كانت له حضوره (٢) .

وجاء في (سفر التثنية ٢٣) : « (٢ لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) .

« وهذا غلط ويلزم أن لا يدخل داود عليه السلام ولا أبؤه إلى فارص بن يهودا ، جماعة الرب لأن فارص ولد الزنى كما هو مصرح في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود عليه السلام البطن العاشر منه كما يظهر من نسب المسيح المذكور ، إنجيل متى ولوقا ، مع أن داود رئيس الجماعة والولد البكر لله على وفق الزبور (٣) ما وقع في الآية الأربعين من الباب الثاني عشر من سفر الخروج (٢٣) .

(١) إظهار الحق ١/ ٨٨

(٢) إظهار الحق ١/ ٦٧ - ٦٨

(٣) إظهار الحق ١/ ٦٣

ومن ذلك ما جاء في (سفر التثنية ٣٣) في الطبعة العربية للكتاب المقدس في
بريطانيا بمطبعة كامبردج سنة ١٩٥٢ وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ :

« جاء الرب من سينا ، وأشرق (لهم) من ساعير وتللاً من جبال فاران وأتى
من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » .

وفي طبعة الموصل - مطبعة الآباء الدومنيكيين سنة ١٨٧٥ :

« جاء الرب من سينا وأشرق (لنا) من ساعير واستعلن من جبال فاران » .
ففي النص الاول (لهم) وفي النص الثاني (لنا) ولا شك أن أحدهما هو
الصحيح .

وفي طبعة رجماد واطس في لندن سنة ١٨٢٢ م :

« جاء الرب من سينا وأشرق (لنا) من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف
الأطهار في يمينه سنة نار » .

فأنت ترى ان في هذا النص (لنا) مكان (لهم) و(جبل) بدل (جبال) وفيه زيادة
(ومعه ألوف الأطهار) التي لم ترد في الطبعات الأخرى . فأي النصوص هذه هو
الصحيح ؟ فإنه ليس من الممكن أن تكون جميعها صحيحة لأن التوراة واحدة .

فدل ذلك دلالة ظاهرة على التحريف والتبديل وأن التحريف - كما رأيت - لا يزال
مستمراً .

٤ - فساد الترجمة وتصرف المترجمين حسب أهوائهم : جاء في (إظهار الحق) :

« إن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في
أراجهم ويوردون بدلها معانيها ، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد وانهم يزيدون تارة
شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم ولا يثيرون إلى
الامتنياز . . . وأنا أورد أيضاً بطريق الانموذج بعضاً منها . . .

٢ - وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين في الترجمة
العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « سمي إبراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله

زائره . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (دعا اسم ذلك : الرب يرى) .
فترجم المترجم الأول الاسم العبراني بمكان (يرحم الله زائره) والمترجم الثاني
بـ (الرب يرى) .

٣ - وفي الآية العشرين من الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين في الترجمة
العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا (فكتم يعقوب أمره عن حبه) وفي
ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ (لابان) موضع حبه فوضع مترجمو العربية لفظ
الحمي موضع الاسم . . .

٦ - وفي الآية الحادية عشرة من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية
المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : (تبقى في النهر فقط) وفي الترجمة العربية
المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : (تبقى في النيل فقط) (١) .

وسترى هذا الشيء بعينه في العهد الجديد .

فأنت ترى أن المترجمين يتصرفون كما يشاؤون فمرة يذكرون اسم العلم ومرة معناه
ومرة قريباً منه وهكذا .

فإذا كان التحريف في الترجمة حصل في هذه الأمور كابدال (لابان) بـ (حبه)
(النيل) بالنهر وغير ذلك أفلا ترى أن التحريف يحصل في اسم سيدنا محمد ، عليه
من باب أولى وأنهم يبدلون اسمه إلى معناه أو إلى قريب منه فيبدلون (محمد)
بـ (رجل) كما أبدلوا النيل بالنهر ؟

وهذا أحد أسباب ما ذكره شيخ الإسلام الذي نقلناه آنفاً وقد رأيت أنا من نسخ
الزبور ما فيه تصريح بنبوّة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة بالزبور قائم أن
ذلك .

٥ - جاء في (سفر التثنية ٣٤) : ٥١ فهناك موسى عبد الرب في أرض موريا
حسب قول الرب ، ٦ ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يمدح

(١) اظهر الحق ٢/ ٢٢٨ - ٢٣٠

نسان قبره الى هذا اليوم . ٧ وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل منه ولا ذهب نضارته . ٨ فبكى بنو اسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً .

هذا سفر من التوراة أنزل على موسى فكيف يقول « فهاث هناك موسى . . »
فترى أنه نزل عليه بعد موته وانلتراس قبره ام ان هذه العبارة مزيدة في التوراة ،
فترى بعد كم من السنين دونت هذه التوراة ؟

ونحوه ما جاء في الآية الحادية والثلاثين من الباب السادس والثلاثين من سفر
الملئقة هكذا : « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني
اسرائيل » (ولا يمكن ان تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على
أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني اسرائيل . وأول ملوكهم شاول وكان
بعد موسى عليه السلام بثلاثمائة وست وخمسين سنة) .

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية : (غالب ظني ان
موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها الى الآية التاسعة
والثلاثين) (١) وأظن أن ما ذهب إليه الدكتور اسكندر كيدس من أن التوراة ألقت
بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى (٢) محتمل . ونحوه ما جاء في (يشوع ٢٤) :
٢٧ ثم قال يشوع لجميع هذا الشعب أن هذا الحجر يكون شاهداً علينا . . . ٢٩
كان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشرين سنين فدفنوه
لحم ملكة في ثمة سارح التي في جبل افرايم شمالي جبل جاعاش ، وهذا السفر نزل
على يشوع فكيف يذكر موته ودفنه ؟

ونحوه ما جاء في (صموئيل الثاني ٢٥) : ١٢ ومات صموئيل فاجتمع جميع
برائيل وندبوه ودفنوه في بيته بالرامة .

ونحوه ما جاء في (سفر أيوب ٤٢) : (١٥) ولم توجد نساء جيلات كبنات ايوب
كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين اخوتهن . ١٦ وعاش أيوب بعد هذا مائة

أظهر الحق ١ / ٢٣٩

انظر اظهار الحق ١ / ٦١

واربعين سنة ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال . ١٧. ثم مات ايوب شيخاً وشباً .
الايام .

ويقال فيه ما قيل في سابقه .

أنهناك أوضح من هذه الأدلة على التحريف والتغيير ؟

تحريف الإنجيل :

الأناجيل المعترف بها عند المسيحيين أربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا وقد اختير هذه الأناجيل في القرن الرابع الميلادي في مؤتمر (نيقية) ، أما قبل التاريخ فلم تكن هناك أناجيل يعيها معتمدة يقرها العالم المسيحي وينكر ما عداها وإنما كانت أناجيل كثيرة ، فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ولأصحاب ماتي إنجيل يخالف هذه الأربعة وهو الصالح في زعمهم وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس والنصارى ينكرونه وهناك إنجيل برنابا وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكيرة (إنجيل تهمس)^(١) إلى غير ذلك من الأناجيل . ولم تعتمد هذه الأناجيل إلا في القرن الرابع المسيحي . قال الأب عبد الأحد داود : « إن هذه السبعة والعشرين سفرأ أو رسالة الموضوع من قبل ثمانية كتب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار عددها هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع عشر بإقرار مجمع نيقية العام . ولذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور . ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المعنوية من كرة الأرض ما يزيد على ألف مبعوث روحاني يشكلون المجمع العام بمئاته الأناجيل والرسائل المختلفة كل منهم يحمل نسخة إنجيل أو رسالة على الوجه الذي هو لديها الى (نيقية) لأجل التدقيق . وهناك تم انتخاب الأربعة الأناجيل ، وأربعة على الأربعين أو الخمسين من الأناجيل المختلفة والمتضادة مع إحدى رسالتهم رسالة من رسائل لا تعد ولا تحصى . فصودق عليها . وهكذا ثبت العهد الجديد .

(١) محاضرات في النصرانية ٣٩

هيئة عددها ٣١٨ شخصاً من القائلين بالوهية المسيح وهم زهاء ثلث أعضاء
مع المذكور . وهكذا كان العالم المسيحي محروماً من العهد الجديد مدة ٣٢٥
أي أنه كان بغير كتاب ^(١) .

وقال : « يجب التفكير في دين بقي من تاريخ نشأته الى ٣٢٥ عاماً بغير كتاب كم
ر بالعقائد المتولدة من المنابع الخارجية وكيف يحتل نظامه ويكدر صفاؤه الأصلي
نرافات والروايات الكاذبة ؟ » ^(٢) .

وقال « سير آرثر فندلاي » في كتابه « صخرة الحق » ٥٩ :

« إن الأناجيل الحالية لم تستقر إلا في القرن الرابع الميلادي عقب مجمع قرطاجنة
ما تقرر أي الكتابات يحتفظ بها ، وأياها يرفض ويستبعد . وقبل ذلك التاريخ سنة
٣ م لم يكن هناك شيء اسمه العهد الجديد الذي نعرفه اليوم » ^(٣) .

ومما يؤكد هذا الرأي ما ذكره القسيس ابراهيم خليل فيليس الذي أعلن اسلامه
: « والنساخ المسيحيون الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول لا ينقلون شيئاً قط
العهد الجديد بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ولسنا نجد إشارة
جيل مسيحي قبل عام ١٥٠ م » ^(٤) .

وجاء في كتاب (الإنجيل والصليب) : « يتحقق لدى من أنعم النظر في مطالعة
سائل السبع والعشرين إن كاتبى الثلاث والعشرين منها لم يكونوا على علم بوجود
انجيل الأربعة وإن كل ما تحكيه الأناجيل من الأمثال والنصوص والوقائع
لكايات والمعجزات تكاد تكون كلها مجهولة لدى كاتبى الثلاث والعشرين
اللة . إذن فالأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة
بن كتبوا تلك الرسائل لأنها لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً . . .

الإنجيل والصليب ١٤

الإنجيل والصليب ١٩

المظهر كتاب محمد في النوراة والإنجيل والقرآن ٨٠

محمد في النوراة والإنجيل والقرآن ١٣٧

ولكن لا نجد في رسائل بولص العبارة الواجب ذكرها كقوله : على الوجه الذي
كتب في الإنجيل الفلاني أو إنجيل فلان ، فلو وجد كتاب إنجيل في زمن دابله
بولص وبطرس رسائلهما لكان من البديهي أن يبحث عنه أو يقتبس منه .

إذن فلا شبهة في أن الزمن الذين كتب فيه حضرات بولص وبطرس ويوحنا
ويعقوب ويهوذا رسائلهم لم يكن يوجد فيه الأربعة الأنجيل المعزوة إلى متى ومرسل
ولوقا ويوحنا التي في أيدينا^(١) .

بل الظاهر أن أصحاب الأنجيل لا يعلم بعضهم بما كتب الآخر ولذلك
كثير من التناقض بينهم . جاء في كتاب (الإنجيل والصلب) : « لا علم لنا
بعض هذه الرسائل بما كتبه البعض الآخر :

من الظاهر أنه لم يكن لكتاب الرسائل الإنجيلية علم بوجود الأنجيل الآخر
كما أنه لم يكن بعضهم على علم من كتابات البعض الآخر . فإن في هذه الرسائل
بعض العقائد والبيانات الغريبة التي يتفرد بها كاتب تلك الرسالة ومن هذا
قول بطرس : إن المسيح قضى عقب موته ثلاثة أيام في جهنم بين الأرواح المحبوس
السجن . ولكن هذه المسألة العجيبة لم تذكرها بقية الرسائل الست والعهد
الأخرى التي تألف منها كتاب العهد الجديد . فكيف يمكن أن يكون الجمع
الحواريون غير واقف أحد منهم على ما كتبه الآخرون مع القول بأنهم كتبوا رسائلهم
بتلقي الوحي ملهمين من الروح القدس ؟ كيف لا يكون لبطرس الذي كشف الله
عن دخول المسيح الجحيم ثلاثة أيام خبر ولا علم له برسالة يعقوب الذي بدعاه
دعاء الكاهن للمريض المحتضر مع ذلك بالزيت يشفيه وكذلك يغفر ذنوبه
المداواة ! ... هل من عالم يستطيع ان يبين اية حكمة وعدالة استندت إليها هذه الإلهامات
الروح القدس أعني كتمان حقيقة عظيمة عند النصارى الساكين في بعض الأماكن
وإظهارها والافضاء بها إلى سكتة ديار أخرى ثم كشفها وإلقائها إلى ٣١٨ دابله
٣٢٥ سنة ؟ »^(٢) .

(١) الإنجيل والصلب ١٤ - ١٥

(٢) الإنجيل والصلب ١٧ - ١٨

وجاء في (إظهار الحق) : « إنجيل متى هذا لم يكن مشهوراً معتبراً في عهد لوقا
لا فكيف يتصور أن يكتب لوقا نسب المسيح بحيث يخالف تحرير متى في باديء
أي مخالفة تحيز فيها المحققون من القدماء والمتأخرين سلفاً وخلفاً؟ » (١) .

وفي عام ١٧٩٦ أشار هردير Herder إلى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا والمسيح
لجبل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها .

وفي انجلسترا أدلى و.ب. سميث W. B. Smith وج.م. روبرتسن
J. M. ROBERT بحجج من هذا النوع أنكروا فيها وجود المسيح (٢) .

قال القسيس ابراهيم خليل في إنجيل يوحنا : « وهو يناقض الأناجيل الأخرى
Synoptic Gos في مئات من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها عن
... »

خلاصة القول أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل وبعضها الآخر وأن فيها
تاريخية مشكوكاً في صحتها ، وفيها من القصص الباعثة على الشبهة والريبة
مماثلة واضحة ما يروى عن آلهة الوثنيين » (٣) .

في اختيار الكتب المقدسة فقد تمّ عن طريق المجامع الدينية وأول مجمع عقد هو
ثيقه سنة ٣٢٥ وسبب انعقاد هذا المجمع انه « حدث خلاف جوهرى بين
رجال الكنيسة بالاسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الابن والاله » .

ال آريوس - وهو أسقف اسكندري - أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن ولا
المسيح الابن مخلوقاً للإله الأب فهو إذن دونه ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال

الحق ١/ ١٠٠

نجد في التوراة والانجيل والقرآن ٦١ - ٦٢

نجد في التوراة والانجيل والقرآن ١٣٩ - ١٤٠

أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة وبعبارة أخرى فإن المسيح عام ٧٠٠
إله ...

وقال أثناسيوس - وهو شماس اسكندري - ... إن فكرة الثالوث المقدس
أن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنها من عنصر واحد
بعينه وإن كانا شخصين متميزين ...

وحسباً للموقف دعا الامبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م
صدر قرار بإدانة أريوس أسقف الاسكندرية وتوالت بعدئذ الدعوة إلى عقد
محضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شؤون الكنيسة وما يربط بها من نظام كهنة
وعقيدة ولاهوت^(١) ..

والغريب في هذا المجمع أن المجتمعين كانوا أكثر من ألف مبعوث من
النصارى اتفق على التثليث ٣١٨ أسقفاً منهم فقط وناصر أريوس الموحد أكثر
سبعمئة ومع ذلك أخذ مبدأ التثليث تلبية لرغبة الامبراطور قسطنطين الذي لا
مشرراً آنذاك ولم ينتصر إلا قبيل وفاته . جاء في كتاب (الإنجيل والصليب)
الجهة المستغربة المائلة للعينين فوق جميع مقررات المجمع الكبير وأعماله هي أن
كيف انتحل الامبراطور قسطنطينيوس لنفسه قبل الاعتماد بالنصرانية - أي في
كونه مشركاً - ذلك المقام الأعلى الخاص بنفخ الروح القدس وتعليمه وتصرفه في
انعقاد مجمع رسمي له الصلاحية التامة لحل مشكلات العقائد الدينية والفكرية
فيها .

إن (أبوسيبوس) بسقبوس قيصرية الذي تقدمه الكنيسة وتمنحه لقب (سيد
المؤرخين) كان صديق الامبراطور فلا يمكن أن يكتب في حقه ما يغير المذهب
هو عبارة عن مفتريات . وهذا المؤرخ يقول إن قسطنطين اعتمد حين كان

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٥٥

الفراش قبيل وفاته وأن الذي عمده (أي نصرته) صديقه الحميم (ابوسيوس) سقبوس نيقوميديا^(١).

وقد تمّ في هذا المجمع وعدة مجامع أخرى اختيار الكتب المقدسة بحسب رغبة المجتمعين .

جاء في (إظهار الحق) : «ينقسم كل من العهدين إلى قسمين : قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين وقسم اختلفوا فيه ...

(القسم المختلف فيه على صحته من العهد العتيق) تسعة كتب :

- ١ - كتاب استير ٢ - كتاب باروخ ٣ - جزء من كتاب دانيال ٤ - كتاب طوييا
- ٥ - كتاب يهوديت ٦ - كتاب وزدم ٧ - كتاب ايكليزياستيكس ٨ - كتاب المقاييين
- ٩ - كتاب المقاييين الثاني .

القسم المختلف على صحته من العهد الجديد :

- ١ - رسالة بولس الى العبرانيين ٢ - الرسالة الثانية لبطرس ٣ - الرسالة الثانية
- ٤ - الرسالة الثالثة ليوحنا ٥ - رسالة يعقوب ٦ - رسالة يهوذا ٧ - مشاهدات
- يوحنا .

انعقد مجلس العلماء المسيحيين ، بحكم السلطان قسطنطين في بلدة نائس في سنة ٣٢٥ ثلاثمائة وخمسة وعشرين من ميلاد المسيح ليشاوروا في باب هذه الكتب المشكوكة وبحقنوا الأمر فحكم هؤلاء العلماء بعد المشاورة والتحقيق في هذه الكتب كتاب يهوديت واجب التسليم وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكة ، كما اتفقوا على ذلك . ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى 'مجلس لوديسيا في سنة ثلاثمائة وستين فابقى علماء ذلك المجلس حكم علماء المجلس الأول في باب كتاب

يهوديت على حاله وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى وجعلوها واجبة النسخ وهي هذه :

١ - كتاب استير ٢ - رسالة يعقوب ٣ - الرسالة الثانية لبطرس ٤ ، ٥ - الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ٦ - رسالة يهوذا ٧ - رسالة بولس إلى العبرانيين .

وأكدوا ذلك الحكم بالرسالة العامة وبقي كتاب مشاهدات يوحنا في هذين المجلسين خارجاً مشكوكاً كما كان . ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في سنة ثلثمائة وسبع وتسعين . وتسمى هذا المجلس بمجلس (كارنيج)^(١) وكان أهل هذا المجلس الفاضل المشتهر عندهم (اكستان) ومائة وستة وعشرين شخصاً غيره من العلماء المشهورين فأهل هذا المجلس أبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

١ - كتاب وزدم ٢ - كتاب طوبيا ٣ - كتاب باروخ ٤ - كتاب ايكليزياستيكس ٥ ، ٦ - كتابا المقايين ٧ - كتاب مشاهدات يوحنا .

لكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب أرميا فلذلك كتبوا اسم كتاب باروخ في فهرست أسماء الكتب على حدة فبعد انعقاد هذا المجالس صارت هذه الكتب المشكوكة مسلمة بين جمهور المسيحيين وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين إلى أن ظهرت فرقة البروتستنت فردوا حكم هؤلاء الأسلاف باب كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب ايكليزياستيكس وكتابي المقايين وقالوا ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة وحكمهم في بعض أبواب كتاب استير وسلموا في البعض لأن هذا الكتاب كان عشر باباً فقالوا إن الأبواب التسعة من الأول وثلاثة آيات من الباب العاشر التسليم وستة أبواب باقية واجبة الرد^(٢) .

(١) في ص ٢٣٦ من هذا الكتاب : « وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالماً من المشهورين ومنهم الفاضل المشهور المقيول عندهم اكستان هؤلاء العلماء سلموا احكامنا الاولى .

(٢) اظهر الحق ١/ ٥١ وما بعدها

إن العالم المسيحي يولي المجامع سلطة دينية واسعة في التحريم والتحليل والتشريع ولما كانت العقول مختلفة والرغبات متناقضة تناقضت كثير من الأحكام التي أصدرتها المجامع فكان يلغي مجمع متأخر أحكام مجمع سابق وهكذا ، ومن ذلك حل سبيل المثال :

١ - مجمع صور سنة ٣٣٤ م :

في هذا المجمع الذي عقده الأمبراطور قسطنطين صدر قرار بالغاء قرارات مجمع ليقيه سنة ٣٢٥ م وصدر قرار بالعفو عن أريوس وأتباعه وبقبول تعاليمه . . .

٢ - مجمع خلقدونيا سنة ٤٥١ م :

أصبح رابع مجمع مسكوني ديني باعقال مجمع صور سنة ٣٣٤ م وفيه اتخذ قرار بأن للمسيح طبيعتين : طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية متحدتين اتحاداً وثيقاً . . .

٣ - مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م :

في هذا المجمع استصدر قرار بتأييد مذهب الطبيعة الواحدة وساند هذا التأييد الأمبراطور جستنيان إرضاء لزوجته تيودورا وتنكيلاً للبابا فجيلوس .

٤ - مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م :

وقد اتخذ هذا المجمع قراراً بإدانة مذهب الطبيعة الواحدة فكان هذا نقضاً لقرار سنة ٥٥٣ م . . . الخ (١) .

وقد جاء مجمع غير عام بإقرار الجميع انعقد بأمر قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ م وفيه جمهور من الأساقفة وفدوا إليه من جهات مختلفة وقد قرر تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في أماكن العبادة وحرم طلب الشفاعة من العذراء ولأجل هذا انعقد المجمع السابع بأمر الملكة ايريني بمدينة نيقية ويسمى المجمع النيقاوي الثاني سنة ٧٨٧ وكان أعضاؤه ٣٧٧ أسقف وأصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسين لا

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٥٥ وما بعدها

بعبادتها وجاء في هذا القرار : « اننا نحكم أن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط بل في البيوت وعلى الجدران والطرق... »^(١).

ومن ذلك المجمع الثاني عشر في روما سنة ١٢١٥ م وأهم ما جاء في قراراته أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء^(٢).

« وختام هذه المجامع هو المجمع المتم للعشرين المنعقد في رومة سنة ١٨٦٩ وفيه أثبتوا العصمة للبابا »^(٣).

أما هذه الأناجيل الأربعة التي تم اختيارها في مجمع نيقية والتي لا يعرف مصنف كل واحد منها ما كتب الآخر فهي مشكوكة الصحة في نسبتها إلى أصحابها ، ثم إن النسخ التي كتبت باللغة التي ألقت فيها مفقودة فأول ما ظهرت النسخ مترجمة ولا يعلم مترجموها .

جاء في [إظهار الحق] : « ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة »^(٤).

فمتى مثلاً « اتفق جمهورهم على أنه كتب انجيله بالعبرية أو السريانية كما انفردوا على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية ، ولكن موضع الخلاف تاريخ تدوينه ومن الذي ترجمه إلى اليونانية ... »

يقول هورن : ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ أو

(١) محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ١٤٣

(٢) أضواء على المسيحية ١١٥

(٣) محاضرات في النصرانية ١٤٦

(٤) إظهار الحق ٥٧/١ وانظر الفارق بين المخلوق والخالق

سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد»^(١) .

وقال امثالون : « إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما اسند إلى يوحنا » .

ولقد جاءت في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصرى ما نصه : (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور) . . . ولقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً فالدكتور بوست يرجع انه كتب سنة ٩٥ ، أو سنة ٩٨ وقبل سنة ٩٦ ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل : ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد»^(٢) .

وكذلك شأن بقية الأناجيل ولذلك قال بعض علماء النصرى إن هذه الأناجيل من تأليف بولس قال القسيس ابراهيم خليل فيليس : « ولعل في سيطرة تعاليم بولس في الكنائس وسيطرة شخصيته على التلاميذ ما دفع بعض علماء الغرب إلى القول بأن إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس من تأليف بولس كما تحققة دائرة المعارف الفرنسية وكما يحققه قاموس الكتاب المقدس»^(٣) .

فأنت ترى أن رسائل أهل الكتاب كافة لا ترقى إلى درجة أي حديث ضعيف معلوم السند عند المسلمين بله الأحاديث الصحيحة .

تحول عقيدة النصرى عن التوحيد :

بعد انتصار الثلث على الثلثين في مجمع نيقية الأول بدأت عقيدة التثليث تستأصل

(١) محاضرات في النصرانية ٤١ - ٤٣

(٢) محاضرات في النصرانية ٤٩ - ٥٢

(٣) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٤٤

شيئاً فشيئاً عقيدة التوحيد حتى تمكنت بمرور الزمن من ذلك ، وتتلخص هذه العقيدة في أن الله ثلاثة أقانيم الأب والإبن وروح القدس وهي كلها إله واحد وطبيعة واحدة فطبيعة الإبن هي طبيعة الإله الأب فالمسيح ابن الله وهو الله الذي خلق الخلق ودير الأمر وهو أزل غير أنه اتحد بالناسوت لينقذ العالم عن طريق الصلب من الخطيئة التي ارتكبتها أبونا آدم . فإن الصلب إنما كان لانقاذ البشر من الخطيئة الأولى ولم تكن هناك وسيلة أخرى لانقاذ البشر . ولست أدري لماذا يتمكن البشر من العفو والمغفرة ولا يتمكن الله من ذلك إلا أن يصلب ابنه أو نفسه ؟ !

ونحن لا نريد وليس من موضوعنا ان تناقش هذه العقيدة وإنما نريد أن نغسلها مساً خفيفاً .

إن الناظر في الأناجيل يجد فيها ما يدفع هذا الاعتقاد ويبطله ، أما النصوص القليلة التي تشير إلى ربوبية المسيح فهي مقحمة إقحاماً ونحن إزاء هذه النصوص المتضاربة مضطرون إلى أن نأخذ بأحد النصين أو أن نتركهما جميعاً وكلا الأمرين لا يرضي النصاري لأنه يؤدي إلى القول بتحريف النصوص لا بحالة .

جاء في (إنجيل متى) ١٩ : قول المسيح عندما قالوا له (أيها المعلم الصالح)
« ١٦ لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » فاعتراضه عليهم بأنه ليس صالحاً إلا الله فلماذا تدعوني صالحاً يدل على أنه غير الله .

وجاء في (يوحنا : ٧) : (٢٨) فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً تعرفون ؟
وتعرفون من أين أنا ؟ ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي انتم لستم تعرفونه .

فإذا كان هو إلهاً فكيف يقول إنه لم يأت من نفسه وإنما جاء بمشيئة الله ؟
أرسله ؟ فهو إذن مرسل من غيره .

ونحوه ما جاء في (يوحنا ٤) : « ٣٤ » قال لهم يسوع طعماني أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله .

فهو إذن يعمل مشيئة الذي أرسله وليس إلهاً .

وجاء في (مرقس ١٣) : (٣٢) وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب .

وهذا كلام حول يوم القيامة : فهنا يذكر عيسى ان علم الآب غير علم الابن وان الآب يعلم ما لا يعلمه الابن فدل على تغايرهما وان المسيح يجهل بعض الأمور فدل ذلك على أنه ليس هو الله .

وأما تسمية الله بالآب - إن لم تكن من تحريفات أهل الإنجيل - فلا تدل على الأبوة الحقيقية وإنما هي أبوة مجازية بمعنى أن الله سبحانه هو يهديهم ويربهم ويعلمهم ويقوم بأمرهم كما يقوم الأب بأمر ولده . وهي هكذا في الإنجيل ، فالإنجيل يسمي الله أباً للبشر ويسمي الصالحين أبناء الله فهل معنى ذلك أن البشر أبناء الله حقيقة وهو أبوهم ؟ فإن كان كذلك فلا فضل لعيسى عليهم فهو أبوهم جميعاً وهم أبناءه .

جاء في (إنجيل متى) الاصحاح ٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَوْنَ .

وجاء فيه ٥ : ١٦ فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة بمجدوا أباكم الذي في السماوات .

وجاء فيه ٥ : ٤٨ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل .

وجاء فيه ٦ : ١ احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات .

وجاء فيه ٦ : ٩ فصلوا أنتم هكذا : آبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك .

وجاء فيه ٦ : ١٤ فإنه إن غفرت للناس ذلالتهم يغفر لكم أيضاً أبوك السماوي .

وجاء فيه ٢٣ : ٩ ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات .

وهذا الأمر واضح ، كما ترى .

وجاء في (يوحنا : ١) : (٢٩) وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هوذا
حَمَلٌ (١) الله الذي يرفع خطية العالم) .

فهو إذن حَمَلُ الله وليس هو الله فكيف يكون حَمَلُ الله هو الله ؟ أليس هذا
تناقضاً ؟

وجاء في (يوحنا : ٨) : (٤٠) ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد
كلمكم بالحق الذي سمعته من الله .

فهو قد صرح بأنه إنسان كلمهم بالحق الذي سمعته من الله أفهناك أصرح من هذا
النص على بطلان ألوهيته ؟!

وجاء في (متى : ٥ : ٢٧) عن صلبه : (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع
بصوت عظيم قائلاً : ايلي ايلي لما شبقطني أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟) فهو يسوع
ويستغيث إلهه فكيف يكون هو إلهاً ؟

وفي (لوقا : ٢٣) « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك أستودع
روحي » فهو إذن يستودع روحه عند الله فكيف يكون هو الله ، وعند من يستودع
روحهم إذن ؟! ثم إن الأناجيل وصفت المسيح بأنه يتعب ويجوع وينام ويفطر «
فيكيف يصح أن يكون هذا وصفاً لله ؟

جاء في (يوحنا : ٤) : (٦) فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على
البئر) .

وجاء في (متى : ٢١) : (١٨) وفي الصباح إذا كان راجعاً جاع) .

وجاء في (مرقس : ٤) (٢٨) وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً فأيقظوه)

وجاء في (يوحنا : ١٢) (٢٧) الآن نفسي قد اضطربت . وماذا أقول ؟ أيها الآباء
نَجِّنِي من هذه الساعة) .

(١) الحمل : الحروف الصغيرة

فدل ذلك أوضح دلالة على أن المسيح الانسان - كما قال هو نفسه - مجوع . ويتعب
ويتنام ويضطرب ويجهل وأنه مرسل من الله .

فهو إذن بشر رسول كسائر الرسل .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس في وسع الله أن يغفر الخطايا فلماذا
يكون الصلب ؟

إن الإنجيل يقول بل في وسعه ذلك ، جاء في (لوقا : ١١) : (٢ فقال لهم متى
صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ٤ واغفر لنا خطايانا
لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا) .

فنحن نطلب من الله مغفرة الخطايا كما يغفر الناس لمن يذنب إليهم .

وجاء في (لوقا ١٧) : (٣ وإن أخطأ أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر له) .

فلماذا كان في وسعنا أن نغفر لإخواننا أفلا يكون ذلك في وسع رب السماوات
والارض ؟

والقول بالمغفرة يفضي قطعاً إلى إبطال عقيدة الصلب .

بل في الإنجيل نفسه ما ينفي الصلب . جاء في (متى ٢٣) : (٢٩ لأنني أقول
لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب . . .
٢٤ : ١ « ثم خرج يسوع ومضى في الهيكل » . وهذا يدل على أنه فارقهم منذ أن
كلمهم » وذلك أنه في عبارته هذه يشير إلى وداعهم حين قال : إنكم لا ترونني من
الآن أي من تلك الساعة . فإن صح هذا فهو دليل قطعي على أن اليهود لما أرادوا
أخذه لم يروا ذاته بل رأوا من يشبهه فأخذوه وعملوا به ما عملوا وأما هو فقد ارتفع
من بينهم في تلك الساعة ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً «^(١) .

شواهد التحريف :

من المعلوم أن المسيح هو الذي جاء بالإنجيل فأين هذا الإنجيل ، إنجيل المسيح ؟

نحن نعلم أن النصارى يؤمنون بإنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا فأين إنجيل المسيح ؟

جاء في إنجيل مرقس ١ : ١٤ وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل بكرز^(١) بشارة ملكوت الله ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وأمنوا بالإنجيل .

وجاء فيه في الإصحاح ١٣ : من وصايا يسوع (١٠) ويتبغي أن تركز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم .

وجاء فيه ١٦ : (١٥) وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها .

وجاء فيه أيضاً ١٤ : (١٩) الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يجبر أيضاً بما فعلته تذكراً لها .

أين هذا الإنجيل الذي دعا به المسيح وطلب التبشير به ؟ إنه قال - كما أسلم^(٢) - : (الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم . . .) واسم الاشارة يقتضي مشاراً إليه فأين الإنجيل الذي أشار إليه عيسى ؟

إن هذا وحده يدل على فقدان إنجيل عيسى ، وإضافة إلى ذلك ستقيم الدليل على تحريف الأناجيل بصورة قاطعة . وما يدل على ذلك :

١ - التناقض بين الأناجيل بل ومناقضة الإنجيل الواحد لنفسه وللعهد القديم فمن ذلك على سبيل المثال اختلاف إنجيل متى وإنجيل لوقا في نسب المسيح^(٣) :

(١) بكرز : يشر

أعيا علماء النصارى وجبرهم وعجزوا عن تفسيره ولا تفسير له سوى أن أحدهما لا يعلم بما يكتب الآخر . وتصحيح أحدهما يفضي إلى تكذيب الآخر .

جاء في إنجيل متى الإصحاح الأول من ٧-١ أن المسيح ابن يوسف (*) بن يعقوب بن مئان بن اليعازر بن اليود بن اخيم . . . بن سليمان بن داود .

وجاء في إنجيل لوقا الإصحاح الثالث من ٢٣-٣٨ أنه ابن يوسف بن هالي بن مئان بن لاوي بن ملكي بن ينا . . . بن ناثان بن داود .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية أن الأجيال ما بين المسيح وداود ثمانية وعشرون جيلاً على ما ذكر متى - الإصحاح الأول ، وعلى ما ذكر لوقا في الإصحاح الثالث واحد وأربعون جيلاً .

وإن (شالثليل) هو ابن (يكتيا) على ما جاء في إنجيل متى - الإصحاح الأول ١١ ، وفي إنجيل لوقا - الإصحاح الثالث الفقرة ٢٧ هو ابن (نيري) .

وفي إنجيل متى - الإصحاح الأول الفقرة ١١ أن (يكتيا) الذي هو من أجداد المسيح هو ابن (يوشيا) .

وفي (أخبار الأيام الأول ٣) - الفقرة ١٥ ، ١٦ و (أرميا) الإصحاح ٣٤ الفقرة الأولى أن (يكتيا) إنما هو ابن (يهوياقيم) و (يهوياقيم) هو ابن يوشيا فيكون يوشيا جد (يكتيا) لا أباه . وهذا الحذف له سبب سنذكره إن شاء الله . فهنا تناقض إنجيل متى ولوقا وتناقض إنجيل متى والعهد القديم وهو مما يقطع بالتحريف . ومن التناقضات ما جاء في إنجيل مرقس ١ : ٦ أن يحيى كان يأكل جراداً وعسلأ برياً . وفي إنجيل متى ١١ : ١٨ أنه كان لا يأكل ولا يشرب .^(١)

وهو تناقض .

ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى ١٤ : ٥ ولما أراد أن يقتله (يوحنا المعمدان)

(انظر اظهر الحق ١٠٦/١)

المعجب أن الأنجيل تذكر في نسب المسيح أن المسيح ابن يوسف وهي مع ذلك تزعم أنه ابن الله ولا أب له على الأرض .

خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي » .

وفي إنجيل لوقا ٢٠ : ٦٥ فجميع الشعب يرجوننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي
وهو تناقض .

ومن ذلك ما جاء في مرقس ٩ : ٤٠ لأن من ليس علينا فهو معنا » .

وفي لوقا ١٩ : ٤٩ لأن من ليس علينا فهو معنا » .

بينما جاء في متى ١٢ : ٣٠ من ليس معي فهو علي » .

وهو يناقض ما جاء في مرقس ولوقا .

ومن ذلك ما جاء في يوحنا ٥ : ٣١ إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست
حقاً » .

وجاء فيه في مكان آخر ٨ : ١٤ وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » وكلا
قول المسيح وهذا تناقض في الإنجيل الواحد .

ومن ذلك ما جاء في متى : ١٧ ١٠ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويهوذا
يوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين » .

وفي مرقس ٩ : ٢٠ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا .

وفي لوقا ٩ : ٢٨ وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس
ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلي » .

وهذا تناقض في حادثة واحدة فمتى ومرقس يقولان بعد ستة أيام ولوقا بعد
ثمانية أيام .

ومن ذلك ما جاء في متى ٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم يدعون أبناء الله

وفي الباب العاشر من إنجيل متى : « ٣٤ ولا تظنوا إنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » .

« فبين الكلامين اختلاف ويلزم أن لا يكون عيني عليه السلام من الذين قبل في حقهم (طوبى) ولا يدعى ابن الله » (١) .

ويناقضه قوله في متى ٣ : ١٧ « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » .

وانظر إلى خطبة واحدة ألقاها المسيح كيف يروها كل من متى ولوقا :

إنجيل لوقا - الإصحاح السادس

٢٠ ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال :

طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله .

٢١ طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تُشبعون .

طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون .

٢٢ طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا

أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشريير من أجل ابن الإنسان .

٢٣ إفرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهوذا

أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا يفعلون بالأنبياء .

٢٤ ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتُم عزاءكم .

متى - الإصحاح الخامس

١ ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل

فلما جلس تقدم إليه تلاميذه

٢ ففتح فاه وعلمهم قائلاً .

٣ طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات .

٤ طوبى للحرزاني لأنهم يتعزون .

٥ طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .

٦ طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون

٧ طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون

٨ طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله .

٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون .

١٠ طوبى للمطرودين من أجل البر
لأن لهم ملكوت السماوات .
١١ طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم
وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من
أجلي كاذبين .
١٢ إفرحوا وتهللوا ، لأن أجركم عظيم
في السماوات فانهم هكذا طردوا
الأنبياء الذين قبلكم .
١٣ أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد
الملح فيما إذا يملح لا يصلح بعد لشيء
إلا أن يُطرح خارجاً ويداس من
الناس .

٢٥ ويل لكم أيها الشباغى لأنكم
ستجوعون .
ويل لكم أيها الضاحكون الآن
لأنكم ستحزنون وتبكون .
٢٦ ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس
حسناً لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون
بالأنبياء الكذبة .

فأنت ترى أن ثمة فروقاً غير قليلة بين النصين ففي (متى) الكلام على العالمين
وفي (لوقا) الكلام للمخاطبين وفي كلا النصين زيادة من جهة ونقص من جهة
واختلاف من جهة أخرى مما يقطع بالتحريف .
وانظر إلى طائفة من الفروق بين النصين :

متى

١ - الكلام في متى على الغائبين

٢ -

٣ - للمساكين (بالروح) .

٤ - ملكوت السماوات

٥ - طوبى للحرانى لأنهم يتعزون

لوقا

الكلام للمخاطبين

رفع عينيه

عدم وجود (بالروح)

ملكوت الله

طوباكم أيها الباكون (الان) لا

ستضحكون .

- ٦ - طوبى للودعاء
٧ - طوبى للجوع والعطاش إلى البر
٨ - طوبى للرحماء . . . الفقرة
٩ - طوبى للأتقياء القلب . . . الفقرة
١٠ - طوبى لصانعي السلام . . .
الفقرة
١١ - طوبى للمطرودين . . . الفقرة
١٢ - ويل لكم أيها الأغنياء . . . الفقرة
١٣ - ويل لكم أيها الشباعي . . . الفقرة
١٤ - ويل لكم أيها الضاحكون . . . الفقرة
١٥ - ويل لكم إذا قال فيكم . . . الفقرة
١٦ - من أجل ابن الإنسان
١٧ - أنتم ملح الأرض . . . الفقرة

(ووردت أربع مرات)

(ووردت أربع مرات)

● (وُردت كلمة طوبى ٩ مرات)

● (لم ترد كلمة ويل)

جاء في (الفارق) : « وهكذا جميع الخطبة لا توافق فيها بين الكلامين والمترجم لفظ طوبى عشر مرات ولوقا ذكرها أربع مرات فقال (طوبى لكم) وزاد على ترجم قوله : ويل لكم ذكرها أربع مرات أيضاً والمترجم لم يذكر الويل مطلقاً .
ل المترجم خطاباً للتلاميذ ١٥ (أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فبماذا لا يصلح بعد شيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس) .

وخالفه لوقا فذكر ذلك في (الإصحاح ١٤ ف ٣٤) بقوله : (الملح جيد ولكن فسد الملح فبماذا يصلح لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً من له أذنان

للسمع فليسمع (١١) .

ومن تناقض الأناجيل ما جاء في متى ٢١ : (١) ولما قربوا من اورشليم وجاء إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فملوكتا تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فاحلاهما واثنيني بهما وإن قال لكم أحد شيئاً فقولوا الرب محتاج إليهما فملوكتا يرسلهما فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : (قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً ركباً على أتان وجحش ابن أتان) فذهب التلميذان وفعلوا كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعما عليهما ثيابها فجلس عليهما .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار : (وأنا لا أدري ولا مؤلف الإنجيل المذكور يدري ولا المنتجم يدري كيف يركب المسيح الأتان والجحش معاً ويتنظمهما في حلما واحدة ؟) (١٢) .

وعلى أي حال فهو يخالف لما جاء في إنجيلي مرقس ولوقا .

جاء في إنجيل مرقس ١١ : (١) ولما قربوا من اورشليم إلى بيت فاجي وبيت عند جبل الزيتون أرسل اثنين ٢ وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فملوكتا وادخلان إليهما تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد فحلاه وأتيا به) .

فهو هنا أخبر أنهما يجدان جحشاً فقط وليس جحشاً وأتاناً

ونحوه جاء في إنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر الفقرة ٢٨ وما بعدها

أما يوحنا فقد خالفهم أجمعين فلم يذكر أن يسوع أرسل أحداً وإنما هو وجحشاً فجلس عليه .

جاء في (يوحنا ١٢) : ١٢ وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى أن يسوع أت إلى اورشليم ١٣ فآخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاءه وكانوا يصيحون

(١) الفارق ٤٣ - ٤٤

(٢) قصص الانبياء ٤٦٤ وانظر الفارق ١٥٢

أوصنا مبارك الاتي باسم الرب ملك اسرائيل . ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان» .

فيا ترى أي هذه النصوص هو الصحيح ؟

أما النص الذي أشار إليه مصنفو الأناجيل : لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : فولوا لابنة صهيون . . . فهد في سفر زكريا الإصحاح التاسع ونصه :

« ٩ ابتهجي يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » .

وهذا لا ينطبق على المسيح لأنه قال هو ملك ومنصور والمسيح لم يكن ملكاً في يوم من الأيام ولا انتصر على أعدائه وإنما هو بالعكس كما تذكر الأناجيل أخذ وأهين ووضع عليه إكليل من الشوك وسحب وبصق عليه فكيف ينطبق عليه هذا النص ؟

جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرين :

« ٢٧ فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكهنة ، ٢٨ فعزّوه وألبسوه رداء قرمزيًا ، ٢٩ وضفروا إكليلًا من الشوك ووضعوه على رأسه ونصبة في يمينه وكانوا يمجثون قدامه ويستهنئون به قائلين السلام يا ملك اليهود . ٣٠ وبصقوا عليه وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه . ٣١ وبعدما استهنؤوا به رموا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب » .

وانظر إنجيل مرقس ١٥ : ١٦-٢٠

و بعد ذلك كله فمن هو الملك الذي جاء إلى اورشليم ودخلها منصوراً وكان لهاولاً ومتواضعاً وراكباً على جحش ابن أتان ؟ وهل بدخول المسيح اورشليم على لوجه الذي ذكرته الأناجيل تكون النبوة قد تحققت ؟

والجواب ان النبوة لا تتحقق إلا بوجود رجل له صفة الامرة قد فهد اعداءه ودانوا بالطاعة . وعلى اثر ذلك أتى الى اورشليم هيئة المتواضع راكباً حماراً لا كالمملوك بمارين .

والمسيح لم يدخل أورشليم على هذا الوجه . . .

وأما الشخص الذي تحققت به هذه النبوة بالفعل فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ خرج من المدينة راكباً على حمار حتى وصل إلى معسكر الإسلام بالمجابية فخرج إليه أهل اورشليم واعتقدوا منه صلحاً وبعد تمام الصلح دخل إلى اورشليم راكباً حماره الذي أتى عليه من المدينة وهو صاحب الأمر والنهي في صهيول وأورشليم . . . وأما وداعة عمر وعدله وتواضعه فهو مضرب المثل إلى اليوم ويدخل تحققت نبوة زكريا عليه السلام .

جاء في الطبري في أنباء سنة ١٥ هجرية بصفحة ١٥٨ من الجزء السابع نصه : « وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات فأما الأولى فعلى فرس وأما الثانية ، فعلى بعير وأما الثالثة فقصر عنها أن الطاعون مستعر . وأما الرابعة فدخل على حمار فاستخلف عليها وخرج .

ومعلوم أن عمر لم يكن يدري ما قاله زكرياء ولا علم له به » (١) .

ومما يشهد بالتناقض والتحريف ما جاء في الأناجيل عن قيام المسيح من القبر لا يختلف في رواية ذلك اختلافاً كبيراً .

جاء في إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين :

١٥ وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر ٢ وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه .

وجاء في مرقس ١٦ :

« وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حلوت ليأتين ويدهنه ٢ وباكراً جداً في أول الأسبوع أتى إلى القبر إذ طلعت الشمس ٣ وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ ٤ فتطلعن ورأين

الحجر قد دُحرج لانه كان عظيماً جداً . ٥ ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين . . .) .

وجاء في لوقا ٢٣ :

٥٥ وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده .
٥٦ فوجعن واعددن حنوطاً وأطياباً . وفي السبت استرحن حسب الوصية .
الإصحاح الرابع والعشرين .

١ ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددهن
معهن أناس ٢ فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر ٣ فدخلن ولم يجدن جسد الرب
سرع ٤ وفيما هن مختارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقه . . . ١٠ وكانت
مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل .

وجاء في يوحنا ٢٠ :

١ وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ فنظرت
الحجر مرفوعاً عن القبر ٢ فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر
الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه . . .
١ أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي . وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر
فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين
٢ ثم كان جسد يسوع موضوعاً . . . ١٧ قال لهما يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد
إلى أبي . ولكن إذذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي
لكم .

فأنت ترى كم من الفروق بين هذه النصوص ، ومن تلك الفروق :

في إنجيل متى : امرأتان ذهبتا إلى القبر هما مريم المجدلية والآخرى . وفي
(مرقس) ثلاث نسوة معلومات . وفي (لوقا) نساء غير معلومات العدد ولا
الاسماء أتين معه من الجليل مع مريم المجدلية ويونا وأم يعقوب ، وفي (يوحنا)
مريم المجدلية وحدها .

٢ - في (متى) ان زمن الذهاب الى القبر كان فجر اول الاسبوع . وفي (لوقا) اول
الفجر وفي (مرقس) ان زمن الذهاب الى القبر كان فجر اول الاسبوع . وفي
(لوقا) اول الفجر وفي (مرقس) عند طلوع الشمس ، وفي (يوحنا) ان
الظلام باق .

٣ - في (متى) ان الحجر لم يكن مدحرجاً وبحضورهما تمت الزلزلة وجاء ملاك
السرب ودحرج الحجر ، وفي (مرقس) و(لوقا) و(يوحنا) ان الحجر كان
مدحرجاً .

٤ - في (متى) ان ملاك الرب نزل ودحرج الحجر وجلس عليه ولم يذكر ان
دخل الى القبر وفي (لوقا) و(يوحنا) انها رأتا ملاكين لا واحداً .

٥ - في (لوقا) انهن دخلن ولم يجدن جسد يسوع وفي (يوحنا) ان مريم دخلت
ووجدت جسد يسوع وكلمها .

الى غير ذلك من الفروق .

وهذا مما يقطع بالتحريف .

ومما يقطع بالتحريف ما جاء في الأناجيل ان المسيح اخبر بأنه سيقبى في قلب
الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد موته مع ان الأناجيل الأربعة مجمعة أنه دفن في
مغيب الشمس يوم الجمعة وقام أول الأحد فلم يبق إلا ليلة السبت ويوم السبت وال
الأحد .

ومعنى هذا إما أن يكون المسيح كاذباً أو يكون الرواة كاذبين ولا مفر
أحدهما .

جاء في إنجيل (متى) ١٢ (٤٠) لأنه كما كان يونان في بطن اخوت ثلاثة
وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال .

وانظر مرقس ٨ : ٣١ ، ٣٩ : ٩ ، ٣٤ : ١٠ ، لوقا ٢٢ : ٩ ، ١٨ : ٣٢ ، ٣٣

قال الإمام ابن حزم : «وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها لأنهم مجمعون على

أناجيلهم إنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد فلم يبق في جوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ويوماً يسيراً من يوم ثان فقط وهذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح لا بد منها أو كذب أصحاب الأناجيل وهم أهل الكذب «^(١)» .

ومما يدل على التحريف والكذب ما جاء في لوقا ١ :

« ٣١ وما أنت ستجلبين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع . ٣٢ وهذا يكون عظيماً والله العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون للملكه نهاية » .

وهذا قول الملاك لمريم :

« أما قول لوقا (« وابن العلي يدعى » وكذا قوله (المولود منك يدعى ابن الله) (إصحاح ١ ف ٣٥) وقوله (يعطيه الآله كرسي داود أبيه) فان هذه العبارات تفرد بها لوقا ولم يذكرها أحد من كتاب الأناجيل سواه »^(٢)» .

ثم متى ثم هذا ؟ متى ملك يسوع بيت يعقوب إنه أهين وبصق عليه وصلب كما تقول الأناجيل فكيف يتفق مع هذا القول ؟ ثم يقول النص إنه ليس للملكه نهاية على بيت يعقوب بل يملكه إلى الأبد وهذا منقوض بفتح المسلمين لبيت المقدس منذ زهاء ألف واربعمئة عام فكيف يتفق هذا مع هذه البشارة ؟

إضافة إلى هذا أن المسيح هو ابن يهويا قيم بن يوشيا بحسب النسب المدرج في إنجيل (متى) - الإصحاح الأول ومن كان من أولاد يهويا قيم لا يصلح أن يجلس على كرسي داود كما جاء في (ارميا) الإصحاح السادس والثلاثين .

وذلك أن يهويا قيم بن يوشيا ملك يهوذا لما أحرق الصحيفة التي كتبها باروخ من لهم أرميا نزل الوحي إلى أرميا هكذا :

(١) الفصل في الملل ٤٣/٢ - ٤٤ وانظر ٤٨/٢ - ٤٩ ، الفارق ٢٦١ - ٢٦٢ ، اظهار الحق ١٥٣/٢ ،

الرحلة المدرسية ٧٦

(٢) قصص الانبياء ٣٧٧

٣٠ لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا : لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً واعاقبه ونسله وعبيده على إنهم .

وفي نسخة أخرى : « إنه لا يكون منه جالس على كرسي داود »^(١) .
وعلى هذا فالمسيح لا تنطبق عليه بشارات الجلوس على كرسي داود كما أنه لم يحصل ذاك فتبين كذب هذا النص .

وأظنك الآن عرفت سبب حذف (يهوياقيم) من نسب المسيح في إنجيل (متى) الذي ذكرناه في أول هذا البحث وذلك لإيهام القارئ أن نص أرميا لا ينطبق عليه .

جاء في (اظهار الحق) : « ظني أن بعض القيسيين المسيحية من أهل الدين والديانة ، أسقط لفظ (يواقيم) قصداً لسلا يراد أن المسيح إذا كان من أولاد (يواقيم) لا يكون قابلاً لأن يجلس على كرسي داود فلا يكون مسيحاً »^(٢)

ومما يدل على الكذب ما جاء في (متى ٢) : « ٢٣ أتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً » .

وهذا كذب فإن الأنجيل الثلاثة لم تنقل مثل هذا النص ولم يوجد هذا النص أساس في سائر كتب الأنبياء لا صراحة ولا إشارة واليهود ينكرون ذلك أشد الإنكار^(٣) . وهو إما أن يكون مزيداً في الإنجيل أو محذوفاً من العهد القديم وكلاهما يدل على التحريف بالزيادة أو بالنقص فليختاروا أهون الشرين .

مما مضى تبين بما لا يشك فيه تحريف الأنجيل .

٢ - تصرف المترجمين حسب أهوائهم : وهذا مما زاد الطين بلة فأنهم لم يكتفوا

(١) اظهار الحق ١/١٠٢ ، الفارق ٣٢٩

(٢) اظهار الحق ١/١٤٤

(٣) الفارق ١٢

بالتحريف فأضافوا إلى ذلك سوء الترجمة والتصرف فيها بحسب أهواء المترجم من ذلك على سبيل المثال ما جاء في الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي عشر من إنجيل متى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ هكذا (فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ (فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان) فالترجم الأخير بدل لفظ (إيلياء) بهذا فأمثال هؤلاء لو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ في البشارة فلا عجب .

وفي الآية الأولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا « لما علم يسوع » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠ (لما علم الرب) فيدل المترجمان الأخيران لفظ يسوع الذي كان علم عيسى عليه السلام بالرب الذي هو من الألفاظ التعظيمة . فلو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ بالألفاظ التحقيرية لأجل عاداتهم وعنادهم فلا عجب . . .

في الآية الثانية من الباب الخامس من إنجيل يوحنا في حق البركة في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (تسمى بالعبرانية بيت صيدا) . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ (يقال لها بيت حسدا) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ (يسمى بالعبرانية بيت حصدا أي بيت الرحمة) . فالاختلاف بين صيدا وحسدا وحصدا وإن كان ثمرة من ثمرات تصحيحهم الكتب السماوية لكني أقطع النظر عنه وأقول المترجم الأخير زاد التفسير من جانب نفسه في الكلام الذي هو كلام الله في زعمه . فلو زادوا شيئاً بطريق التفسير من جانب أنفسهم في البشارات المحمدية فلا بعد منهم « (١) » .

وحسبنا هذا فإن فيه الكفاية إذ قد تبين لنا بصورة قاطعة تحريف العهد القديم بما فيه التوراة كما تبين تحريف الإنجيل وصدق قول الله فيهم (يحرفون الكلم عن مواضعه) وقوله « اقتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (البقرة ٧٥) .

بشارات الكتب السماوية (*)

ذكرنا أن عمداً ﴿عليه السلام﴾ أعلن أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن كتبهم ذكرت اسمه ونعته وأوضح ذلك إيضاحاً كاملاً .

وتُظهر لنا كتب الدلائل والكتب التي جادلت أهل الكتاب أن إسم محمد كان مذكوراً بصراحة في كتب أهل الكتاب إلى عصر متأخر .

فقد نقل ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ والماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ والفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ والقرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ وابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ وغيرهم نصوصاً كثيرة من كتب أهل الكتاب في عصرهم فيها صريح اسم (محمد) وجادلوه بها . ولكن بمرور الزمن بدأوا يخفون ذلك ويمحونه من كتبهم حتى لم يبقوا له اسماً وذلك من عادتهم كما رأينا .

قال ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ «قد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﴿عليه السلام﴾ باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها حينئذ »^(١) يتمتع أن يكون فيها بعض النسخ من صفات النبي ﴿عليه السلام﴾ ما ليس في أخرى »^(٢)

ونقل ابن تيمية نصاً من سفر دانيال في نعت النبي ﴿عليه السلام﴾ قال : « وقال دانيال النبي أيضاً : فلا يزال ملعونين (بني اسرائيل) عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني اسما عيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي وبشرها وأوحى الى ذلك النبي واعلمه الاسماء وأزينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوى ضميره . . . أسرى به إلى وأرقه من سماء إلى سماء حتى يعلو فادنيه وأسلم عليه وأوحى إليه ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة . . . فيدعو قومه إلى توحيد عبادتي ويخبرهم بما رأى . »

** النصوص التي أخذناها من الكتاب للقدس هي من الطبعة العربية في بريطانيا بمطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٩٥٢ إلا إذا اشرنا إلى نسخة أخرى .

(١) الجواب الصحيح ٢٧/٢

أيأتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته النفخة وانقضاء الدنيا .

وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرأونها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد «^(١)» .

ومن النصوص التي ورد فيها اسم الرسول صراحة في سفر أشعيا : «أنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد» فصرح باسمه عليه السلام ومكانه تصريحاً لا يحتاج التأويل «^(٢)» .

وقال دانيال عليه السلام : «ستنزع في قسيك أغراقاً وترنوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء» .

ونقل هذا النص الفخر الرازي والإمام القرافي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم «^(٣)» وقال أشعيا عليه السلام في نبوته معلناً باسمه عليه السلام : إني جعلت اسمك محمداً يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد «^(٤)» .

وقال أشعيا : «قال إبراهيم خليل الله الذي قويته ودعوته من أقاصي الأرض لا يخاف ولا يرهب . . . وأنت تبتهج وترتاح ويكون محمداً» .

«فصرح عليه السلام بإسمه . . . ولا يكاد أشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه . . . كأنه عليه ضربة لازب وحتم واجب» «^(٥)» .

د وقال أشعيا عليه السلام مخاطباً للناس عن محمد عليه السلام في نبوته : افهمي

(١) الجواب الصحيح ٤/٤ - ٥

(٢) الاجوبة الفاخرة للإمام القرافي ٢٥٥ وانظر الجواب الصحيح ٣/٣٣١ ، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٦

(٣) تفسير الرازي ٣/٣٧ ، الاجوبة الفاخرة ٢٥٩ ، الجواب الصحيح ٤/٣ ، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٨

(٤) الاجوبة الفاخرة ٢٥٤ ، الجواب الصحيح ٣/٣٢٦ ، هداية الحيارى ٤٠٣ .

(٥) الاجوبة الفاخرة ٢٥٤

أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمي وأنا في الرحم وجعل لساني كالسهم ،
الصارم وأنا في البطن وخاضتي بظل يمينه وجعلني كالسهم المختار من كنانته وحرمني
لمسة وقال لي : أنت عبدي فصرتي عدلي حق قدام الرب وأعيا لي بين يدي الرب
فصرت محمداً عبد الرب وبإلهي حولي وقوتي » (١) .

وهذا النص مذكور في سفر اشعيا الآن في الاصحاح التاسع والأربعين إلا أن
حذف منه اسم الرسول . جاء فيه : « اسمعي لي أيتها الجزائر واصفوا أيها الأمم
بعيد : الرب من البطن دعاني ، من أحشاء أمي ذكر اسمي وجعل فمي كسيف
في ظل يده خبأني وجعلني سهماً مبرهاً في كنانته أخفاني . وقال لي أنت عبد
إسرائيل الذي به أتمجد » .

وهذا شأنهم وديدهم .

وقال اشعيا : « لتفرح البادية العطشى وتبتهج البراري والفلوات ولتزهو
ستعطي بأحمد مجلس لبنان . . . وسيرون جلال الله إلهنا »

وقد نقل هذا النص من كتبهم الماوردي والقرافي وابن القيم (٢) .

وانظر هذا النص في سفر اشعيا في الاصحاح الخامس والثلاثين وقد حذف
اسم الرسول .

« وقال داود عليه السلام في مزمور له : إن ربنا عظيم محمود جداً وفي قرية
قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً » .

« فنص على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله تعالى وأخبر أن كلمته نعم
الأرض وكان ذلك » . . . (٣) .

وهذا النص مذكور في المزمور الثامن والأربعين من مزامير داود وقد حذف

(١) الاجوبة الفاخرة ٢٥٠

(٢) اعلام النبوة ٩٢ ، الاجوبة الفاخرة ٢٥٣ ، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ١٣

(٣) الاجوبة الفاخرة ٢٤٦ وانظر الجواب الصحيح ٣/ ٣١٩ ، هداية الحيارى ٣٩٩ - ٤٠٠

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي أوردها المستدلون .

والذي يبدو ان اسم الرسول ﷺ كان في بعض النسخ إلى عصر متأخر جداً « قال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه المسمى خلاصة سيف المسلمين الذي هو في لسان الارداوي الهندي في الصحيفة الثالثة والستين أن القسيس أوسكان الارمني ترجم كتاب اشعيا باللسان الارمني في سنة ألف وستائة وست وستين وطبع في سنة ١٧٣٣ وفيه في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة ونصها :

« ١١ سبحوا الله تسيحاً جديداً وأثر سلطنته على ظهره واسمه أحمد » . انتهت وهذه الترجمة موجودة عند الأرمن فانظروا فيها . انتهى كلامه^(١) .

طائفة من بشارات أهل الكتاب

البشارة الأولى

جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الحادي والعشرين :

« ١٧ ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر ؟ لا تخافي لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . ١٨ قومي إحمل الغلام وشدي يدك به لانني سأجعله أمة عظيمة ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينام رامي قوس . ٢١ وسكن في برية (فاران) . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر . » والغلام المذكور هو اسماعيل عليه السلام كما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح السادس عشر :

« ١٥ فولدت هاجر لابرام ابناً ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل وإبرام هو إبراهيم عليه السلام كما جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السابع عشر : « ٥ فلا يدعى اسمك بعد (إبرام) بل يكون اسمك (إبراهيم) »

واسماعيل عليه السلام هو أبو سيدنا محمد وأبو العرب فسمى أمة محمد أمة إسماعيل وجاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السابع عشر :

« ٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك منه ها أنا أباركه وأكثره كثيراً جداً ،

والنص العبري لهذه العبارة هو :

« **הֲנִי בִרְחֻמִּי אוֹתוֹ וּהִפְרִיתִי אוֹתוֹ וְהִרְבֵּיתִי אוֹתוֹ** **מֵאֵלֶּיךָ** » (بمادة م) **וְאוֹ** .

ومن عادة العبرانيين الاعتماد في الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة .

جهة الحساب فلو حسبنا لفظ (بماد ماد) بالجمع لكنت جم (محمد) بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ وهو من أبناء اسما عيل الموعود بالبركة والانهار في إنباته »^(١)

وجاء في (هداية الخيارى من اليهود والنصارى) لابن القيم « وفي بعض نسخ التوراة القديمة ما ترجمته بالعربية . . . وأما في اسما عيل فقد قبلت دعاك قد باركت فيه وأثمره وأكثره بماد ماد . . . وقد اختلف فيه علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون معناه : جدا جداً أي كثيراً كثيراً . . . وقالت طائفة أخرى بل هي صريح اسم محمد قالوا ويدل عليه أن الفاظ العبرانية قريبة من الفاظ العربية فهي أقرب اللغات إلى العربية فإنهم يقولون لاسما عيل شعا عيل ولموسى موسى وقدسك قدسكخاوتأمل قوله في التوراة : « نأبي أقيم لاهيم مقارب آخهم كاموخاء الاؤه يشما عون » وإن معناه : نبياً لهم لهم من وسط إخوانهم مثلك له يسمعون ، ونظائر ذلك أكثر من أن يذكر فإذا أخذت لفظ (مؤدمؤد) وجدها أقرب شيء إلى لفظ (محمد) وإذا أردت تحقيق ذلك فلابق بين الفاظ العبرانية والعربية . . . ويدل على ذلك أداة الباء في قوله (بمؤد) ولا يقال عظمه بجداً جداً بخلاف أعظمه بمحمد »^(٢)

وقال : « وقد قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم أن (مثد مثد) هو محمد أو بكسر الميم والهمزة وبعضهم يفتح الميم ويدنيها من الضمة .

قال ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد »^(٣) .

والإمام ابن القيم - فيما أرى - مصيب في أن معنى (بماد ماد) (بمحمد) أي وأثمره وأكثره بمحمد (فإن الباء تمنع ما ذكره المترجمون فإنه لا يقال : عظمه بجداً ، وإنما يقال : عظمه جداً جداً بخلاف : أعظمه بمحمد .

و (ماد ماد) أقرب شيء إلى اسم (محمد) .

المص الا نبيا ٢٩٣

هداية الخيارى ٣٧٨ - ٣٧٩ وانظر الجواب النسخ ٨٥

هداية الخيارى بهامش ذيل الفارق ص ٥

البشارة الثانية

جاء في سفر (التثنية) في الإصحاح الثامن عشر :

١٨ « اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلام
أوصيه به . ١٩ ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي
اطالبه ٢٠ وأما النبي الذي يطفئ فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه ان يتكلم
الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي . ٢١ وإن قلت في قلبك
نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدد
يصرفه الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف من

في هذا النص امارات توضح هذا النبي المبشر به فقد جاء فيه :

١ - قوله (اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم) أي ليس من بني إسرائيل لانه لو كان
بني إسرائيل لقال (منهم) لا من اخوتهم كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمن
بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) .

واخوة بني اسرائيل هم العرب لأن بني اسرائيل هم اولاد إسحاق بن إبراهيم
والعرب اولاد اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام . فهو قال : من وسط اخوتهم
أبناء اسماعيل .

ثم قوله (من وسط اخوتهم) ينطبق على الرسول لانه من اوسط العرب
احسنهم نسباً كما قال المغيرة بن شعبه للمقوقس حين سأله : كيف نسبهم ؟
فقال : هو اوسطهم نسباً^(١)

٢ - قوله (مثلك) أي صاحب شريعة مثل موسى ولم يقيم في بني إسرائيل

(١) الجواب الصحيح ١/ ٩٩

موسى كما جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الرابع والثلاثين : ١٠ - ولم يقم بعد
ذلك من بني اسرائيل مثل موسى .

٣ - قوله (أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) أي يكون أمياً يقرأ
لقاب الله قراءة في فمه لا من الصحف، ولا ينزل عليه الألواح كما أنزل التوراة على
موسى فانها نزلت مكتوبة في الألواح كما جاء في (التوراة) (سفر الخروج) في
لاصحاح الحادي والثلاثين :

١٨ - ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحين حجري
كتوبين بأصبع الله .

وكما جاء في القرآن : «وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل
شيء» (الأعراف ١٤٥) .

وهذا النص مصداق قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه
تربوا عندهم في التوراة والانجيل) (الأعراف ١٥٧) .

٤ - قوله (ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا
إليه) . ومعنى (أطالبه) : أنتقم منه . وقد ورد في ترجمة اخرى (أنا أنتقم منه) وهو
ذلك في الترجمات القديمة (انظر الأجوبة الفاخرة ص ٢٧٣) .

وهذه علامة من علامات صدق الرسول محمد فقد انتقم الله من الذين حاربوا
نول الله ولم يسمعوا لكلام الله الذي تكلم به من المشركين ومن اليهود والنصارى
حققت هذه النبوة .

٥ - قوله (وأما النبي الذي يظنى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو
ييتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبي) .

ومعنى (فيموت ذلك النبي) يقتل وإلا فالموت لا مفر منه وهو النص الأصلي
بإشارة : «فأما النبي الذي يجترأ بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم أمره بأنه يقول أم

باسم آلهة أخرى فليقتله^(١)

وقد بدلها النصارى الى (يموت) لسبب سنذكره .

وهذه آية من آيات صدق محمد فان محمداً لم يقتل على كثرة المحاولات وهلم
الفقرة مصداق قول الله تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه بالية) (٢)
لقطعنا منه الوتين) .

جاء في (إظهار الحق) : «أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله
ما لم يأمره يقتل فلولم يكن محمد (ﷺ) نبيا حقا لكان يقتل . وقد قال الله في القرآن
المجيد أيضا (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)
وما قتل بل قال الله في حقه (والله يعصمك من الناس) وأوفى بوعده»^(٣) .

ثم ذكر أن علامة النبي الكاذب ان يذكر أمور فلا تحدث ولا تتحقق ورسول الله
كما اسلفنا - كان يخبر بالأمور فتقع كما هي كما قال حسان:

وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ويزعم أحبار اليهود الآن أن هذه البشارة في يوشع بن نون فتى موسى وهذا لا
لأمور :

١ - يوشع من بني اسرائيل لا من اخوتهم .

٢ - ليس يوشع ذا شريعة مثل موسى بل هو متبع لموسى .

٣ - إن قوله «(جعل كلامي في فمه)» إشارة أن ذلك المبشر به نبي ينزل عليه لفظ
وإلى كونه أمياً حافظاً للكلام واعياً له في صدره مضابطاً له في قلبه لا بواسطة لوج
وهذا لا يصدق على يوشع لانقضاء كلا الأمرين فيه عليه السلام^(٤) .

٤ - جاء في (سفر التثنية) أنه لم يقم نبي من بني اسرائيل مثل موسى .

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٣٩ ، الجواب الفصح ٧٥

(٢) إظهار الحق ٢/ ٢٤٤ - ٢٤٥

(٣) الجواب الفصح ٧٦

٥ - وقع في هذه البشارة لفظ (سوف أقيم) كما جاء في (سفر الاعمال) الباب السابع
الفقرة ٣٧ ويوشع عليه السلام كان حاضراً عند موسى داخلاً في بني اسرائيل نبياً في
هذا الوقت (١).

نلا ينطبق عليه هذا النص .

ويزعم النصراني ان هذه بشارة بعيسى عليه السلام وهو مردود بأمور منها :

١ - إن عيسى من بني اسرائيل لا من اخوتهم .

٢ - يزعم النصراني أن عيسى إله وليس نبياً وهذه البشارة تخبر عن ظهور نبي ،
كما جاء فيها (أقيم لهم نبياً) فلا تنطبق على عيسى . ثم ان موسى وغيره على حد زعم
النصارى انما هم عباد للمسيح فكيف يصح ان يكون (مثل موسى) ؟ والبشارة تقول
(أقيم لهم نبياً مثلك) .

٣ - ثم أن هذا لا ينطبق على عيسى لأن عيسى قتل وصلب كما يزعم النصراني (٢) .
بل لو جارينا النصراني لوجدنا ان عيسى - برآه الله - إنما قتل لأنه اخبر بأمور كاذبة
وهذه علامة النبي الكاذب كما جاء في هذا النص .

فقد اخبر عيسى - كما ذكرنا سابقاً - إنه سيبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال في باطن
الأرض ولكنه لم يبق الا ليلة السبت ويومه وليلة الأحد كما تذكر الأناجيل .

ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى في الاصحاح التاسع :

١٨٥ وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رثيس قد جاء فسجد له قائلاً ان ابنتي الآن ماتت
لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا . ١٩ فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه . . . ٢٣ ولما
جاء يسوع إلى بيت الرثيس ونظر المزمزين والجميع يضحون ٢٤ قال لهم : تنحوا
فان الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه . ٢٥ فلما أخرج الجمع دخل وأمسك
بيدها فقامت الصبية . ٢٦ فخرج ذلك الخير إلى تلك الأرض كلها . x

وانظر مرقس ٥ : ٣٥ - ولوقا ٨ : ٤٩ -

(١) انظر إظهار الحق ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٥

(٢) انظر إظهار الحق ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٥

فإن الصبية كانت قد ماتت وقال : هي لم تمت لكنها نائمة، وهذا كذب .

ولما كان عيسى اخبر بأمور لم تحدث قتل تطبيقا للبشارة . أفيرغب النصارى في ذلك؟ ولذلك بدلوا في كثير من طبعاتهم عبارة (فيقتل) إلى (فيموت) حتى لا تنطبق على عيسى .

وقد تقول إذا كان عيسى كاذبا فكيف احدث مثل هذه المعجزة؟

فنقول : إن الإنجيل أجاب عن مثل هذا فقد جاء في إنجيل متى ٢٤ : ٢٤ لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لهم امكن المختارين أيضا .

وقد يقال لعل القصد بقول البشارة (فيموت ذلك النبي) إن تعاليمه تموت ولا تنتشر دعوته، فنقول إن دعوة محمد (ﷺ) طبقت الأرض وعمت العالم كما قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) فكان هو المقصود .

البشارة الثالثة

جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الثالث والثلاثين :

« جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألا من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. »

وفي طبعة رجارد واطس في لندن سنة ١٨٢٢ م :

« جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطنهار في يمينه سنة ناره. »

وبين النصين بعض اختلاف. ففي طبعة لندن ١٩٥٢ وطبعة بيروت (واشرق لهم) وفي طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ وطبعة رجارد واطس (واشرق لنا).

وفي طبعة لندن سنة ١٨٢٢ عبارة (ومعه ألوف الأطنهار) وكذلك في طبعة لندن سنة ١٨٤٨. وأسقط هذه العبارة بعض المترجمين لغرض في نفوسهم.

وهذا النص ينطبق انطباقا تاما على سيدنا محمد فقد ذكرت هذه البشارة مواطن الرسالات الثلاث فقد ذكرت (سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى و(ساعير) في أرض الخليل وهو موطن عيسى و(فاران) وهي مكة كما هو معلوم من كتب اللغة وكتب أهل الكتاب (انظر تاج العروس شرح القاموس مادة : فرن).

فذكر النص أن الرب استعلن من جبل فاران أي من جبل مكة وهذا ما حصل فقد نزل الوحي على سيدنا محمد في أعلى جبال فاران وهو جبل حراء الذي فيه غار حراء.

ثم قال (ومعه ألوف الأطنهار) وهذا ينطبق على محمد وصحبه فقد كانوا ألوف الأطنهار كما قال تعالى في وصف أصحاب محمد (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (التوبة ١٠٨).

وأسقط بعض المترجمين هذه العبارة ليطمسوا شيئا من نور البشارة ولكن هيهات.

جاء في (الأجوبة الفاخرة) : «سينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى . وساعير هو جبل الخليل بالشام وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه ويناجي ربه ، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد عليه السلام يتخنت فيه ويتعبد . . .

وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب»^(١) .

وقال ابن القيم : «وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى الناصرة . . . وجبال فاران هي جبال مكة قال [محمد بن قتيبة] : ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة فإن ادعوا أنها غير مكة . . . قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران . . .

قال شيخ الاسلام : وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة حراء الذي ليس حول مكة أعلى منه وفيه ابتدئ رسول الله ﷺ بنزول الوحي عليه وحوله جبال كثيرة وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران ولا يمكن أحداً أن يدعى أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس المراد باستئلانه من جبال فاران إلا إرسال عمه . . . ﴿٢﴾»

وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن اسماعيل إنما ربي بمكة وهو وأبوه إبراهيم بها البيت فعلم قطعاً أن فاران هي أرض مكة»^(٣) .

وقال الماوردي : «واشراقه من ساعير إنزاله الانجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة واستئلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ . وفاران هي جبال مكة في قول الجميع»^(٤) .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٣٨ - ٢٣٩

(٢) هداية الحيارى ٣٨٩ - ٣٩٢ وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٣/ ٣١٠ وما بعدها، الفصل ١، (١١١) لابن حزم ٨٨/ ١

(٣) أعلام النبوة ٩١ ، وانظر الجواب الصحيح ٦٦ ، وانظر ص ٧٧ ، تفسير الرازي ٣/ ٣٧

وهذا ما ذكرته التوراة أيضا فقد جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الحادي والعشرين عن اسماعيل عليه السلام - كما ذكرنا في البشارة الأولى - : ٢١٥ وسكن في بركة فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر ، ومعلوم أن اسماعيل سكن مكة بالاجماع .

والنص في التوراة السامرية التي صدرت في سنة ١٨٥١ أن اسماعيل «سكن بركة فاران بالحجاز وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»^(١) .

وهذا لا يحتاج إلى إيضاح فهو مجمع عليه وقد بقي اسم فاران يطلق على الجبال المحيطة بمكة إلى القرن الثامن الهجري كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قال : «وذلك يسمى فاران إلى هذا اليوم، وربما كان يطلق إلى فترة طويلة بعد هذا القرن .

وهذا نص في موطن الرسالة ، ويشبه هذا النص قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) فقد ذكر (التين والزيتون) وهما موطن عيسى وكثيراً ما تردد في الانجيل اسم جبل الزيتون ، وذكر طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وذكر مكة فقال (وهذا البلد الأمين) فجمع مواطن الرسالات الثلاث كما في نص التوراة^(٢) .

(١) مطلع النور ١٨

(٢) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٠ وما بعدها .

البشارة الرابعة

جاء في (سفر حيقوق) في الإصحاح الثالث :
والله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . جلاله غطى السماوات والارض
امتلات من تسييحه وكان لمعان كالنور . . . قدامه ذهب الوباء وعند رجله خرجت
الحصى . وقف وقاس الأرض . نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وانخفضت أكام
القدم . مسالك الأزل له .

وهذا النص فيه شيء من التغيير فقد ذكرت المصادر القديمة هذا النص هكذا :

«إن الله تعالى جاء من التيمن والقدوس من جبل فاران . لقد أضاءت السماء من
بهاء محمد وامتلات الأرض من حمده . . . قام فمسح على الأرض فتضعفت لها
الجبال القديمة . . . يا محمد ادنولقد رأيتك الجبال فارناعت . . .» (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : «وقد ذكر فيها بحجاء نور الله من التيمن وهي ناحية
مكة والحجاز فإن انبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ومحمد (ﷺ) حاضراً
من ناحية اليمن» (٢) .

وفي أعلام النبوة للمهاوردي والتفسير الكبير للفخر الرازي هكذا : «جاء الله من
طور سيناء وانكسفت لبهاء محمد وانخفضت من شعاع المحمود» (٣) .
فقد ذكر في هذه البشارة اسمه وبلده . ويقرأ اليهود والنصارى هذه النص
ويقولون إن صاحبها لم يظهر بعد .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٥٧ وانظر اجواب الصحيح ٣/٣١٣ ، ٣٣٠ ، ومداية الخبارى ٣٩٣ ، ص ١١٠
بهاشم ذيل الفارق .

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣٣٩

(٣) أعلام النبوة للمهاوردي ٩٣ ، تفسير الرازي ٣/٣٧

البشارة الخامسة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الحادي والعشرين :

١٣» وحى من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قواقل الددانيين ١٤» هاتوا ماء للملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه ١٥» فانهم من امام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب .

١٦» فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار وبقيّة عدد قسيّ إبطال بني قي دار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم . وفي طبعة الموصل (وحى على العرب) .

هذا النص فيه دلالة صريحة على نبوة محمد فقد نزل الوحي على محمد في الوعر في بلاد العرب في غار حراء وهو جبل وعر ولم ينزل في السهل .

وقد ذكرت البشارة هجرة محمد ﷺ فقالت : (هاتوا ماء للملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه) (وتيماء) من أعمال المدينة .

وقوله (فانهم من امام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب) ينطبق على محمد ﷺ فقد اجتمع عليه رجال من فريش لقتله ﷺ فأنجاه الله منهم . وقد حاربته قريش حربا شديدة لا هراة فيها مدة ثلاثة عشر عاما .

ثم أشار هذا النص إلى وقعة بدر التي وقعت بعد سنة واحدة من الهجرة وذكر انتصار الرسول فيها قال النص : « فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قي دار وبقيّة عدد قسيّ إبطال بني قي دار تقل » .

وهذا الذي حصل فانه بعد سنة كسنة الأجير انتصر الرسول وجبابرة قيدار .
هلكوا .

وفي طبعة لندن سنة ١٨٤٨م هكذا : «في مدة سنة كسنة الأجير تفنى جبابرة
قيدار» .

وفي طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ وطبعة لندن سنة ١٨٢٢ هكذا : «وبقية عدة
أصحاب القسي الجبابرة من بني قيدار يتقللون» .

وبنو قيدار هم العرب - كما هو معلوم - فان قيدار هو ابن اسماعيل جاء في (سفر
التكوين) في الاصحاح الخامس والعشرين :

« ١٢ - وهذه مواليد اسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة
لابراهيم .

١٣ - وهذه أسماء بني اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر
اسماعيل وقيدار . . . »

جاء في (هداية الحيارى) : «قيدار جد النبي ﷺ» وهو أخو نبايوت ،
اسماعيل» (١) .

وجاء في (الفارق) ان هذا النص «اشارة الى هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة
المشرقة الى المدينة المنورة واستقبالهم له وأضافتهم إياه وقيامهم بخدمته وخص أهالي
تيماء لأنهم صالحوا النبي ﷺ» وتيماء هي في وادي القرى من أعمال المدينة كما ذكره
ياقوت» (٢) .

(١) هداية الحيارى ٤٠٢

(٢) الفارق بين المخلوق والمخلوق ٣٩٨

البشارة السادسة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الثاني والأربعين :

١١ « لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. »



وهذا النص واضح في التبشير بمحمد فقد أشار إلى بلاد العرب وهي الديار التي سكنها قيدار وطلب منها ان تبتهج. ثم ذكر المدينة المنورة فقال : « لتترنم سكان سالع » وسالع هو « سلع » وهو جبل في باب المدينة كما هو اسمه إلى الآن وهو سالع بالعبرانية .

جاء في (الفارق) : « فان (سالع) هو (سلع) جبل في باب المدينة كما في مراصد الأطلاع لياقوت والقاموس وغيرها من كتب الجغرافيا واللغة . وأما (سالع) بالالف فلم يذكره والظاهر ان الألف حصلت من اشباع الفتحة في اللغة العبرانية (١) .

وهذا النص صريح في التبشير به ﷺ . فأنت ترى ان الكتب السماوية ذكرت اسمه ونشأته ومكان نزول الوحي وهجرته وخص المدينة بالذكر لأنها دار هجرته ومستقره، فهل هناك من دلالة أوضح من هذه؟

قال ابن سعد في الطبقات : « أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني الضحاك بن عثمان عن مخومة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة (٢) » .

فليحذروا اسمه كما شأوا ولكن أليس في النصوص الباقية ما فيه الكفاية؟

(١) الفارق ٣٩٢

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ج ١ / ١٠٤

البشارة السابعة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح التاسع :

٦ « يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجييا منه أ
لها قديراً أبا أبدياً رئيس السلام .

٧ « لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها
بالحق والبر من الآن إلى الأبد » .

في هذا النص أشارات الى محمد ﷺ من وجوه :

١ - قوله (وتكون الرياسة على كتفه) ويعني بهذا خاتم النبوة الذي على كتف عمده
ﷺ وفي النسخ القديمة (والشامة على كتفه) (١) . وهي علامة بدنية جعلها الله في
بدنه زيادة في التوضيح اضافة إلى العلامات الأخرى . جاء في (صحيحي البخاري
ومسلم) عن السائب بن يزيد قال : « ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت : يا
رسول الله إن ابن اختي وجعٌ . فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من
وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة »
وأخرج مسلم نحوه في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : « رأيت خاتماً في ظهر
رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام » .

وجاء نحوه فيه عن عبد الله بن سرجس .

قال حسان :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله ميمون يلوح ويشهد

٢ - قوله (ويدعى اسمه عجييا) أي ليس له نظير فيما عهد بنو إسرائيل
الأساء ، ثم أن اسمه عجيب في قومه وقد عجب قومه من عبد المطلب حين سماه .

(١) الأجوبة الفاشرة ٢٥٥ ، الجواب الصحيح ٣/٣٢٧

٣ - قوله (مشرقاً إلهاً قديراً) وهذا النص من تحريفات بعض الطبعات النصرانية وهو في طبعة لندن سنة ١٨٢٢ (مشاوراً الله) أي لا يقول من نفسه ولا يصدر عن هوى كما قال تعالى في محمد (وما ينطق عن الهوى) .

والغرض من هذا التحريف في بعض الطبعات هو إبعاد البشارة عن محمد ومحاولة تطبيقها على عيسى لأن عيسى بزعمهم إله ، وبقية النص تأبى ذلك .

جاء في (إنجيل لوقا) في الاصحاح الأول في بشارة الملاك لمريم :
 « ٣١ » وها أنت ستحبلين وتلدن ابناً تسمينه يسوع . ٣٢ هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون للملك نهاية » .

وقد ذكرنا هذا النص وفندنا تطبيقه على عيسى .

٤ - قوله (أباً أبدياً) أي لا تنقض طاعته ولا تنسخ شريعته إلى الأبد وهذه هي شريعة محمد .

٥ - قوله (رئيس السلام) : ورئيس السلام هو الذي يقر السلام ويدعمه وينشره ومحمد كذلك فإن دين الاسلام مشتق من لفظ السلام ونحية الاسلام هي (السلام عليكم) والمسلمون (إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ، وقال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) .

وهو الذي نشر السلام بين الناس فلم يضطهد أحداً بسبب عقيدته المخالفة للاسلام كما قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

وكان نصارى الشام وغيرهم ينعمون ويأمنون في ظل الاسلام ما لم ينعموا في ظل نصارى الروم ولذلك قالوا للمسلمين : « انتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا فعاثت الفرق المتباينة المتخالفة في ظل أمن وسلام » .

وهذا النص لا ينطبق على المسيح فإنه قال : (ما جئت لألقي سلاماً على الأرض

بل سيفام فلا يكون رئيساً للسلام .

٦ - قوله : «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته لبنيها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد» .

وهو في طبعة لندن سنة ١٨٢٢ هكذا: «ليكثر سلطانه وسلامه ليس له فناء . على كرسي داود وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل منذ الآن وإلى الأبد» .

أي تكون القدس جزءاً من مملكته وهو يقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل وكذلك فإن القدس وفلسطين أصبحت جزءاً من دار الإسلام وأقامها وعصده بالانصاف والعدل وستكون كذلك إلى الأبد . وأما ما تراه من سيطرة اليهود على سيطرة مؤقتة كسيطرة الصليبيين . وسنرى مصداق قول الرسول فيهم إن المسلم سيقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي خلوا تعال فاقتله .

البشارة الثامنة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الثاني والأربعين :

«هوذا عبيدي الذي اعضده مختاري الذي سرّرت به نفسي . وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأمم. ٢ . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يُطفىء . يُخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» .

وهذه صفات رسول الله عمده فقد وضع الله روحه عليه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) .

وكان ﴿ﷺ﴾ لا يصيح ولا يرفع صوته فيما كان ﴿ﷺ﴾ صخاباً ولا فاحشاً ولا يسمع في الشارع صوته وقد ذم القرآن الذين يرفعون أصواتهم فقال : «واعضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» .

وكان ﴿ﷺ﴾ متواضعاً لا يقصف قصبة مرضوضة وقد شبه الرسول المؤمن بالنحلة التي إذا وقعت على عود نخر لم تكسره ، قال ﴿ﷺ﴾ : «مثل المؤمن مثل النحلة إذا أكلت طيباً وإذا وضعت وضعت طيباً وإذا وقعت على عود نخر لم تكسره» .

وإنه ﴿ﷺ﴾ جاهد لم يكل ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض . ثم قال : (وتنتظر الجزائر شريعته) أي ان دعوته للعالم أجمع ليست خاصة بالعرب ، وقد حصل ذاك فقد نشر المسلمون شريعة الاسلام في العالم أجمع .

وإكمال هذا النص من طبعة لندن سنة ١٨٤٨ : «أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم . . . » فإن الله تعهد بحفظه بقوله «فامسك بيدك وأحفظك» وهو مثل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) (١) وكان كما وعد .

(١) ذيل الفارق ٧٧-٧٩

وأما قوله (وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم) فهو كقوله تعالى : «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً»

وفي النسخ القديمة (مشفح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبه الضعيفة).

ومعنى (مشفح) محمد. قال أبو محمد بن قتيبة : «مشفح محمد بغير شك واعتبار إنهم يقولون شفحاً لاها إذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله وإذا كان الحمد شفحاً فمشفح محمد بغير شك»^(١).

وعند النصارى إن هذا النص في المسيح كما جاء في إنجيل متى في الاصحاح الثاني عشر: ٢٤

ولما كان النص في (اشعيا) كما ذكرنا (هوذا عبدي) والمسيح في عقيدتهم إله هو الكاتب إلى (هوذا فتاي) ليسهل القول بأنه ابن الله وكثلاً يتناقض.

والعجيب أنه في الطبعة الواحدة تجد هذين النصين ففي (اشعيا) تجده (هوذا عبدي) وفي (متى) تجده (هوذا فتاي) ويحيلك إلى اشعيا. وهو في غاية العبث.

ثم كيف ينطبق هذا على المسيح الذي أهرق دمه وقُتل وبُصق عليه - كما يقولون - بل أصحابه أكثر من ثلاثة قرون مطاردين وهذا النص يقول «يخرج الحق لا يكفل ويتكسر حتى يضع الحق في الأرض»؟

إنه تمحل عجيب في تطبيق النص وذو اللب يقرأ ويفهم.

(١) هداية الحبارى بهامش ذيل الفارق ص ٥

البشارة التاسعة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الحادي والعشرين من طبعة لندن سنة ١٨٢٢ :
« ٧ قال لي الرب اذهب وأقيم الديدبان ليخبر بما يرى . فأبصر مركب فارسين
أحدهما راكب حمار والآخر راكب جمل وتراقب حريصا تراقبا شديدا . . . وإذا
يرجل راكب زواجا من الفرسان فأجاب وقال : سقطت قد سقطت بابل وجميع أصنام
آلهتها إنكسرت ملقاة إلى الأرض » .

والنصر في النسخ القديمة هكذا : « قيل لي قم ناظراً فانظر ماذا ترى ؟ فقلت : أرى
راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه سقط بابل
وأصنامها للمنحر »^(١) .

قال ابن تيمية : « قالوا فراكب الحمار هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد ﷺ
وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار . وبمحمد ﷺ سقطت
بابل »^(٢) .

وقال القرافي : « فراكب الحمار المسيح عليه السلام وراكب الجمل محمد عليه
السلام . . . ومحمد عليه السلام اسقط أصنام بابل وغيرها »^(٣)

وجاء في (الفارق) : « والمراد براكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد عليهما
أفضل الصلاة والسلام إذ لم يسمع عن عيسى إنه ركب الإبل بل الجحش حين دخل
إلى اورشليم »^(٤) .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨ ، الجواب الصحيح ٣/٣٢٣ ، هداية الجولى ٤٠٠

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣٢٣

(٣) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨

(٤) الفارق ٣٩٧

البشارة العاشرة

قال (اشعيا) في الاصحاح الرابع والخمسين :

«ترغمي أيتها العاقرة التي لم تلد . اشيدي بالترنم أيتها التي لم تمحض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب . أوسع مكان خيمتك ولتُبسط شقق مساكنك . لا تمسكي أطيلي أطنابك وشددي أوتارك لأنك تمتهدين الى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك ابنا ويعمر مدنا خربة . لا تخافي لأنك لا تخزين . ولا تخجلي لأنك لا تستحين . فإنك تسنين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد لأن بعلك هو صاحبك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل اله كل الأرض يدعى . . . لحظرة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب . . . فإن الجبال تزول والأكمام تنزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال واهمك الرب .
أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هاأنذا أبني بالأثمد حجارتك وبالباقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً . بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدينونك . . . من اجتمع عليك فاليك يسقط . . . كل اله صُورَت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب» .

وواضح أنه يعني في هذا النص مكة المكرمة وذلك من وجوه :

١ - قوله (ترغمي أيتها العاقرة التي لم تلد) فهو يعني بالعاقرة مكة لأنها لم تلد نبياً .
محمد . فمحمد أول نبي ظهر فيها قال تعالى «لنتذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» وقال «لنتذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون» .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يعني بالعاقرة مكة لأنها لم تلد قبل محمد النبي ﷺ» نيبا ولا يجوز أن يريد بالعاقرة بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي وقد ولد أنبياء كثيرا» (١).

٢ - قوله (ويرث نسلك أما ويعمر مدناً خربة) وهم العرب الذين خرجوا برسالة الاسلام وورثوا الامم وعمرُوا مدناً خربة كما قال.

٣ - قوله (ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى) أي يدعى رب العالمين لا إله شعب معين كما في التوراة إن الله إله إسرائيل وربهم. قال تعالى (الحمد لله رب العالمين).

٤ - قوله (فان الجبال تزول والأكام تنزعزع أما احساني فلا يزول عنك) ذلك لأن رسالة الإسلام خالدة وهي خاتمة الشرائع وتعظيم البيت من شعائره وهو كذلك إلى قيام الساعة.

٥ - قوله (هأنذا ابني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسك...) ولم توجد هذه الصفات الملكة (ولأن المهدي من بني العباس والملوك قبله وبعد تأنفوا في بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ واللآلئ واللازورد وحملت تبجان الملوك وذخائرهم فحليت بها الكعبة حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصرة (٢).

٦ - قوله (وسلام ينيلك كثيراً) وذلك لأن تحية المسلمين السلام فهم يحيي بعضهم بعضاً بقوله (السلام عليكم).

٧ - قوله (بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنومنك) وذلك لأنه حرم أمن قال تعالى «ولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم» وقال «ومن ملأه كان آمناً» وذلك ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) فإذا رأى الرجل قاتل أبيه في الحرم لا يتعرض له.

(١) الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٧ وانظر هداية الحيارى ٤٠٢

(٢) الأجوبة الفارقة ٢٤٩

وقوله (بعيدة عن الظلم) مصداق قوله تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذره ٠٠ عذاب اليم) .

٨ - قوله (من اجتمع عليك فإليك يسقط) . . كل آلة صوّرت ضدك لا تنجح وأدلى لسان يقوم عليك في القضاء تحكيمين عليه) وهذا حق فمن أراد بيته يكيد أذله الله وأهلكه كما فعل ربنا بأصحاب القيل .

أفهنالك أوضح من هذا التص على قدسية مكة وتشريفها وتشريف أهلها حملة رسااه الإسلام؟

البشارة الحادية عشرة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الستين :

«قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامسُ الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك.

إرفعي عينيك حواليك وانظري . قد اجتمعوا كلهم . جاؤوا اليك . يأتيك بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتبررين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم ، تغطيكَ كثرة الجبال بُكران مديان وعيفة كلها تأتي من سبأ تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نيبوت تخدمك . تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي

وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك . . . وتفتح ابوابك دائماً . نهراً وليلاً لا تغلق . . . وشعبك كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض . غصن عزّي عمل يدي لا تمجد .»

وهذا النص وصف لمكة وبيت الله الحرام ووصف للحج فإن في هذا النص أموراً :

١ - قوله : «قومي استنيري . . . لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض . . .» هذا وصف لحالة اهل الأرض عند اشراق نور الإسلام فقد كانوا في ظلمة حالكة كما قال لعلى «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس» .

٢ - قوله (تسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك) وهذا حق فقد سارت الأمم ولا تزال تسير في نور الإسلام وإشراقه .

٣ - قوله (قد اجتمعوا كلهم جازوا إليك ، بأنيك بنوك من بعيد) هذا وصفه
لشاهد الحج فإن المسلمين يجتمعون ويأتونها من بعيد .
وفي النسخ القديمة (وتحج إليك عساكر الأمم)^(١) وهو كذلك .

٤ - قوله (تغطي كثرة الجمال . . .) وهذا واضح في وصف قدوم وفد الحجاج
فإنهم كانوا يجيئون على الجمال حتى تغطي مكة وكذلك عند النحر .

٥ - قوله (وتبشر بتسابيح الرب) وهذا وصف للتلبية عند الحج فإن الحاج يلبي
من مكان الاحرام رافعا صوته بقوله « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ،
إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

٦ - قوله (كل غنم قidar تجتمع إليك وكباش نبايوت تصعد مقبولة على
مذبحي) وهذا وصف للذبح في يوم النحر . وقيدار ونبايوت من اولاد اسماعيل لما
ذكرنا .

٧ - قوله (وبنو الغريب يبنون اسوارك وملوكهم يخدمونك) وهذا شأن كل مسلم .
وملوك المسلمين وأمرؤهم في بقاع الدنيا يخدمون الكعبة المعظمة .

٨ - قوله (وتفتح ابوابك دائما . نهاراً وليلاً لا تغلق) وهذا وصف للكعبة المعظمة
فان ابوابها مفتوحة دائما لا تغلق لا في ليل ولا في نهار ولا ينقطع عنها الطواف في
ساعة من ليل أو نهار .

٩ - قوله (وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض) وهم كذلك لأنهم حاملة
الأمم ونبههم خاتم النبيين فهم يرثون الأرض كما قال تعالى في وصف هذه الأمة « وأما
كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » فلا تأتي بعدهم أمة
ولا دين حتى تقوم الساعة .

ولا ينطبق هذا الوصف على مكان آخر غير الكعبة المعظمة زادها الله تعالى
وتشريفها .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨

البشارة الثانية عشرة

جاء في الزمور المائة والتاسع والأربعين من مزامير داود :

« ليتتهج الأتقياء بمجد . ليرغوا على مضاجعهم . تنويهاً الله في أقواهم وسيف
ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب لأسرملوكهم بقيود
وشرفاتهم بقبول من حديد ليجروا بهم الحكم المكتوب » .

وهذا النص في النسخ القديمة هكذا :

« ليفرح الخلاق ممن اصطفى الله تعالى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين
منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة بأيديهم
سيوف ذوات شفرتين ليتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه »^(١) . وهذا النص في
وصف الأمة المحمدية من وجوه :

١ - قوله (يسبحونه على مضاجعهم) يشير إلى الذين وصفهم الله تعالى بقوله
(الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وهم المسلمون .

٢ - قوله (يكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة) يشير إلى رفع الأذان بالتكبير .

٣ - قوله (سيف ذو حدين في يدهم) وهذا وصف للسيوف العربية ذات الحدين .

٤ - قوله (ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب لأسرملوكهم بقيود
وشرفاتهم بقبول من حديد) وهذا ما حصل للأمة الإسلامية وجيش الإسلام فقد
أسروا الملوك وكتبوا شرفاءهم بالحديد كالهزماني وغيره .

قال الإمام القرافي : « يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة ورفع أصواتهم
بالأذانات فإنه لم يكن لغيرها من الأمم والسيوف العربية ذوات شفرتين والعجمة لها
شفرة واحدة وانتقم الله تعالى بهم من الأمم »^(٢) .

(١) الأجرية الفاتحة ٢٤٦ ، الجواب الصحيح ٣/٣١٤ ، هداية الجارى ١٨/٣٥٩

(٢) الأجرية الفاتحة ٢٤٦

البشارة الثالثة عشرة

جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الثاني والثلاثين :

« ٢٩ هم أغاروني بما ليس إلهاً . أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً .
بأمة غبية أغيظهم » .

وفي طبعة أخرى هكذا :

« هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب
وشعب جاهل أغضبهم » .

والمراد بالشعب الجاهل العرب^(١) وقد كان يسمى عصر ما قبل الإسلام الجاهلية
قال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسلاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢) .

ونحو هذا النص ما جاء في (اشعيا) في الاصحاح الخامس والستين : « أصغيت
إلى الذين لم يسألوا . ووجدت من الذين لم يطلبوني قلت ها أنذا لأمة لم تسم
باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد غير صالح وراء أفكاره » .

وفي طبعة أخرى هكذا :

« طلبني الذين لم يسألوني قبل ووجدني الذين لم يطلبوني قلت : ها أنذا إلى
الأمة الذين لم يدعوا باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذي
يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم . . . » .

« فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني العرب لأنهم كانوا غير واقعين على ذاتهم » .

(١) إظهار الحز ٢/ ٢٤٩

الله وصفاته وشرائعه فما كانوا سائلين عن الله وطالبيين له كما قال تعالى في سورة آل عمران : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) « (١) » .

(١) إظهار الحق ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧

البشارة الرابعة عشرة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الحادي والاربعين :

« ٢ من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه . دفع أمامه أنماً وعلى ملوك سلطه جعلهم كالتراب بسيفه وكالغش المنذري بقوسه . ٣ مرسلماً في طريق لم يسلكه برجليه . ٤ من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء . أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو » .

وهذا وصف لسيدنا محمد الذي أنهضه الله من المشرق ولاقاه النصر عند رجليه ووصف لأمة العظيمة .

ونحو هذا الوصف ما جاء في (أرميا) في الاصحاح السادس :

« هكذا قال الرب . هوذا شعب قادم من أرض الشمال وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض تمسك القوس والرمح . هي قاسية لا ترحم ، صوتها كالبحر يهيم وعلى خيل تركب مصطفة كائنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون . سمعنا خبرها ارتجت أيدينا . أمسكنا ضيق ووجع كالمأخض .

لا تخرجوا إلى الحقل وفي الطريق لا تمشوا لأن سيف العدو خوف من كل جهة » .

فالمراد بالأمة العظيمة التي تقوم من أقاصي الأرض هم العرب أهل الشام والرمح .

وقوله (قاسية لا ترحم) يصدقه قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم)

وقوله (تركب الخيل) واضح .

وقوله (مصطفة كائنسان) يصدقه قوله تعالى (يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم رجال

مرصوص) .

وقوله (ارتخت أيدينا . أمسكتنا ضيق ووجع كاللأخض) يصدقه قوله ﴿لَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ إِذَا ذُلَّ عَلَيْهِ وَجَعُ الْمَوَاسِقِ كَوِجَعٍ﴾
(نصرت بالرعب مسيرة شهر) .

البشارة الخامسة عشرة

« قال حزقيال عليه السلام في نبوته يتهدد اليهود بنا : إن الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبياً وينزل عليهم كتاباً ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحل ويخرج رجال بني قيدر في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض مسلحون فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار » (١) .

ونقله في الجواب الصحيح عن دانيال . وجاء فيه : « وقال : تنزل الملائكة على خيل بيض . وهذا مما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض لما نزلت يوم بدر لنصر النبي ﷺ وأمته ونزلت يوم الأحزاب وأحاطت بين قريظة » (٢) .

قال تعالى في وقعة بدر : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالرفد الملائكة مردفين » (الأنفال ٩)

وقال في الأحزاب : « فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم نروها » . - ١ -
(صحيح البخاري ومسلم) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عليها ثياب بيض كأشد القتال رأيتها قبل ولا بعد » .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٥٨ ، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٦

(٢) الجواب الصحيح ٣ / ٣٣١ - ٣٣٢

البشارة السادسة عشرة

جاء في (سفر دانيال) في الاصحاح الثاني :

« ٣١ أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل . ٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وفراعه من فضة . بطنه وفخذه من نحاس . ٣٣ ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . ٣٤ كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين ف ضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما . ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافه البيرد في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها .

٣٦ هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدام الملك .

٣٧ أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً . ٣٨ وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دَفَعَهَا لِيَدِكَ وسلطك عليها جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب . ٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتسلط على كل الأرض . ٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء أوكالـحـديـد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء . ٤١ وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين . ٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض فصها . . . ٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملوكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتغنى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد . . . »

جاء في (إظهار الحق) : « فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بختنصر ، وبالمملكة

الثانية سلطنة المادئين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بختنصر كما هو مصرح ١ .
 الباب الخامس من الكتاب المذكور وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة إلى سلطنة
 الكلدانيين . والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكينانيين لأن قورش ملك إيران الذي هو
 بزعم القيسيين كيخسرو تسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين
 سنة ، ولما كان الكينانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع
 الأرض . والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلقوس الرومي الذي تسلط
 على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلاثمائة وثلاثين سنة فهذا السلطان كان في الدار
 بمنزلة الحديد ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك فلهذا
 هذه السلطنة ضعيفة إلى ظهور الساسانيين ثم صارت قوية بعد ظهورهم فكانت
 ضعيفة تارة وقوية تارة . وتولد في عهد نوشيروان (محمد بن عبد الله)
 وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقاً وغرباً
 وعلى جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقتين بها فهذه
 السلطنة الأبدية التي لا تنقضي وملكها لا يعطى لشعب آخر (١) .

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩

البشارة السابعة عشرة

جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح التاسع والأربعين :

« ١٠ فلا يزول القضيبي من يهوذا والمدبر من فخذ حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم » .

وهذا النص هو من النسخ العربية المطبوعة سنة ١٧٢٢ وسنة ١٧٧٣ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٤ .

وفي ترجمة عربية سنة ١٨١١ (وإليه تجتمع الشعوب)^(١) .

فالمراد بالقضيبي الحكم والسلطة ، وقد زال القضيبي من آل يهوذا قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة^(٢) .

والمراد بالمدبر من فخذ عيسى لأنه من فخذ يهوذا فإنه بعد زوال حكم آل يهوذا لم يجيء صاحب شريعة إلا عيسى . جاء في إنجيل متى في الإصحاح الثاني : « ٦ وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعب اسرائيل » .

وهذا الكلام في حق عيسى فهو المدبر .

وفي هذا النص دلالة على عيسى سيدنا محمد بعد زوال السلطة والحكم من آل يهوذا وبعد زوال المدبر وهو عيسى .

قال فيه : « حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم » وفي طبعة أخرى (وإليه تجتمع الشعوب) وهذه صفات سيدنا محمد الذي له الكل وهو خاتم النبيين

(١) إظهار الحق ٢/٢٥٢ ، الجواب النسيح ٧٩

(٢) إظهار الحق ٢/٢٥٣

وإليه اجتمعت الشعوب .

وقد عبث المترجمون بهذا النص عبثاً عجيباً .

ففي الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فلا يزول القضيبي من يهوذا والرسول
من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب » .

والمقصود بالرسم التدبير .

وفي الترجمة المطبوعة بلندن سنة ١٩٥٢ وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ هكذا :
يزول قضيبي من يهوذا ومشرع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون
شعوب » .

« فانظر إلى اختلاف توراتهم التي يتمسكون بها ففي كل نسخة من نسخة
المطبوعة خلاف ما في النسخة الأخرى ولم تجتمع نسختان على كلام واحد » ^(١)

(١) الجواب الفصح ٣٨٧

البشارة الثامنة عشرة

جاء في (سفر ملاخي) في الاصحاح الرابع :

« فبهذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قساً ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً . . . »

ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجي يوم الرب العظيم والمخوف فبرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن ، .

و(إيليا) ليس علماً على شخص بل هو رمز . جاء في (انجيل مرقس) في الاصحاح الثامن : « ٢٧ ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : من يقول الناس أنني أنا ؟

٢٨ فأجابوا يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون واحد من الأنبياء

٢٩ فقال لهم : وأنتم من تقولون اني أنا ؟

فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . »

ونحن نرى أن المقصود بإيلياء محمد لأمر :

١ - قوله (ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجي يوم الرب العظيم المخوف) ومحمد خاتم النبيين وهو قد أرسل بين يدي الساعة كما قال « بعثت أنا ساعة كهاتين » وقرن بين أصبعيه الوسطى والسبابة . وقال : بعثت في نفس ساعة .

٢ - قوله (فبرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم) وهذه صفة محمد الذي رد قلب الآباء على الأبناء فمتع قتل الأولاد خشية الفقر (ولا تقتلوا لأدكم خشية إملاق) ومنع وأد البنات (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) وأمر

بتربيتهم وتعليمهم .

ورد قلب الابناء على الآباء فجعل طاعة الوالدين بعد طاعة الله وجعل عذوبتها من الكبار ومن المويقات بل هو بعد الشرك بالله وأمر بطاعتها وحسن معاملتهم والدعاء لها « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واحلف لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »

وأمر بحسن صحبتها ولو كانا مشركين « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما لن لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » .

٣ - إن إيلياء رمز عن أحمد « والدليل على ذلك أن اليهود كثيراً ما يراعون حسد أبجد في تفسير الآيات وهذا الحساب معتبر في شريعتهم ، وإذا لاحظنا هذه القاء في هذا الاسم اعني (إيلياء) نراه موافقاً لاسم (أحمد) لأن كلا منهما ثلاثة والحسم (إيلياء) (أحمد) وهم اسم نبينا عليه الصلاة والسلام « (١) » .

وذهب النصراني إلى أن إيلياء هو يوحنا المعمدان أي يحى عليه السلام بدلالة جاء في (انجيل متى) في الاصحاح السابع عشر :

« ١٠ وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً ؟ »
فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء . ١٢ ولكني أقول لكم إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان . »

وهذا مردود بجملة أمور منها :

١ - ما قاله يوحنا عن نفسه حين سئل هل أنت إيليا ؟ فأجاب : لا وهو نبي صريح في أنه ليس إيلياء والأنبياء متزهون عن الكذب .

جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الأول :

(١) الفارق ٣٨٧

١٩ هـ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقرّ أنني لست أنا المسيح . ٢١ فسألوه إذاً ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب لا . . .

فسألوه وقالوا له فما بالك تعمّد ان كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي ؟ « وهم واضح وصريح .

٢ - النصوص الأخرى المبثوثة في الأناجيل تنفي أن يكون إيليا هو يوحنا . جاء في (إنجيل لوقا) في شفاء المرضى في الاصحاح التاسع :

« ٧ لأن قوماً كانوا يقولون أن يوحنا قد قام من الأموات . ٨ وقوماً أن إيليا ظهر وآخر أن نبياً من القدماء قام . »

فهم كانوا ينتظرون ظهور إيلياء بعد موت يوحنا .

وجاء في (إنجيل مرقس) في الاصحاح الثامن :

« ٢٧ ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : من يقول الناس أنني أنا ؟

٢٨ فأجابوا : يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء

٢٩ فقال لهم وأنتم من تقولون أنني أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . »

فنحن نرى أن المسيح لم يخبر تلاميذه أن إيليا هو يوحنا حين رأهم يفصلون بينهما .

وجاء نحو هذا النص في (إنجيل لوقا) في الاصحاح التاسع : ١٨ ، ١٩ .

وجاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي عشر :

« ١١ الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان .

ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه .

١٢ ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السماوات يغصب والغاصبون يخطفونه . ١٣ لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا .

١٤ وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي . ١٥ من له أذنان للسمع فليسمع . »

فهذا النص صريح في أن إيليا هو غير يوحنا .

٣ - ثم إن النص الذي جاء في البشارة لا ينطبق على يوحنا لأن إيليا كما هو في النص يعني قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم المخوف أي قبل يوم القيامة ومعنى ذلك أنه يكون آخر الأنبياء وإلا فجميع الأنبياء هم قبل يوم القيامة . ويوحنا ليس كذلك لأنه قتل في زمن عيسى . جاء في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل متى أن هيرودوس قطع رأسه وأحضره على طبق : « ١٠ فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن . ١١ فأحضر رأسه على طبق ودفع به إلى الصبية فجاءت به إلى أمها . ١٣ فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء منفرداً . »

وانظر إنجيل مرقس في الإصحاح السادس .

وعند النصارى أن تلاميذ المسيح هم رسل كما جاء في إنجيل لوقا ١٧ : « ٥ فقال الرسل للرب زد إيماننا »

والرسل هنا هم تلاميذ المسيح والمقصود بالرب هنا المسيح تعالى الله عما يقولون .
(و) بولس (عندهم رسول وعندهم رسل آخرون) انظر أعمال الرسل (فكيف ينطبق هذا النص على يوحنا المعمدان وقد جاء بعده رسل كثيرون كما يعتقد النصارى ؟

وعندنا أن عيسى رسول وقد عاش بعد يوحنا فلا يصح أن يكون يوحنا هو إيليا

٤ - ثم إن ما جاء في البشارة أن إيليا يرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آباءهم أي تكون تعليماته نافذة يؤمن بها الناس ويطبقونها فيرد بها قلوب الآباء والأبناء .

وهذا لا ينطبق على يوحنا لأن بني إسرائيل كذبوه ولم يؤمنوا به ورفضوه وقتلوه .

قال المسيح كما جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي والعشرين . ه ٣٢
لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به . »

فهم إذن لم يؤمنوا به ورفضوا تعاليمه وقتلوه فكيف تنطبق عليه هذه البشارة ؟
إن هذه البشارة تنطبق على محمد الذي آمن به الناس وصدقوه ونفذوا تعاليمه فردّ
قلوب الآباء والأبناء .

ه - ثم أين التعليمات التي جاء بها يوحنا المعمدان بهذا الخصوص أو بغيره ؟
إننا لم نجد شيئاً من تعليمات يوحنا ولم تذكر الأناجيل عنها شيئاً فلا نعلم تعليماته
بشأن الآباء والأبناء أو بغير هذا الشأن .

ولذا فإن البشارة لا تنطبق عليه وقد نفى هو ذلك عن نفسه ، فتكون هذه بشارة
بظهور سيدنا محمد وهي تنطبق عليه تمام الانطباق .

البشارة التاسعة عشرة

جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الرابع عشر :

« ١٦ وأنا أطلب من الأب فيعطيكُم فارقليطاً آخر ليثبت معكم إلى الأبد

١٧ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه

٢٦ والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء
ويذكركم كل ما قلته لكم

وفي الاصحاح الخامس عشر

« ٢٦ وإذا جاء الفارقليط الذي أرسله إليكم من الأب روح الحق الذي من
الأب فهو يشهد لي

وفي الاصحاح السادس عشر :

« ٧ إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم

« ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة وأما
ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما سمع
يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم

هذه النصوص من طبعة الموصل سنة ١٨٧٦ والفارقليط هو الخادم أو الخادم
أحمد ونحوها

جاء في (الأجوبة الفاخرة) « والفارقليط عند النصاري الخادم وقيل الخادمة
وجمهورهم أنه المخلص »^(١)

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٣٩

وجاء في (هداية الخيارى) : « والفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد أما أحمد أو محمد أو محمود ونحو ذلك وهو في الإنجيل الحبشي برنقطيس . . . والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة يكون له بارقليط جيد أي حمد جيد »^(١).

وفي (سيرة ابن هشام) : « فلو قد جاء المنحمن هو الذي يرسله الله إليكم من عند الرب . روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضاً . »

والمنحمن بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليط^(٢).

ويترجمه كثير من النصارى بالمعزي أو المخلص والصواب ما ذكرناه ، جاء في (قصص الأنبياء) : « فارقليط » وهو تعريب لفظ بيريكلتوس اليونانية ومعناها الذي له حمد كثير^(٣).

وذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار أنه سأل العلامة الكبير الدكتور كارلونيونو المستشرق الايطالي وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة . وكان آنذاك في مصر :

ما معنى « بيريكلتوس » ؟

فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها « المعزي » .

فقلت : إنني أسأل الدكتور « كارلونيونو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً .

فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » .

فقلت : هل ذلك يوافق أفعال التفضيل من (حمد) ؟

(١) هداية الخيارى ٣٦٦ - ٣٦٨ ، الجواب الفصحى ٨٩

(٢) سيرة ابن هشام ١٥٢ / ١ - ١٥٣ وانظر هداية الخيارى بهامش قبل الفارق ١١

(٣) قصص الأنبياء ٣٩٧

فقال : نعم .

فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسباطه (أحمد) .

فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً . ثم افترقنا .

وقد ازدددت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »^(١) .

ثم إن ورود ترجمة لفظ (فارقليط) بلغات أخرى في الأناجيل المختلفة يوضح المقصود به فهو في الانجيل الحبشي (برنقطيس) وبالسريانية (المنحمن) وباليونانية (بيريكلتوس) وكلها تعطي معنى (محمد) .

فدل ذلك على أن المقصود به سيدنا محمد كما قال تعالى « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

ثم إن هذه النصوص تنطبق على سيدنا محمد بغض النظر عن معنى له في (الفارقليط) فإن قوله (ليثبت معكم إلى الأبد) يعني أن رسالته خالدة إلى يوم الدين ويبقى شريعته نافذة لا ينسخ .

وقوله (فهو يعلمكم بكل شيء) ينطبق عليه ﷺ الذي لم يترك سبيلاً من سبل الخير إلا دل عليه ولا سبيلاً من سبل الشر إلا حذر منه . كما قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وقال يهودي لأحد الصحابة أن نبيكم يعلمكم كل شيء . فقال له : أجل إنا يعلمنا كل شيء .

وإن قوله (يبكى العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة) هو أوضح دليل على صفات سيدنا محمد الذي بكى العالم على الخطية وأقامهم على البر . وفي به من الطبقات (يوبخ العالم على خطية) . جاء في (الجواب المسبح) : « أن قولاً

(١) قصص الأنبياء حاشية ص ٣٩٧ - ٣٩٨

عيسى عليه السلام (يويخ العالم) بمنزلة النص الجلي على نبوة نبينا خاتم النبيين **﴿١﴾** لأنه كما هو معلوم . . . قد ويخ العالم . . . وما يضحك الأطفال ما قاله القسيس راتكين في كتابه المسمى (رافع البهتان) الذي القه في لسان الأوردو إن لفظ التوبىخ لا يوجد في الإنجيل ولا في ترجمة من ترجمه قال وإنما ذكره المسلمون ليصدق على محمد **﴿٢﴾** صدقاً بيناً لأن محمداً ويخ وهدد كثيراً . انتهى . فسوخ الإنجيل المترجمة قد ملأت العالم ولفظ (يويخ) أو (ييكت) موجود فيها « الترجمة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ والمطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ والمطبوعة سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٢٥ وفي التراجم الفارسية المتعددة الطبع . . .

إن في هذه الأيام مترجمي العربية والفارسية وأوردو تركوا لفظ فارقليط في تراجمهم للإنجيل لشهرته عند المسلمين في النبي **﴿٣﴾** «^(١)

وقوله (وأمامتي جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) واضح فقد أرشد محمد العالم إلى جميع الحق ولم يتكلم من نفسه بل كان يتكلم بما يخبره الله به كما قال تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

وقوله (ويخبركم بأمر آتية) ينطبق عليه فقد كان هذا شأن سيدنا محمد فقد أخبر بأمر آتية في القرآن والحديث كإخباره بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين وإخباره بانتصار الإسلام وظهوره على الأديان وإخباره بظهور النار في الحجاز وغيرها من الأمور التي ذكرنا طرفاً منها .

وقوله (ذاك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) يدل عليه أيضاً فقد مجد سيدنا محمد عيسى عليه السلام في القرآن الكريم قال تعالى « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه » اسمه المسيح عيسى بن مريم وجهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهدي وكهلاً ومن الصالحين » .

ونزهه مما افترت عليه النصارى من ادعاء الربوبية ونزهه عن الكذب الذي ألصقته به وغير ذلك .

فهذه النصوص تدل على أن محمداً هو المقصود بهذه البشارات .

البشارة العشرون

جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الثالث : « ١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات » .

وجاء فيه في الاصحاح الرابع : « ١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات » .

وجاء في هذا الاصحاح أيضاً : « ٢٣ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلمهم مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » .

وجاء فيه في الاصحاح السادس : « ٩ فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك . ١٠ ليأت ملكوتك » .

وفيه في الاصحاح الحادي والعشرين : « ٤٣ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى للأمم تعمل اثباره » .

وفيه في الاصحاح الرابع والعشرين : « ١٣ ولكن الذي يصير إلى المنتهى فهو . ١٤ ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ١٥ يأتي المنتهى » .

وفي (إنجيل مرقس) في الاصحاح الأول : « ١٤ وبعدهما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وأمنوا بالانجيل » .

معنى الملكوت

يظهر من هذه الفقرات أن المقصود بالملكوت هو دين جديد ينزله الله إلى الخلق وهو - فيما نرى - الإسلام ولا يصح أن يكون النصرانية لأن قوله (اقترِب ملكوت السماوات) يمنع من ذلك لأن النصرانية دين حاصل لا مقترِب . وكذا قوله (ليأت ملكوتك) فلو كان المقصود به النصرانية لم يصبح لهذا الدعاء معنى ، وكذا قوله (إن ملكوت الله ينزع منكم) أي أن الرسالة ستزع منكم وقد نزع منهم فعلاً وأعطى للعرب .

جاء في (كتاب الإنجيل والصليب) : « إذا سألتهم راهباً مسيحياً ما هو الملكوت ؟ يجيبكم فوراً هو الكنيسة وإن لم يكن قد تشكل في زمن المسيح مثل هذه الكنيسة ومثل هذه الملة والجماعة . فالمسيح وتلاميذه كانوا يدخلون (السيناغوغا) المسمى (كنيسة كنيس) كساثر اليهود ويصلون ويعبدون ولم يخطر على باله أحداث مذهب جديد أو جماعة جديدة وبناء على ذلك لم يتشكل ملكوت الله في زمن عيسى عليه السلام . . . »

فالكنيسة المتخشعة الصارخة بضع مرات في كل يوم « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠) منذ أكثر من ألف وتسعمائة سنة لم تكن غير الجماعة العيسوية يا للتضاد ، يا للعناد والعصيان ، لقد مضى تسعة عشر عاماً إلى الآن تنتظر فائلين (ليأت ملكوتك) فإن كان ملكوت الله هو الكنيسة فما بال الكنيسة تكرر بفمها ولسانها كل يوم هذا الدعاء وتطلب من الله أن يبعث لهم ملكوته ؟ ^(١)

وادعاء أن المراد بالملكوت الكنيسة مردود ردها صاحب الكتاب ويردها الإنجيل نفسه . جاء في (إنجيل متى) ٢١ : ٤٣ « لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل إثاره » .

(١) الإنجيل والصليب ٧٦ - ٧٧

فلا يصح أن يكون معناه الكنيسة إذ ما معنى أن الكنيسة تنزع منكم وتعطى لأمه
تعمل اثمارها ؟ وهكذا بقية النصوص .

وإنما هو - كما ذكرنا - تبشير بدين جديد وهو الإسلام .

جاء في (إظهار الحق) : « فظهر أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ
السبعين بشر بملكوت الله وبشر عيسى عليه السلام بالالفاظ التي بشر بها يحيى فعلم أن
هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى
عليه السلام ولا في عهد الحواريين والسبعين بل كل منهم مبشربه ونخبه عن فضله
ومترجماً لمجيئه فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التي ظهرت بشره
عيسى عليه السلام وإلا لما قاله عليه السلام والحواريون السبعون إن ملكوت
السماوات قد اقترب . . . فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشرية معه »
(١)

وقد نزع الله ملكوته من بني إسرائيل وأعطاه لأمه تعمل اثماره وهو . أمة الإسلام
فكان كما أخبر السيد المسيح .

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٧٢

البشارة الحادية والعشرون

جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي والعشرين :

« ٤٢ قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا .

٤٣ لذلك أقول لكم أن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره .

٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » .

وهذا الحجر إنما هو سيدنا محمد، جاء في (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

قال ابن القيم : « وتأمل قوله [المسيح] في البشارة الأخرى : ألم تر إلى الحجر الذي أخره البنائون صار رأساً للزاوية ، كيف تجده مطابقاً لقول النبي ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون : هلا وضعت تلك اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة .

وتأمل قول المسيح في هذه البشارة : إن ذلك عجيب في أعيننا . وتأمل قوله فيها : « إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى آخر » كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » وقوله « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض »^(١) .

(١) هداية الحيارى ٣٨١ - ٣٨٢

ونحو هذا النص ما جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الثامن :

« ١١ وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

وهذه بشارة تشير إلى ظهور أمة الإسلام التي تأتي من المشرق والمغرب وتكون مرضية عند الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

جاء في (الفارق) : « أيها المسيحي إذا أنصفت تحكم بأن هؤلاء الذين سبأوا من مشارق الأرض ومغاربها هم الأمة المحمدية لأنكم مخاطبون حاضرون إذا المسيح سلام الله عليه ينجي عن قوم سيأتون في مستقبل الزمن وقد أخرجكم بقوله « وأما بنو الملكوت » (١) » .

ونحو ذلك ما جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الرابع :

« ٢٠ - ٢٤ قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجيل بل في أورشليم تسجدون لله » .

وهذا النص يشير إلى ظهور الدين الجديد وإنه سيتحول مركزه عن أورشليم ويشير إلى تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة ، قبله أصحاب الدين الجديد ويصدق قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلاً ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون ، (البقرة ١٤٤)

فقد كان المسلمون أول الأمر يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثم نزلت الآية بوجوب اتجاههم إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة .

فانظر إلى قوله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أن هذا التحول من بيت المقدس إلى الكعبة حق أخبروا به في كتبهم . ههنا الله إلى الصراط المستقيم .

البشارة الثانية والعشرون

ذكر صاحب كتاب (الإنجيل والصليب) أنه جاء في (إنجيل لوقا) ٢ : ١٤ « الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحد »

ولكن المترجمين ترجموها في الإنجيل هكذا :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة »

ومؤلف الكتاب يرى أن الترجمة الصحيحة ما ذكره هو .

يقول المؤلف أن ثمة كلمتين وردتا في اللغة الأصلية لم يدرك أحد ما تخويان « ا » من المعاني تماماً فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية هاتان الكلمتان هما :

ايريني - التي يترجمونها : السلامة

و : أبودكيا - التي يترجمونها : حسن الرضا

فالأولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (ايريني) فقد « ا » بكلمات (سلامة) (مسالة) (سلام) .

والمؤلف يرى أن ترجمتها الصحيحة (إسلام) فيقول في ص ٤٠ : « ومن المأمم أن لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ويشتمل على ما تشتمل عليه الله (السلم ، السلام) (الصلح ، المسالة) (الأمن ، الراحة) . . . وتنصص ١٠٨٨ زائداً وتالياً آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ولكن قول الملائكة « ا » الأرض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالة ؛ لأن جميع الكتابات ، وعلى الأخص الحية منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الأرض دارنا العدم . . . هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع البنية . . . »

كالاختلافات والمحاربات والمنازعات . . . فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة .

ثم يستشهد بقول المسيح « ما جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » (متى ١٠ : ٣٤)

ويستشهد بقول آخر للمسيح : « جئت لألقي ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟ أنظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا أقول لكم بل انقساماً » (لوقا ١٢ : ٤٩ - ٥٣)

وعلى هذا فالترجمة لا تنطبق ورسالة المسيح وأقواله والصواب (وعلى الأرض إسلام) . (انظر البحث من ص ٣٨ - ٤٤)

كما يرى أن (أيا دوكيا) بمعنى (أحمد) لا (المسرة أو حسن الرضا) كما يترجمها القسس وذلك لأنه لا يقال في اليونانية لحسن الرضا (ايودوكيا) بل يقال (ثليا) .

ويقول أن كلمة (دوكوثة) هي بمعنى (الحمد ، الاشتهاء ، الشوق ، الرغبة ، بيان الفكر) . وها هي ذي الصفات المشتقة من هذا الفعل (دوكسا) وهي (حمد ، محمود ، ممدوح ، نفيس ، مشتهى ، مرغوب ، مجيد) .

واستشهد بأمثلة كثيرة من اليونانية لذلك . وقال : أنهم يترجمون (محمديتو) في (أشعيا ٦٤ : ١١) بـ (اندوكساهيمون) ويترجمون الصفات منها (محمد ، أحمد ، أعبد ، ممدوح ، محتشم ، ذو الشوكة) بـ (ايندكسوس) .

واستدل بهذا التحقيق النفيس أن الترجمة الحقيقية الصحيحة لما ذكره لوقا هي (أحمد ، محمد) لا (المسرة) فتكون الترجمة الصحيحة لعبارة الإنجيل :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد »^(١) .

(انظر التحقيق من ٤٥ - ٥٣)

(١) أنظر كتاب (الإنجيل والصلب) للأب عبد الأحد داود ٣٤ - ٥٣

البشارة الثالثة والعشرون

جاء في (رؤيا يوحنا اللاهوتي) في الاصحاح التاسع عشر :

« ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب . ١٢ وعيناه كلهيب من نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو . ١٣ وهو منسربل بثوب مخموس بدم ويدعى اسم كلمة الله . ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين أبيض ونقياً . ١٥ ومن فمه يخرج سيف لكي يضرب به الأمم وهو سير عاهد بعضاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء » .

وهذا النص ينطبق على سيدنا محمد ﷺ من وجوه :

١ - قوله (والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً) وهذه صفة رسول الله فقد كان يدعى الصادق الأمين قبل الرسالة - كما ذكرنا - . وفي طبعة الموصل (والجالس عليه يسمى الأمين الصادق) . وقد قال المغيرة إلى المقوقس حين سأله : كيف صدر حديثه ؟ قلنا : ما يسمى إلا الأمين من صدقه^(١) .

٢ - قوله (وبالعدل يحكم ويحارب) وهذه صفة رسول الله وتعليمه قال تعالى : « ولا يجرمكم شتان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » أي لا تحملكم عداوة قوم وبغضهم على عدم العدل بل اعدلوا .

وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

وكانت حروب رسول الله في غاية العدل والرحمة فقد كان يوصي أصحابه ألا يقتلوا امرأة ولا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا عابداً في صومعته ولا يقطعوا شجرة إلا

(١) الجواب الصحيح ٩٩/١

للأكل . وكانوا حافظين للوعود والمهود « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » قال تعالى « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » وقال : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

٣ - قوله (وعيناه كلهيب من نار) أي في عينيه حمرة وهذه صفة رسول الله ﷺ فقد كان لا تفارق عينيه حمرة^(١) .

وفي طبعة الموصل (وكانت عيناه شبه وقيد النار) .

٤ - قوله (وعلى رأسه تيجان كثيرة) أي يستولي على أمم كثيرة فتكون تيجانها له . وهذا الذي حصل لمحمد وصحبه فقد استولوا على تيجان فارس وقيصر وغيرها وقسموا خزائنها في سبيل الله .

٥ - قوله (وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو) وهذا شبيه بالنص الذي نقلناه سابقاً (ويدعى اسمه عجيباً) أي ليس اسمه من معتاد بني إسرائيل بل أن اسمه ﷺ ليس مما اعتاد العرب التسمية به كما ذكرنا .

٦ - قوله (وهو متبرجل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله) يشير إلى الخروب التي أثارها ﷺ وأصحابه من بعده في سبيل الله وإرساء دعائم الإسلام ونشره فهذا إشارة إلى لباس الحرب .

وأما قوله (ويدعى اسمه كلمة الله) فهو - والله أعلم - من وضع المحرفين لأنها تتناقض والعبارة السابقة . (وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو) فكيف يذكر هنا أن (اسمه كلمة الله) ؟

ولعل المقصود أن اسمه عليه السلام لقاء الله وعلمه للأنبياء السابقين في كلماته ثم فيكون اسمه على هذا كلمة الله .

٧ - قوله (والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض

(١) طبقات ابن سعد ١ / ج ١ / ١٠٦ ، ٨٣ ، ١٠٤ / ج ٢ / ١٢١ ، وانظر هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .

تقياً) يعني أن الملائكة تنصره وتزیده ونحارب معه وهذه صفة رسول الله فقد نزلت معه الملائكة وأيدته في بدر والأحزاب وغيرها من الوقعات كما ذكر القرآن الكريم .

٨ - قوله (ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم) يشير إلى تعلّماته النافذة التي تشبه السيف .

وفي طبعة الموصل (سيف ماض ذو حدين ليضرب به الأمم) وهذه صفة السيوف العربية كما أسلفنا .

جاء في (الفارق) : « أقول إن هذه الأوصاف لا تصدق إلا على أحمد (ﷺ) لأنه حارب وحكم بالعدل وهو المسمى بالصادق الأمين قبل النبوة ويعدها . وعيسى لم يسم بهذا الاسم . ثم نبينا وخلفاؤه استولوا على تيجان الملوك »^(١) .

(١) الفارق بين المخلوق والحال ٤٠٠

بَشَارَاتُ مَنْ إِنْجِيلُ بَرْنَابَا

إنجيل برنابا :

برنابا قديس ممتلئ من الروح القدس تجله الكنيسة وتعظمه . وهو مذكور في (أعمال الرسل) بالتجلة والإكبار . جاء في (أعمال الرسل) ١١ : « ٢٢ - ٢٤ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى انطاكية . . . لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس » .

وجاء فيه ١٢ : « ٢٥ ورجع برنابا وشاول من اورشليم بعدما كملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس » .

وجاء فيه ١٣ : « ٢٠ قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل » .

لهذا القديس إنجيل ينسب إليه ورد اسمه في طائفة الأنجيل الممنوعة قبل الإسلام . جاء في كتاب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) (إنجيل برنابا)

« ويقال أن البابا جلاسيوس قد حرم قراءة هذا الإنجيل سنة ٤٩٢ م . يعلن الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر في كتابه (السنون المفقودة من عيسى تكشف) « أن انجيلاً يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول . والمخطوطات التي اكتشفت حديثاً في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل » .

وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التي لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيراً ، وهذا هو سر التعجب فالمصادر التي تذكر هذه الأمور - كلها أجنبية غربية - قد ذكرت أن مخطوطاً آخر في الفيوم وآخر في مصر العليا^(١) .

وجاء فيه : « إن الأمر الباباوي الذي أصدره البابا جلاسيوس الذي جلس على

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٩٣

الاربكة البابوية سنة ١٩٩٢ م يبين أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) . وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الإنجيل كان موجوداً قبل ظهور الإسلام ومشهوراً بين خاصة العلماء^(١).

إكتشافه :

وجدت نسخة من إنجيل برنابا في جو مسيحي خالص فإن « النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نقل عنها هذا الإنجيل إنما هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاطينا . . . وأول من عثر على النسخة الإيطالية ممن لم يعف التاريخ أثرهم هو كرمير أحد مستشاري ملك بروسيا . . . ثم انتقلت إلى كرمير طولند ثم أهداها الأخير إلى البرنس أيوجين سافوي .

وجد النسخة الإيطالية راهب لاتيني يسمى (فرامينو) وذلك إن هذا الراهب عثر على رسائل لايريناياوس وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقدّيس بولس الرسول وإن اريناياوس أسند تنديده هذا إلى إنجيل القدّيس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب (مرينو) المشار إليه شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل .

واتفق أنه أصبح حيناً من الدهر مقرباً من البابا سكس الخامس فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا فران الكرى على أجفان قداسه فأحب (مرينو) أن يفنل الوقت بالمطالعة إلى أن يفنى البابا فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل نفسه فكاد أن يطير فرحاً من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد رذنيه ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالانصراف حاملاً ذلك الكنز معه فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامي . . .

ثم إنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات وليس ذلك فقط بل لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في فهرس الكتب العربية القديمة عند الأعراب

(١) محمد في النوراة والإنجيل والقرآن ١٩٥

أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة»^(١).

بشاراته :

تحرم الكنيسة قراءة هذا الإنجيل ولا تعترف به لأنه يقوم على أسس تخالف عقائد الكنيسة تماماً فهو ينكر ألوهية المسيح وأنه ابن الله ويقول هو عبد الله ورسوله ، وينكر الصلب ، ويورد اسم محمد عليه السلام صراحة في كثير من المواطن ومن ذلك على سبيل المثال :

ما جاء في « ٣٩ : ١٤ فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله » .

وجاء في الاصحاح الحادي والأربعين : « ٢٩ فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس ٣٠ فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وفي الاصحاح الرابع والخمسين يتكلم على يوم الحشر إلى أن يقول :

« ٩ ثم يحجي الله بعد ذلك سائر الاصفياء الذين يصرخون : اذكرونا يا محمد » .

وفي « ٩٧ : ١٤ أجاب يسوع أن اسم مسيئاً عجيب » إلى أن يقول : « قال الله أصبر يا محمد . . . ١٧ ان اسمه المبارك محمد » .

وفي « ١١٢ : ١٧ ولكني متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة » .

وفي « ١٦٣ : ٧ أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟

« ٨ أجاب يسوع بايتهاج قلب : انه محمد رسول الله » .

إلى غير ذلك من البشارات المبثوثة في هذا الإنجيل .

(١) مقدمة الدكتور خليل سعادة للإنجيل برنابا .

خاتمة البحث

وفي خاتمة البشارات نذكر قولاً للسيد المسيح يضع فيه ميزاناً لمعرفة النبي من الدعي الكذاب . جاء في إنجيل متى في الاصحاح السابع : ١٥ : إحترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . ١٦ من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً ؟ ١٧ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة . ١٨ لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار . فإذا من ثمارهم تعرفونهم » .

هذا الكلام حق فإن الشجرة الجيدة تصنع ثماراً جيدة والشجرة الرديئة تصنع ثماراً رديئة .

وإذا طبقنا هذا القول على سيدنا محمد وعلى ثماره عرفنا أي منزلة في النبوة يحتلها هذا الرسول العظيم فقد عرّف الإنسان بربه تعريفاً لا تجده في دين من الأديان ونزّهه عن التشبيه والتمثيل وعما لا يليق وجاء بالخير الشامل والعدل العام والإحسان إلى الخلق أجمعين وغير ذلك من السلوك النبيل العالي والخلق المتين القويم ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وعن كل ما يشين .

وقد ربى أصحابه على هذا الخلق العالي فلا نجد في الإنسانية نماذج أعلى من هذه النماذج بعد أنبياء الله .

ثم قال : كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار . وعلى هذا فالشجرة التي تصنع ثمراً جيداً تنمو وتثبت ليستفيع بها الخلق وهكذا شجرة الإسلام الثابتة الروافدة الظلال قال تعالى : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها »

فهذا الميزان الذي وضعه السيد المسيح أثبت لنا أن محمداً في أعلى مقامات النبوة وصحبه من أعلى مقام المؤمنين .

نرجو من الآخرين أن يجتبروا الثمار وما أمر معرفتها بعسير .

كَلِمَةُ آخِرَةٍ

بعد عرض هذه الدلائل العقلية من القرآن والحديث وعرض بشارات الكتب السماوية السابقة . تبين لكل ذي لب بصورة قاطعة أن عمداً نبي أرسله الله إلى الناس كافة بالحق الواضح والقسطاس المستقيم وأيده بالحجة القاطعة والبرهان المنير . بشرت به الأنبياء وذكرت اسمه ونعته الرسل . وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ليس بعده نبي ولا تشريع حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فاللهتدي من اهتدى بهديه والضال من حاد عن نهجه وقصده .

وإن القرآن كتاب الله العظيم أنزله تبياناً لكل شيء وشفاء لما في الصدور أقام به الحجة على خلقه . فقد جعل فيه من الدلائل العقلية على نبوة محمد ما فيه مقنع لكل ذي لب .

وقد جعل أعلام نبوته لائحة منشورة يهتدي بها كل من ابتغى الهدى من خلقه (وانزلنا إليكم نوراً مبيناً) .

وقد ذكرنا طرفاً من هذه الأعلام والدلائل ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب الله فإن فيه ما يقنع العقل وتطمئن إليه النفس ويسكن معه الفؤاد على أن يستعين بالله ويسأله العون والسداد وأن يقرأه بعقل متدبر وقلب متيقظ فإن القرآن يعطيك أضعاف ما تعطيه من نفسك .

ولا بأس أن يستعين بكتب الدلائل فإن فيها مفتاحاً للوالجين وأعلاماً للسالكين . وأنا واثق بأن الله سبحانه سيؤتي رشد من يتبغي الرشده ويمنح هداة من يطلب الهدى وأنه تعالى سيفتح له ما استغلق ويقود له ما استعصى .

وهذا أمر جدير باطالة البحث والتنقيب وإدامة التدبر والتفكير وأنت إن أفنيت عمرك في سبيله ثم حصلت عليه فما عمرك بفان ولا ما أنفقت عليه بذاهب فإنه أئمن مما أفنيت ، وأغلى مما أبليت ، وأحسن مما أعطيت . فليس ثمة شيء أغلى منه بضاعة

ولا أربح منه نقارة .

وليس في الخاسرين أحسر من وحل حريم اليقين .

نسأله تعالى العون والسداد والهدى والرشاد وأن يجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مراجع البحث

- القرآن الكريم
- الأحوبة الفاعرة عن الأمثلة الفاعرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الفرافي طبع بهامش كتاب (الفارق بين المخلوق والمخلوق)
- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للسيد محمد صديق حسن خان - مطبعة المدي - القاهرة
- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي تحقيق السيد أحمد صفر ط ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - دار الكتاب الجديد
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي - مطبعة نهضة مصر
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الأثير - المكتبة الإسلامية بطنان
- الإحصاء في تمييز الصحابة لامين حجر العقلائي - مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م
- أضواء على المسيحية - لتولي يوسف شلي ط ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م نشر الدار الكويتية
- إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي تحقيق عمر الدسوقي - مطبعة الرسالة - مصر
- أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي - المطبعة البهية بمصر ١٣١٩ هـ
- الله يتجلى في عصر العلم ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد شرحان نشر دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه
- الانتصاف من الكشاف لابن المنير طبع بحاشية (الكشاف) للزمخشري
- إنجيل برنابا نشر السيد محمد رشيد رضا
- الإنجيل والصلب تأليف الأب عبد الأحد داود طبع بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ
- الباعث الحديث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ط ٣ بمصر

- معوث في تاريخ السنة المشرفة لآكرم مياه العمري - مطبعة الارشاد ببغداد

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

- البداية والنهاية لابن كثير ط١

- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد علي الخطيب البغدادي نشر دار الكتاب العربي - بيروت

- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٦٢

- تثبيت دلائل النبوة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الحمداني تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - دار العربية ببيروت

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة ط١ سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م
بمصر بشر السيد عورت العطار الحسيني

- تفسير ابن كثير - طبع بدار احياء الكتب العربية .
- التفسير الكبير للإمام العزهر الرازي مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - مؤسسة المطبوعات الإسلامية

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط١
١٣٧٧ هـ - ١٩٥٤ م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

- الجامع لاحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

- الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطبعة المدني بمصر
- الجواب الفصح لما لفته عبد المسيح لأبي البركات نعمان خضر الدين الأندلسي
اللويس ط١ - المطبعة الإسلامية - لاهور

- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد
الدكن سنة ١٣٢٠ هـ

- دبل الفارق تأليف عبد الرحمن بك باجہ حي زاده طبع مع الفارق
- ذيل مرآة الزمان لأبي الفتح موسى بن محمد اللبوبي ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف

عثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م
- الرحلة المدوسية للشيخ محمد جواد البلاغي - مطبعة النعمان - النجف ١٣٨٢ هـ -

١٩٦٣ م

- الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي المطبعة السلفية بمصر ١٣٧٢هـ
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ط ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ط ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م مطبعة المدني بمصر
- السنن الكبرى للبيهقي ط ١ حيدر آباد الديكن - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٤٧هـ
- سنن الترمذي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
- سيرة النبي ﷺ لمحمد بن اسحاق - ههنا ابن هشام - تحقيق محمد عيسى الدين عبد الحميد - نشر محمد علي صبيح وأولاده - مطبعة المدني ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م
- صحيح البخاري طبع بمطابع الشعب بمصر
- صحيح مسلم - مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
- الظاهرة القرآنية لمالك بن نسي ط ١٩٥٨هـ مطبعة دار الجهاد
- الفارق بين المخلوق والخالق تأليف عبد الرحمن بك باجه جي زاده ط ١ - مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢هـ
- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني الباني ط ١ طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
- الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري الاندلسي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة
- قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ط ١٣٢٧هـ - ١٩٥٣م
- كتاب التواريخ المجموع على التحقيق والتصديق تأليف البطريق أنثيوس المكني بسعيد بن البطريق طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩م
- كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد مصور عن كتاب طبع في مدينة لندن
- المحررة بمطبعة بريل سنة ١٣٢٢هـ من منشورات مؤسسة النصر - طهران
- الكتاب المقدس طبع في بريطانيا بمطبعة الجامعة - كامبردج
- الكشف عن حقائق التنزيل لجار الله الزمخشري - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

- محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ط ١٣٨١هـ - ١٩٦١م
- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد (سابقاً الفهمس إبراهيم خليل فيلبس) نشر مكتبة الوعي العربي
- مختصر التذكرة للإمام محمد بن أحمد القرطبي (اختصرها الإمام عبد الرزاق الشمراني) المطبعة المنة بمصر ١٣١٩هـ
- مصطلح الحديث تأليف العلامة الشيخ عبد الغني محمود ط ١٣٣١هـ - ١٩١٣م مطبعة الفتح الأدبية بمصر
- مطلع النور لعباس محمود العقاد كتاب الشهر ديسمبر ١٩٦٨ م
- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبد الله المرسلين لمصطفى صبري شيخ الإسلام - طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م
- هداية الحيارى من اليهود والنصارى للإمام ابن قيم الجوزية طبع بهلمش العارفي بين المخلوق والمخلوق
- الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ط ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى بلهال الدين أبي الحسن عبد الله بن السيد الشريف السهودي - مطبعة الآداب والملاهد بمصر ١٣٢٦هـ